

بَابُ
الْأَسْمَاءِ
كَرِيمَاتِ اللَّهِ

الأستاذ الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي

دار المعارف للطبوعات



PDF مكتبة نرجس
www.narjes-library.blogspot.com

بارقة من سماء كربلاء

بارقة من سماء كربلاء

محاضرات
الأستاذ الشيخ محمد تقى مصباح يزدي

ترجمة:

محمد عبدالمنعم الخاقاني

دار النشر: المطبعة الخاقانية



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دار المعارف للمطبوعات

لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - بناية الحسين

ص.ب: ٦٤٣ - ١١ - ٨٦٠١

هاتف: ٢٧١٩٠٧ - ٢٧١٩٠٨ - ٢٧١٩٠٨ ١ ٢٧١٩٠٨ - فاكس: ٢٧١٩٠٨ ١ ٢٧١٩٠٨

مربايل: ٨٢٣٦٢٠ ٣ ٨٢٣٦٢٠ ٠٠٩٦١

الفهرس

شبهات حول عاشوراء وإحيائها (١)

- ٨ لماذا لا يبد من تخليد حادثة عاشوراء؟
- ١٠ لماذا لا نكتفي بالبحث والنقاش في احياء عاشوراء؟
- ١٨ لماذا لا يبد من اقامة العزاء في ذكرى واقعة عاشوراء؟
- ٢٠ لماذا لا يبد من صب اللعن على اعداء الامام الحسين عليه السلام؟

شبهات حول عاشوراء وإحيائها (٢)

- ٣١ دور عاشوراء في بقاء الاسلام
- ٣٢ سعة وأهميّة وتأثير اقامة العزاء لسيد الشهداء عليه السلام
- ٤٠ قداسة نهضة عاشوراء وامتناع تحريفها

الأرضيّة لنهضة عاشوراء (١)

- ٥٥ السوابق التاريخية لواقعة عاشوراء
- ٥٩ الأرضيّة الاجتماعية لانحراف المجتمع
- ٦٠ عوامل انحراف المجتمع
- ٦٦ التشابه بين مجتمعنا والمجتمع الذي عاش فيه الامام الحسين عليه السلام
- ٧٢ ما هي سبيل التصدي للسياسات الشيطانيّة؟



الأرضية لنهضة عاشوراء (٢)

- ٧٨ دقة علي عليه السلام في تنفيذ الأحكام والحدود الالهية.
- ٨٢ هدف علي عليه السلام هو تقديم مثال للحكومة الاسلامية.

الأرضية لنهضة عاشوراء (٣)

- ١٠٤ أساليب استخدام معاوية لعوامل الانحراف في المجتمع
- ١١٤ النشاط السري للامام الحسين عليه السلام في زمان معاوية
- ١١٩ ماذا جرى لزيد بن علي بن الحسين؟

الأرضية لنهضة عاشوراء (٤)

- ١٢٥ علل انفعال المجتمع في مقابل نشاطات معاوية.
- ١٢٩ الكف عن بذل المال في سبيل الله
- ١٣٠ التخاذل عن التضحية من أجل الدين
- ١٣١ تأثير العلاقات القومية والفتوية
- ١٣٩ طرق مواجهة علل الانحراف في المجتمع
- ١٤٠ رفع مستوى المعرفة
- ١٤٢ رفع مستوى الايمان والمعنويات
- ١٤٦ ما هو العامل في هذا التحول؟

الهدف من نهضة عاشوراء (١)

- ١٥٠ اصلاح المفسد هدف أصلي لنهضة الامام الحسين عليه السلام
- ١٥١ مفهوم الاصلاح
- ١٥٥ تأثير النظام القيمي في تعريف الاصلاح
- ١٦٠ الاصلاح من وجهة نظر المنافقين
- ١٦٤ الاصلاح المطلوب

الهدف من نهضة عاشوراء (٢)

- ١٧٥ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 ١٧٧ أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 ١٨٣ واجب المسلمين إزاء المنكرات
 ١٨٨ عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١)

- ١٩٨ نموذج آخر لعاقبة ترك الأمر بالمعروف
 ٢٠٠ سعة معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 ٢٠٤ سعة معنى الجهاد

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢)

- ٢٢٠ مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعنى العام
 ٢٢٠ تعليم الجاهل
 ٢٢٤ تذكرة وموعظة
 ٢٢٩ التصدي الاجتماعي للمؤامرات
 ٢٣٤ المواجهة للهجوم الثقافي
 ٢٣٨ الجهاد والحرص على الشهادة من أجل إيقاظ المجتمع

واجبات الحكومة والناس في الظروف الحاضرة

- ٢٥٠ واجب الحكومة والمجتمع في مجال تعليم الأحكام والمسائل
 ٢٥٧ واجب الحكومة والمجتمع في مقابل مؤامرات الأعداء
 ٢٥٩ علل نسيان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 ٢٦٣ إيجاد التنظيمات الإسلامية للقيام بالنشاطات الاجتماعية



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن

- المعنى الاصطلاحيّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٧٧
- درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٧٨
- الشعور بالمسؤولية بالنسبة للآخرين ٢٨١
- لماذا استعمل القرآن تعبير المنافقين في مقابل المؤمنين؟ ٢٩١

شبهات حول عاشوراء وإحيائها (١)

- لماذا لا يبد من تخليد حادثة عاشوراء؟
- لماذا لا نكتفي بالبحث والنقاش في احياء عاشوراء؟
- لماذا لا يبد من اقامة العزاء في ذكرى واقعة عاشوراء؟
- لماذا لا يبد من صبّ اللعن على اعداء الامام الحسين عليه السلام؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين ابي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين. اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آياته في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصرأً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه ارضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً. السلام عليك يا ابا عبدالله وعلى الارواح التي حلت بفنائك.

نتقدم بالجزاء للامام صاحب العصر والزمان - عجل الله فرجه الشريف - ولقائد الثورة ومراجع التقليد وجميع عشاق الحسين عليه السلام بمناسبة حلول ذكرى عاشوراء وايام الحزن على سيد الشهداء ابي عبدالله الحسين عليه السلام. ونسأل الله سبحانه ان لا يحرمننا من بركات الحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة.

تعتبر هذه الايام فرصة مواتية لكي نعمق معرفتنا بالنسبة لمدرسة عاشوراء مدرسة الحسين عليه السلام وذلك من خلال طرح اسئلة تتعلق بنهضة ابي عبدالله عليه السلام تدور في اذهان كثير من الناس ولاسيما اذهان اليافعين والشباب، ولعل في محاولة الجواب عليها ما يوسع معرفتنا وبالخصوص الطبقة الشابة بالنسبة لنهضة سيد الشهداء عليه السلام، ولعلنا في ظل المعرفة الاعمق نستطيع ان ننتفع اكثر لدنيانا وآخرتنا.

نأخذ بعين الاعتبار شاباً قد نال نضجه الفكري حديثاً وهو يحاول ان يفهم

جميع المسائل والظواهر الاجتماعية التي تحدث حوله، ويحاول الاحاطة بعلمها حتى يتمتع بتقييم واضح للمسائل والظواهر التي تحيط به.

انّ الشابّ يلاحظ تشكيل جلسات خلال ايام محرم، ويرى الناس يرتدون الملابس السوداء ويرفعون الاعلام السود. ويشاهد قيام هيئات للغزاء والالطم، وينظر اليهم وعيونهم تسكب الدموع الغزيرة. انها ظواهر لا تنتشر في الايام العاديّة، ولا تلاحظ في سائر المجتمعات.

اذن من الطبيعي عندئذ ان يُطرح امامه هذا السؤال وهو: لأي هدف تقام مثل هذه المراسم؟ لماذا ينبغي ان يرتدي الانسان الملابس السود؟ لماذا ينبغي ان يلطم الناس على رؤوسهم وصدورهم الى وقت متأخر من الليل؟ لأي شيء تجري كل هذه الدموع؟

عادةً تُقدّم أجوبة مختصرة لهذه الأسئلة حيث يقولون انّ سيد الشهداء الحسين عليه السلام قد استشهد في سبيل الله والاسلام فلا بدّ من البكاء عليه، او انّ لاقامة الغزاء على الحسين عليه السلام ثواباً عظيماً وهو سيشفع لنا يوم القيامة.

شبابنا يسمعون عادةً مثل هذه الأجوبة. ولو كنتُ انا شخصياً في سنّ الشباب وواجهت مثل هذه الأسئلة فإنّ هذه الأجوبة لم تكن كافية بالنسبة اليّ حينئذ.

ويمكننا تقسيم الأسئلة التي تُطرح في هذا المضمار الى اربعة أسئلة. وسوف نحاول بعون الله الاجابة على كلّ سؤال منها بشكل منفصل حتى نوفر الارضيّة لرقبي معرفة شبابنا الأعزاء بالنسبة لمراسم عاشوراء، وحتى تُسلط الاضواء بصورة اكبر على ثقافة عاشوراء.

لماذا لا بدّ من تخليد حادثة عاشوراء؟

لماذا يحاولون احياء خواطر تتعلق بحادثة قد مرّ عليها ما يناهز ١٣٦٠ عاماً؟

ولماذا يقيمون مراسم لاحياء هذه الذكرى؟ أنها حادثة تاريخية قد تقادم عليها الزمن، وسواء أكانت مرة ام حلوة فإن آثارها قد انتهت، فلماذا - بعد مرور ما يقرب من اربعة عشر قرنا - نلجأ الى احياء ذكرى هذه الحادثة ونقيم مراسم في هذا المجال؟

إنّ الجواب على هذا السؤال ليس عسيراً جداً، لأنه من الممكن ان نبين لأيّ شاب أنّ الحوادث الماضية في كلّ مجتمع يمكن ان تكون لها آثار ضخمة في مصير ذلك المجتمع ومستقبله. واحياء تلك الخواطر هو في الواقع لون من اعادة النظر والصيغة الجديدة لتلك الحادثة حتّى يتيسّر للناس ان ينتفعوا بتلك الواقعة. فاذا كانت الحادثة نافعة عند حدوثها وكانت منشأ لآثار طيبة وبركات كثيرة فإنّ اعادة النظر اليها واعادة صياغتها يمكن ان تنال شيئاً من تلك البركات.

وعلاوة على ذلك فقد اعتادت المجتمعات البشرية على ان تقوم باحياء حوادث الماضي بشكل من الاشكال، وأن تكبرها وتضفي عليها الواناً من الاحترام والتقدير. سواء أكانت متعلّقة بأشخاص كان لهم دور مؤثّر في رقيّ مجتمعاتهم كالعلماء والمكتشفين ام كانت متعلّقة بأشخاص تميّزوا بدور حسّاس في تحرير اممهم من الناحية السياسيّة والاجتماعيّة وقد اصبحوا أبطالاً وطنيين.

إنّ جميع العقلاء في العالم يحيون ذكريات مثل هذه الشخصيات البارزة. ويتمّ هذا الامر حسب واحدة من اقدس الرغبات الفطريّة التي اودعها الله سبحانه في اعماق جميع الناس، ويُعبّر عنها بـ «حسّ الشكر والاعتراف بحقّ الآخر». ومن هنا فهناك رغبة فطرية موجودة في اعماق جميع الناس وهي تدفعهم للاعتراف بحقّ من أسدى اليهم خدمة وشكرهم عليها وان يتذكروها ويحترموا ذكراها.

وبالاضافة الى هذا فإنّ احياء تلك الخواطر - اذا كان لها في الماضي تأثير في سعادة ذلك المجتمع - يمكن ان يشكّل عاملاً مؤثراً آخر في زمان بيان تلك



الخواطر، وعندئذ تكون تلك الحادثة كأنها قد تجددت.

ولمّا كنّا نعتقد أنّ حادثة عاشوراء قد كانت حادثة عظيمة في تاريخ الاسلام، وقد كان لها دور مصيريّ في سعادة المسلمين وتبيين سبيل الهداية للناس، لهذا تصبح هذه الحادثة ذات قيمة عظيمة عندنا. ويغدو احيائها وتذكّرها واعادة صياغتها امراً لا يمكن التفریط به، لأنّ بركات ذلك سوف تشمل مجتمعنا المعاصر. هذا هو الجواب الاجماليّ الذي يمكن تقديمه لسؤال الشباب. حيث يتمّ التأكيد على أنّ احياء بعض الخواطر واعادة صياغة بعض الحوادث التي وقعت في الماضي هو عمل عقلائيّ ويمكن ان يؤمّن بعض المصالح والمنافع للمجتمع. كما أنّ اصل تلك الحادثة كان له تأثير نافع في المجتمع السابق فانّ تجديد تلك الخواطر واعادة صياغتها يمكن ايضا ان تكون له آثار تتناسب معه.

لماذا لا نكتفي بالبحث والنقاش في احياء عاشوراء؟

السؤال الثاني الذي يتمّ الحصول عليه من تحليل السؤال الاول هو أنّ احياء ذكرى عاشوراء ليس منحصرّاً في البكاء واللطم على الصدور ورفع الاعلام السود واقامة مجالس العزاء التي منتصف الليل وحياناً تؤدّي الى تعطيل الاعمال في النهار، ولاسيّما اذا اخذنا بعين الاعتبار أنّ هذه الامور تستتبع اضراراً اقتصاديّة، بينما يمكننا احياء هذه الخواطر بشكل يقلّل الأضرار الاقتصادية والاجتماعيّة.

انّ هذا السؤال نظرحه على اساس هذا الفرض وهو أنّ الوضع الروحيّ لكثير من الناس ينسجم اكثر مع الامور المادية والاقتصادية، واهتمام الناس منصبّ على هذه الامور اكثر من غيرها. وحينئذ يقيّم هؤلاء الحوادث على اساس ما لها من منافع أو أضرار ماديّة واقتصاديّة.

ونحن نفرض شابا لم تكتمل بعدُ تربيته الدينية فقد يخطر على باله هذا السؤال

إنّ هذه النشاطات ضروريّة في مجالها، ولكن هل هذه كافية لكي ننتفع بشكل كامل من حادثة عاشوراء؟ ام هناك امور اخرى ضروريّة ايضاً مثل اقامة الغزاء في مجاله الخاص؟

إنّ الجواب على هذا السؤال يتوقّف على القيام بتحليل نفسيّ للانسان لمعرفة العوامل المؤثّرة في سلوكه الواعي.

وهل إنّ المؤثّر في سلوكنا الاجتماعي هو عامل المعرفة فحسب ام هناك عوامل اخرى تؤثّر في بلورة هذا السلوك؟

عندما نتأمّل في سلوكنا ندرك أنّ هناك - على أقل تقدير - طائفتين من العوامل تنهض بالدور الرئيسيّ في هذا المضمار.

الاولى هي طائفة عوامل المعرفة التي تؤدّي الى ان يفهم الانسان شيئاً ويتقبّله. ومن الطبيعيّ ان يُستدلّ على الموضوع المطلوب بما يتناسب معه من الأدلّة العقلية او التجريبية أو غيرها.

ومن الواضح جدّاً أنّ للمعرفة تأثيراً كبيراً في سلوكنا، ولكنها ليست هي العامل الوحيد، بل هناك عوامل اخرى لعلّ تأثيرها في سلوكنا اكبر من عامل المعرفة.

وتُسمّى هذه العوامل بالدوافع والاحاسيس والعواطف والميول والرغبات والغرائز. أنّها مجموعة من العوامل الباطنية النفسية المؤثّرة في سلوكنا.

كلّما قمنا بتحليل سلوكك - سواء أكان السلوك المتعلّق بالحياة الفردية ام الحياة العائلية ام الحياة الاجتماعية ام الحياة السياسية - فستلاحظ أنّ الأمر الاساسيّ الذي دفعك للقيام بذلك السلوك هو هذه البواعث والعوامل المحرّكة. ويوجد في هذا المجال تشبيه لطيف للمرحوم الشهيد الاستاذ مرتضى مطهرى حيث يشبّه السلوك الانسانيّ بالسيّارة، فالسيّارة تحتاج الى عاملين لتتحرك: احدهما العامل الذي ينتج الطاقة الميكانيكية للسيّارة حتى تيسّر لها الحركة بواسطتها. والعامل الآخر هو أنّه

لابدٌ للسيارة ايضاً من مصباح يُضاء به الطريق حتّى لا تقع السيارة في المطبات والحفر والمزالق الخطيرة.

فلو فرضنا أنّ السيارة تتحرّك في جوّ معتم فحتّى لو كانت ما كتتها تعمل بشكل جيّد وتنتج طاقة ميكانيكيّة كافية فأننا اذا لم نر الطريق فلعلنا نواجه مخاطر عظيمة وتعرّض لحادثة اصطدام تنتهي بوفاة قائد السيارة وجميع ركّابها.

فالسيارة لابدّ لها من مصباح يضيء الطريق بالاضافة الى كونها مزوّدة بالمادّة المنتجة للطاقة الميكانيكيّة.

وكذا الأمر في وجود الانسان فهو بحاجة الى لونين من العوامل، احدهما لابد من توفّره في اعماقه حتّى يبعثه ويحرّكه. يجب ان تكون له رغبة في الفعل حتّى يقوم به، ويشتاق الى ذلك الفعل ليقدم على انجازه.

والثاني لابدّ ان يعرف لماذا يجب القيام بهذا الفعل؟ ما الفائدة من هذا الفعل بالنسبة اليه؟ وكيف ينبغي انجازه؟

انّ هذه الاسئلة وامثالها هي من جملة عوامل المعرفة.

يجب التأمل في مثل هذه العوامل والتعرّف عليها اما عن طريق التجربة واما عن طريق الاستدلال.

انّ من الضروري الرجوع الى المصادر المناسبة للفعل الذي نريد القيام به لكي نظفر بالمعارف اللازمة، لكنّ المعرفة وحدها غير كافية لتدفعنا نحو الحركة، وانما نحن بحاجة الى عامل نفسيّ آخر لنبعثنا نحو ذلك الفعل ويقودنا الى انجازه. ومثل هذه العوامل يطلقون عليها اسم الدوافع النفسيّة. ولها اسماء اخرى كالاتحاسيس والعواطف وغير ذلك. ان هذه العوامل بمجموعها توجد في الانسان الرغبة في الحركة، وتبعث في نفسه العشق لانجاز الفعل. وما لم تكن هذه العوامل فانّ ذلك الفعل لا يتحقّق. فحتّى لو عرف الانسان بصورة يقينيّة ان المادّة الغذائيّة الكذائيّة

مفيدة لجسمه فانه لن يندفع لتناولها ما لم تتحرك الرغبة في نفسه اليها بحيث يشتهيها. ولو فرضنا ان الرغبة قد انعدمت عند شخص، أو أنه ابتلي - والعياذ بالله - بمرض لا يكون معه رغباً في شيء، فهما قيل له ان هذه المادة الغذائية نافعة لجسمه فانه لا يتحرك لتناولها.

اذن بالاضافة الى المعرفة لابد من وجود الرغبة والدافع في اعماق الانسان. والشؤون الاجتماعية والسياسية لها نفس هذا الحكم. فحتى لو عرف الشخص ان الحركة الاجتماعية الكذائية حسنة ونافعة فانه لا يتحرك نحوها ما لم يكن هناك دافع للقيام بتلك الحركة. وقد يصرح بان القيام بها حسن لكنه لابد لي من دافع وعامل يحركني لأقوم بذلك الفعل.

ثم بعد ان عرفنا وسلمنا بان السلوك والحركات الانسانية الواعية تحتاج الى طائفتين من العوامل احدهما عوامل المعرفة والثانية عوامل العواطف والاحاسيس، وبعد ان عرفنا مدى ما لحركة سيد الشهداء عليه السلام من دور مهم في سعادة الناس، فانا سوف نلتفت الى ان المعرفة وحدها لا تحقق فينا الحركة. ومعرفة تلك الخواطر وتذكرها لا تقودنا الى فعل مشابه لفعل الامام عليه السلام ولا تحملنا على اقتفاء اثره الا اذا تحقق في انفسنا الدافع، ثم على اساسه نغدو محبين لان نقوم بما يشبه ذلك الفعل. ان المعرفة وحدها لا توجد فينا هذه الرغبة، بل لابد من تحريك العواطف وبعث المشاعر حتى نستعد للقيام بمثل تلك الحركة.

اذن تحقق مثل هذا الامر يحتاج الى طائفتين من العوامل. وجلسات البحث والتحقيق والخطابة توفر لنا الطائفة الاولى من تلك العوامل، اي انها تزودنا بالمعارف اللازمة. لكنه لابد لنا من الطائفة الثانية حيث يتم من خلالها تنمية العواطف وتقوية المشاعر. ومن الواضح ان للمعرفة ذاتها دوراً في تذكر ودراسة الواقعة، لكن الدور الاساسي تنهض به الامور التي لها تأثير مباشر على العواطف والمشاعر.

عندما تُعاد صياغة مشهد معين ويتملى الانسان في ذلك المشهد عن كتب فإن هذا يختلف كثيراً عما لو سمع الانسان بوقوع هذه الحادثة. أو أنه اطلع صدفةً على حدوثها.

وانتم تستطيعون ان تجربوا هذا الأمر في حياتكم، حيث تلاحظون اختلافاً كبيراً بين شيء عرفتم انه قد تحقق او سوف يتحقق لكنكم لم تشاهدوا وقوعه، وشيء شاهدتم بأعينكم تحققه.

مثلاً نحن نعلم جميعا بوجود اناس كثيرين محرومين في هذه المدينة، ولكن رؤية انسان محروم يعيش حالة مثيرة للشفقة يمكنها ان تترك فينا أثراً لا يمكن ان يتركه صرف المعرفة. عندما يشاهد الانسان حالة مريض أو طفل يتيم مثيرة للرقّة فإن هذه المشاهدة تترك أثراً في روحه لا تتركها المعرفة المجردة.

إن هذا الموضوع يمكننا تجربته في حياتنا ويمكننا ايضا ان نلاحظه في المصادر الدينية.

وفي هذا المجال نشير الى قصة وارده في القرآن الكريم بعنوان كونها مثالاً على ما ذكرناه. فنحن نعلم ان النبي موسى عليه السلام قد دعي من قبل الله تعالى الى جبل الطور ليعبد الباري عزوجل هناك. وقيل للناس ان موسى عليه السلام سوف يبقى هناك شهراً من الزمان، لكن ارادة الله سبحانه قد تعلقت بان يبقى هناك اربعين يوماً، يقول تعالى: «وَاعْذَنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ»^(١)

وهذه الليالي العشر الاخيرة لم يكن الناس عالمين بها، وقد كان هذا اختباراً لبني اسرائيل ليبيّن لهم الى أي مدى هم متمسكون بايمانهم. ولما انتهت الليالي الثلاثون جاء بنو اسرائيل الى هارون عليه السلام - وهو خليفة موسى عليه السلام - وسألوه عن سبب

عدم عودة اخيه، فأجاب بأننا منتظرون وسوف يعود سريعاً. وفي اليوم التالي لم يعد موسى ﷺ فكررُوا السؤال عنه، وبدأوا يشككون بان تأخره يعني أنه قد تركهم وذهب الى حال سبيله، واستغلَّ السامريُّ هذه الفرصة المواتية فصنع لهم عجلاً ودعا الناس الى عبادة العجل قائلاً:

«هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى»^(١)

انَّ الله موسى الَّذي دعاه للمناجاة في جبل الطور والذي بعث موسى بالرسالة الى الناس هو نفس هذا الذي صنعه لكم، فوقع كثير من بني اسرائيل ساجدين لهذا العجل وراحوا يعبدونه.

وأوحى الله تعالى الى موسى ﷺ بالحادثة التي وقعت بين بني اسرائيل، فقد اصبح الناس يعبدون العجل خلال غيابك عنهم في هذه الليالي العشر، وقد سمع موسى ﷺ بهذا النبأ ولكنه لم يُبدِ ردُّ فعل عليه.

وانتهت الليالي الاربعون وعاد الى بني اسرائيل وهو يحمل الالواح السماوية التي انزلت عليه لكي يدعو الناس الى طاعة الاحكام الالهية والعمل بالشرعة النازلة اليهم. عندما حضر موسى ﷺ بينهم شاهد الناس يعبدون العجل، وبمجرد ان رأى هذا المشهد أمامه تغيّر وضعه واستولى عليه الغضب، يقول تعالى:

«وَألقى الألواحَ وَأخذَ برأسِ أخيه يجرُّهُ إِلَيْهِ»^(٢)

وهو يسأله معترضاً عليه: لماذا سمحت للناس ان يسلكوا سبيل الضلال: «أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي»^(٣)

ولا نحتاج هنا الى اكمال بقية القصة، لانَّ شاهدنا هو هذا القسم منها، حيث

٢. سورة طه، الآية ٨٨

١. سورة طه، الآية ٨٨

٣. سورة الاعراف، الآية ١٥٠.

يوجد الفارق الكبير بين ان يعرف الانسان بوقوع حادثة وان يشاهد وقوعها. ان الله سبحانه كان قد اخبر موسى ﷺ بما جرى بين قومه من عبادة العجل، ولم يكن لدى موسى ﷺ ادنى شك في حدوث ذلك، لان الله الصادق تعالى هو المخبر بها، لكنّه عندما سمع بذلك الخبر لم تبد عليه آثار الغضب. بينما لما عاد الى بني اسرائيل وشاهد الناس يعبدون العجل اضطرب ولم يستطع ان يتحمّل الموقف فاندفع الى اخيه معترضاً عليه بالصورة المذكورة سابقاً.

ومقصودنا هو بيان الفرق بين المعرفة والمشاهدة.

لقد خلق الله سبحانه الانسان على هيئة بحيث يتأثر بالشيء الذي يراه تأثيراً لا يمكن ان يحصل من خلال المسموعات او المعلومات. واذا اعدنا صياغة المشاهد - سواء أكان ذلك في الاطار التقليدي ام باستخدام الاساليب الحديثة - واخرجناها بصورة تمثيل أو فلم يجسّم للناس أحداث عاشوراء فان لهذه المشاهد آثاراً لا يقترب منها اثر الاقوال والمعلومات التي تعكس نفس الموضوع.

وقد جرّبتم نماذج لهذا الموضوع مراراً في حياتكم فسمعتم حوادث عاشوراء مكرّرة واستقرّت في اذهانكم وتعلمون كيف استشهد الامام الحسين ﷺ في يوم عاشوراء، ولكن هل هذه المعلومات تُجري الدموع من عيونكم؟

امّا اذا حضرتم في مجلس العزاء وبدأ القارئ يقرأ الرثاء ولاسيّما اذا كان الشعر راتعاً والصوت حزيناً واستغرق بصورة جذابة في بيان قصة كربلاء فسوف لن تتمالكوا انفسكم وانما تُجهشون بالبكاء من دون اختيار. ان هذا الاسلوب يؤثّر في تحريك المشاعر بصورة اكبر بكثير من تأثير الاطلاع والمعرفة، فما يرى اكثر تأثيراً مما يُسمع.

ومقصودنا من هذه التوضيحات هو أننا علاوة على كوننا لا بد ان نعرف لماذا نهض الامام الحسين ﷺ؟ ولماذا استشهد مظلوماً؟ لا بدّ ايضا ان تُعاد صياغة هذا

الموضوع بشكل افضل بحيث نسمع تلك الاحداث ونشاهدها لئستثار عواطفنا ومشاعرنا بشكل قوي. وكلّما كانت هذه المشاهد اكثر تأثيراً في إثارة مشاعرنا وعواطفنا فإنّ حادثة عاشوراء تصبح اعمق تأثيراً في حياتنا.

وبناءً على هذا فإنّ مجرد البحث والدراسة العلميّة لواقعة عاشوراء لا يمكن ان يقوم بدور مجالس العزاء، ولا بدّ من توفير مشاهد في المجتمع تحرّك مشاعر الناس. مثلاً ان يخرج الانسان من بيته في الصباح فيشاهد السواد يعمّ شوارع المدينة وتنتشر الاعلام السود فيها، ان نفس هذا التغيير في الوضع العام يحرك القلوب ويهزّ المشاعر، وصحيح انّ الناس يعلمون انّ غدّاً هو اليوم الاول من شهر محرّم ولكنّ لمشاهدة الاعلام السود اثرّاً في قلوبهم لا يستطيع ان يوجد في انفسهم مجرد العلم بانّ غدّاً هو بداية شهر محرّم، انّ تشكيل هيئات اللطم بذلك الحماس الخاصّ يمكن ان تكون له آثار لا يحقّقها ايّ عمل آخر.

فالسؤال الثاني هو: لماذا لا نكتفي في احياء ذكرى سيد الشهداء عليه السلام بالبحث والدراسة والخطابة وتنظيم الندوات وكتابة المقالات وما شابه ذلك؟ لماذا لا بدّ من اقامة مجالس العزاء؟

والجواب هو: لا بدّ من ايجاد هذه المشاهد لتقوية العامل العاطفيّ فينا بالاضافة الى استحكام عامل المعرفة. فاذا استثيرت العواطف فإنّها تستطيع ان تؤثر. ونستطيع ان نجد نماذج هذا التأثير في حياتنا الفرديّة وفي حياتنا الاجتماعيّة، ولاسيّما في هذه العقود الاربعة الاخيرة التي بدأ فيها الامام الخميني عليه السلام حركته ضدّ اجهزة الكفر والطاغوت، فقد لاحظتم في ايام محرّم وصفر انّ اسم سيد الشهداء عليه السلام واقامة العزاء عليه يدفع الناس الى الحركة. انّ مثل هذا الحماس والحيويّة لا يوجد الا في هذه الايام المباركة ولا يتحقّق الا في مراسم العزاء التقليديّة وما شابه ذلك. اذن لا بدّ من تكثيف الجهود والقيام بما يثير عواطف الناس وعندئذ تكون الخواطر مؤثّرة. وبهذا

فهم لماذا كان الامام عليه السلام يكرّر القول: «كلّ ما عندنا فهو من بركات محرّم وصفر»^(١). ولماذا كان يصرّ كثيراً على اقامة العزاء بنفس الصورة التقليديّة المتداولة؟^(٢) لأنّ مثل هذه الامور قد اثبتت جدارتها بشكل رائع خلال ثلاثة عشر قرناً في إثارة مشاعر الناس وعواطفهم الدينيّة. وقد دلّت التجارب على أنّ اغلب الانتصارات التي قد تحققت أثناء مرحلة الثورة الاسلاميّة أو في جبهات القتال خلال مرحلة الحرب المفروضة أنّما كانت اثر حماس الناس وحيويّتهم في ايام عاشوراء وقد تمّت ببركة اسم سيّد الشهداء عليه السلام. وليس هذا التأثير قليلاً في الميزان. فبأيّ ثمن يمكن ايجاد مثل هذا العامل في المجتمع بحيث يدفع الناس الى الحركة بهذه الصورة من الحماس والرغبة؟ ويحقّق هذا العشق المقدّس ليجعل الناس يتسابقون في طلب الشهادة؟ لو قلنا ان هذا العامل غير متوفّر في أيّ مدرسة اخرى وفي أيّ مجتمع آخر، لما جانبنا الحقيقة.

اذن في مجال إحياء واقعة عاشوراء نحن بحاجة الى شيء آخر غير البحث والدراسة، حيث يكون ذلك الشيء مؤثراً في بعث المشاعر واثارة العواطف. فالجواب العامّ لذلك السؤال هو انّ الانسان لم يزود - فقط - بالمعرفة، وانما هناك قوة اخرى - بالاضافة الى المعرفة - هي الحماس والهيجان، وعاملها المشاعر والعواطف. فلا بد من تقوية هذه العوامل لتؤدي دورها بالشكل المطلوب. وبرامج العزاء من جملة هذه العوامل.

لماذا لا بدّ من اقامة العزاء في ذكرى واقعة عاشوراء؟

الى هنا عرفنا أنّه لا بدّ من ايجاد عوامل في المجتمع لكي تحرك في الناس عواطفهم

٢. نفس المصدر السابق.

١. صحيفة نور، ج ١٥، ص ٢٠١.



ومشاعرهم الدينيّة ولتدفعهم ليقوموا بعمل مشابه لما فعله سيّد الشهداء عليه السلام وليواصلوا سبيله ويعشقوا طريقه.

وفي هذا المضمّار يُطرح موضوع آخر وهو أنّ سبيل بعث المشاعر واثارة العواطف ليست منحصرة في اقامة العزاء والبكاء، فقد تُثار عواطف الانسان باقامة مراسم الفرح والسرور. ونحن نعلم في مناسبات الولادة لأهل البيت عليهم السلام ولاسيّما ولادة سيّد الشهداء عليه السلام عندما تقام حفلات الفرح والسرور ويجري على اللسان مدحهم فإنّ الناس تستولي عليهم حالة من الحماس والحيويّة. ويُطرح هنا السؤال الثالث وهو: لماذا لا تُستغلّ مراسم الفرح لاثارة المشاعر؟

ولماذا هذا الاصرار على البكاء؟ لماذا ضرب النفس وايداؤها؟

تعالوا لنحتفل بدل هذا ونوزّع الحلويات ونقرأ المدح والثناء والانشيد لنحرك بها مشاعر الناس.

والجواب هو: أنّ للمشاعر والعواطف الواناً متنوّعة. ويتمّ تحريك كل لون من المشاعر والعواطف بواسطة الحادثة المناسبة له. والحادثة التي نهضت بأكبر دور في التاريخ الاسلامي هي حادثة استشهاد ابي عبدالله الحسين عليه السلام، فهي التي غيرت مسيرة التاريخ الاسلامي، وهي التي زوّدت الانسان الى يوم القيامة بدروس التحرك والنهضة والمقاومة والاستقامة. ولتجديد تلك الخواطر لا يكفي اقامة مجالس الفرح والسرور، بل لابدّ من القيام بعمل مناسب لتلك الحادثة. اي لابدّ من القيام بعمل يثير حزن الناس ويجري دموعهم ويفرس العشق والحماس في قلوبهم. والشيء الذي يمكن ان يقوم بهذا الدور في هذه الحادثة هو اقامة مراسم العزاء والبكاء وخلق الاجواء التي تبكي الناس، بينما السرور والضحك لا يستطيع ان ينهض بهذا الدور. إنّ الضحك لا يخلق من الانسان باحثاً عن الشهادة، ولا يحمله الى جبهات القتال، ولا يعبّد الطريق لكي يتحمّل الناس آلام ومصائب الحروب التي تُفرض على

المؤمنين. إن مثل هذه الأمور يحتاج إلى عشق آخر نابع من البكاء والحماس والحرقة. وسبيل هذا هو إقامة مجالس العزاء.

لماذا لا بدّ من صبّ اللعن على أعداء الامام الحسين عليه السلام؟

وبعد ذلك السؤال قد يُطرح سؤال آخر يثيره المناقون «المتحضرين» غالباً في هذه الايام، حيث يقولون: سلّمنا بان تاريخ الامام الحسين عليه السلام مؤثر ومحرك، وعرفنا انه لا بدّ من احيائه بعمق في الخواطر واقامة العزاء في ذكره، ولكنكم تقومون بشيء آخر في مراسم العزاء، فلا تكتفون بالذكر الحسن والثناء العطر للامام الحسين عليه السلام والبكاء على ما جرى من أحداث مؤلمة في استشهاده، وانما تصيّن اللعنات على أعداء الامام الحسين عليه السلام، فلماذا هذا الفعل، ولماذا هذا اللعن لأعداء الحسين عليه السلام؟ إن هذا الفعل يعتبر لونا من العنف والتشاؤم، أنها مشاعر سلبية ولا تنسجم مع عقلية «الانسان المتحضر». عندما تُستثار مشاعركم حاولوا ان تشبعوها بالبكاء والعزاء، ولكن لا تلتفظوا بألفاظ اللعن والسباب، ولا تقولوا: «اتقرب إلى الله... بالبراءة من اعدائكم»^(١)، لماذا ترسلون اللعن مائة مرة إلى أعداء الامام الحسين عليه السلام في زيارة عاشوراء؟

تعالوا واستبدلوا بهذا اللعن مائة مرة من السلام على الحسين عليه السلام. لماذا تُوزع هذه اللعنات وتُسَمّ الاجواء وتُخلق في الناس رؤية تشاؤميّة بالنسبة للآخرين أو تُبعث في أنفسهم مشاعر سلبية؟ إن هذا زمان لا بدّ فيه من التعايش مع جميع الناس بسلام وابتسام ووجه طليق منتشر. إن هذا زمان لا بدّ فيه من الحديث عن الحياة، وعن الفرح والسرور، وعن السلام والوثام. واما عقلية اللعن والتبرؤ والإعراض عن

الآخرين ومقاطعتهم، فهي من الوان عقلية العنف التي تنتسب الى ما قبل اربعة عشر قرنا وهو الزمان الذي قُتل فيه الامام الحسين عليه السلام، وهي عقلية تناسب مع ذلك الزمان. اما اليوم فانّ الناس والمجتمع لا يحبذون مثل هذه الأساليب. تعالوا واستبدلوا بهذه الاساليب البالية اسلوب الوثام والسلام وابتسموا حتى في وجوه اعدائكم وعاملوهم بالمحبة، أليس الاسلام هو دين المحبة؟ ودين الرأفة والرحمة؟ هل يتناسب مع هذا الدين ان تلهج الستكم باللعن والكلام الجارح البذيء؟

لو كان هذا السؤال مطروحاً في الواقع عن جهل فانّ جوابه سهل يسير، لكننا نحتمل بقوة ان كثيراً ممن يتحدّث بهذه الطريقة انما يحمل افكاراً اخرى وتدور في مخيلته اغراض خاصّة. من المحتمل جداً أنّهم يقتفون اثر سياسات اخرى، أو أنّهم ينفذون خططا قد رسمها آخرون. وعلى كلّ حال فنحن نبنّي على اساس انّ هذا السؤال كان بدافع عقلي وعلمي وهو بحاجة الى جواب علمي. وبغض النظر عن التقييم في مجال طرح مثل هذه الأسئلة نفرض انّ شابا توجه الينا بالسؤال: لماذا لا بدّ من لعن قاتلي الحسين عليه السلام؟ بدل ان نلعن اعداءه مائة مرة في زيارة عاشوراء فلنرسل السلام والتحية مائة مرة للامام الحسين عليه السلام. أليس في السلام على سيد الشهداء ثواب عظيم؟ فلنسلم على الحسين عليه السلام مائة مرة بدل لعن اعدائه مائة مرة، أليس هذا افضل؟ ما الداعي الى كلّ هذا اللعن والبذاءة واظهار البراءة والسباب والشتم؟

والجواب العلمي لمثل هذا السؤال هو: كما انّ فطرة الانسان لم تتشكّل من المعرفة فقط، فكذا الأمر في مجال العواطف والمشاعر، فهي لم تتشكّل من العواطف والمشاعر الايجابية فقط. فالانسان موجود يتمتع بالمشاعر الايجابية والمشاعر السلبية ايضاً. وكما انّ الفرح موجود في انفسنا فانّ الحزن موجود فيها ايضاً. هكذا خلق الله الانسان، فلا يستطيع اي انسان ان يعيش بلا حزن وبلا فرح. وكما زودنا

اللَّهُ تعالى بالاستعداد للضحك فانه زودنا بالاستعداد للبكاء أيضاً. في المجال المناسب لا بد ان يضحك الانسان، وفي المجال المناسب لا بد ان يبكي، وتجميد جانب من وجودنا يعني عدم الانتفاع من بعض نعم الله التي وقرها لنا. ان الحكمة في ان الله تعالى خلق فينا الاستعداد للبكاء هي انه لا بد من البكاء في بعض الموارد. ويجب علينا ان نبحث ونشخص هذه الموارد، والأ اصبح الاستعداد للبكاء لغواً في وجودنا. لماذا جعل الله تعالى هذا الاحساس في الانسان بحيث يستولي عليه الحزن والغم وتجري الدموع من عينيه؟ يُعلم من هذا ان للبكاء في حياة الانسان دوره ومجآله المناسب. ان للبكاء من الله بدافع الخوف من عذابه أو بدافع الشوق الى لقائه أو بدافع الشوق الى لقاء محبوب آخر دوراً في تكامل الانسان. فالانسان يرق قلبه عندما يشعر بلهيب النار في اعماقه بالنسبة لمحبوبه المصاب. فهذه طبيعة الانسان تقتضي ان يرق قلبه في بعض الموارد وعندئذ تنهمر الدموع من عينيه.

لقد غرس الله تعالى في انفسنا المحبة حتى نظهر الحب بالنسبة للذين يقدمون لنا خدمات وبالنسبة لمن يتمتعون بالكمال، سواء أكان كمالاً جسمياً أم عقلياً أم نفسياً أم عاطفياً، فاذا شعر الانسان بوجود كمال أو صاحب كمال فانه يحبه ويتعلق به، وعلاوة على هذا فقد جعل الله البغض والعداوة في نفس الانسان في نقطة مقابلة للمحبة.

فكما ان الانسان مفطور على ان يحب من قدم اليه خدمة، فهو مفطور ايضاً على ان يكره ويبغض من ألحق به ضرراً. ومن الواضح ان الاضرار المادية الدنيوية لا أهمية لها عند المؤمن، لان الدنيا برمتها لا قيمة لها عنده، لكن العدو الذي يحاول ان يسرق من الانسان دينه، والعدو الذي لا يدخر جهداً في ان يسلب من الانسان سعاده الأبدية هل يمكن السكوت عنه؟ يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

«إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا»^(١)

فهل يمكن الابتسام للشيطان؟ وهل يمكن الوثام والسلام معه؟

إذا تورّط الانسان في ذلك فسيصبح شيطاناً مثله.

إذا كان من الضروريّ المحبّة لأولياء الله فأنه من الضروري أيضاً العداوة لاعداء الله. هكذا هي فطرة الانسان، وهذا هو عامل تكامل الانسان وسعادته. اذا لم تتحقق «العداوة» مع اعداء الله، فإن سلوك الانسان معهم يرقّ تدريجياً وتتشأ الصداقة فيما بينهم، ونتيجةً لمعاشرتهم يتأثر سلوكهم ويفتح قلبه وعقله لأقوالهم، ويغدو شيئاً فشيئاً شيطاناً مثلهم. هل تعترضون على صحة ما نقول؟ انظروا الى القرآن ماذا يقول؟: «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ»^(٢)

إذا رأيت اناساً يتحدثون عن الذين بصورة السخرية والاستهزاء وبطريقة مهينة فلا تقرب اليهم ولا تُصغِ الي ما يقولون حتى ينتقلوا الى موضوع آخر. وفي آية كريمة اخرى يقول تعالى:

«وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً»^(٣).

من يحبّ الذين يستهزؤون بالدين ويتسم في وجوههم فإن كلامهم يؤثر عليه تدريجياً ويخلق الشكّ في نفسه، وعندئذ يصبح اظهاره للايمان نفاقاً، فالنفاق هو ان لا يكون الايمان في قلبه ولكنه في الظاهر يدعي انه مؤمن. اذن هذا الوثام مع

٢. سورة الانعام، الآية ٦٨.

١. سورة فاطر، الآية ٦.

٣. سورة النساء، الآية ١٤٠.

الكفار يؤدّي به إلى ان يلتحق بهم في النهاية، واذا اصبح منافقا في الدنيا بسبب مجالسته ومعاشرته للكافرين فأنه في الآخرة سوف يكون رفيقهم في جهنم: «إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً»

وبعبارة اخرى انّ العداوة مع الاعداء هي نظام دفاعي في مقابل الاضرار والمخاطر. فجسم الانسان كما انه مزود بعامل جذاب يجتذب المواد النافعة، فانه مزود ايضا بنظام دفاعي يطرد السموم والجراثيم، يقاومها ويقضي عليها. وهذه هي مهمة الكريات البيض في الدم. اما اذا اصيب النظام الدفاعي للبدن بالضعف فانّ الجراثيم تنمو وتستفحل، ويؤدّي ذلك إلى اصابة الانسان بالأمراض، ولعلّه بالتالي يواجه الموت.

واذا قلنا انّ دخول الجراثيم إلى بدن الانسان لا مانع منه! ورحبنا بها على اساس انها ضيف كريم يجب احترامه! فهل يبقى البدن سالماً في هذه الحالة؟ كلا، لا يتصرّف الانسان العاقل بهذه الصورة، وأنما يقول لا بدّ من القضاء على الجراثيم. هذه سنة الهيّة، فقد اخذ التدبير والحكمة الالهية بعين الاعتبار نظامين لكل موجود حيّ، احدهما نظام للجذب والآخر نظام للطرد، فكما انّ جذب المواد النافعة ضروريّ لنموّ كل موجود حيّ فانّ طرد السموم والمواد الضارة من البدن امر ضروريّ أيضاً. ولو لم يطرد الانسان السموم من بدنه فأنه لا يستطيع ان يستمرّ في حياته.

فهناك اجهزة في بدن الانسان والحيوان مثل الكلية والمثانة وغيرهما تقوم بهذه المهمة بشكل طبيعيّ وتطرد المواد الضارة إلى خارج البدن. وفي بعض الاحيان تهاجم البدن جراثيم من الخارج، فهنا تنشط الكريات البيض في الدم تتصدّى لها وتقاومها وتقضي عليها ثم تطردها خارج البدن. وكذا الأمر في روح الانسان فلا بدّ من وجود مثل هذا الاستعداد فيه، لا بدّ من وجود عامل جذب نفسيّ فيه حتى نأنس بالأشخاص الذين هم نافعون بالنسبة الينا، فنحبّهم وتقرب اليهم، ونكتسب

منهم العلم والكمال والادب والمعرفة والاخلاق.

لماذا لا بدّ ان يحبّ الانسانُ الاشخاصَ والامورَ الحسنة؟ لكي ينتفع منها عندما يقترب اليها. لا بدّ من اظهار المحبة للناس الطيبين الذين هم منشأ للكمال، ولهم تأثير ضخم في تقدّم المجتمع وازدهاره، وفي المقابل لا بدّ من اظهار العداوة عملياً لمن يلحقون الضرر بمصير المجتمع، يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

«قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَدَهُ»^(١)

يأمرنا الله تعالى بالتأسي بابراهيم واصحابه، ونحن نعلم ان لابراهيم عليه السلام مكانة رفيعة في الثقافة الاسلامية، فالنبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم ذاته يصرح بأنني تابع لابراهيم، والاسلام هو الاسم الذي اطلقه ابراهيم عليه السلام على هذا الدين. يقول تعالى:

«هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ»^(٢)

ماذا كان يفعل ابراهيم عليه السلام واصحابه؟ كانوا يعادون عبدة الاصنام ويطردونهم ويعلنون لهم: «إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ» ولا يكتفون بالبراءة منهم بل يقولون لهم: بدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة، إلا اذا توقفت عن الخيانة.

ونحن اذ نعلن العداوة والبغضاء للشيطان الأكبر واعداء الاسلام ولا نسمح بحذف هذا الشعار المهم «الموت لأمريكا»، انما هو تأسي بابراهيم عليه السلام، فقد امرنا القرآن الكريم بالتأسي بابراهيم عليه السلام لتقولها بصراحة: الموت لأعداء الاسلام، ونتجاهر بعداوتنا لاعداء الدين. فالانسان العاقل لا يورّع الابتسامات في كل المجالات، بل لا بدّ له ان يعبس في وجوه البعض ويقولها صريحة له: أنا عدوك

وليس بيني وبينك سلام الا اذا كففت عن خيانتك. هذا هو امر القرآن. ويقولون ان فروع الدين عشرة، وبعد «الامر بالمعروف» و«النهي عن المنكر» يعدّون من فروع الدين «التوَلَّى» و«التبرِّي». اي من جملة الواجبات التي لا بدّ ان يهتمّ بها جميع المسلمين ويعملوا بمضمونها هو ان نحبّ اولياء الله وان نعادي اعداء الله ايضا. ولا يكفي محبة اولياء الله، فاذا لم تكن العداوة لأعداء الله فانّ المحبة للأولياء سوف تزول وتضمحل، فلو انعدم النظام الدفاعي للبدن فانّ نظام الجذب سوف يتعطّل ايضا. والشياء المهمّة هو ان نعرف بدقّة مجالات الجذب والطرْد. فأحيانا تختلط الامور مع الأسف الشديد، ففي المورد الذي لا بدّ ان نقوم فيه بالجذب فأننا نستخدم عملياً الطرد. فالشخص الذي اخطأ في القول - عن جهل - وزلّت قدمه ثمّ ندم، او اذا بيّنا له الموقف الصحيح فأنه يحكمّ الانصاف ويعترف بخطئه، انّ مثل هذا الشخص لا ينبغي معاداته، فلمجرّد أنّه ارتكب ذنباً لا ينبغي طرده من المجتمع، بل لا بد من التصدّي لاصلاحه، انه مريض لا بدّ من معالجته. وفي مثل هذا المورد لا يتمّ اللجوء الى العداوة، نعم اذا كان الشخص متعمداً ويشيع المعصية في المجتمع بشكل علنيّ فانّ هذه خيانه لا بدّ من التصدي لها وعلان العداوة لصاحبها، اما اذا ارتكب الشخص الذنب خطأً فلا بدّ من التعامل معه برفق ومودة، ولا يجوز هتك حرمة واسقاط شخصيته، بل لا بدّ من السعي لاصلاحه، انه يعاني من مشكلة ويجب حلّ مشكلته.

اما بالنسبة للأعداء الحاقدين الغدارين فالله تعالى يقول: «وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ»^(١)

فما لم تكفوا عن ثورتكم الاسلامية فانّ امريكا لن ترضى عنكم، لا بدّ ان نتأمل في كل يوم ماذا يعني الصلح والسلام مع امريكا؟ وماذا يعني الابتسام لهؤلاء؟

يجب علينا ان نتعامل معهم بكل غضب وعنف وان نعبس في وجوههم. لا بد ان نمطر الموت على رؤوسهم، لأنهم لا يقتنعون بأقل من الموت لنا، ولا يكتفون بالموت لأجسامنا، ولا يشفي غليلهم الموت لأرواحنا، وإنما هم يفرحون بموت ديننا.

وخلاصة كلامنا هو ان احياء ذكرى سيد الشهداء هي اعادة لصياغة الحياة الحسينية، وذلك لنتفع بهذه الحياة الكريمة على أحسن نحو، ولا ينبغي الاكتفاء بالدراسات العلمية، لأن الانسان بحاجة الى استثارة عواطفه ومشاعره، ولا ينبغي الاقتصار ايضاً على العواطف الايجابية كالفرح والسرور والضحك والابتسام، وذلك لأن احياء خواطر سيد الشهداء عليه السلام ومظلوميته لا يتيسر إلا عن طريق مشاعر الحماس والحزن والبكاء والحداد. ومع ارسالنا لآلاف التحية والسلام للامام الحسين عليه السلام ولتراب قبره الطاهر فأتنا نرسل آلاف اللعن لأعداء الحسين عليه السلام اعداء الله والاسلام. والسلام وحده لا يحل المشكلة، لاننا لا نستطيع ان نتفع من بركات الحسين عليه السلام إلا اذا قمنا باللعن أولاً لأعدائه، ثم نرسل اليه التحية والسلام. والقرآن يذكر أولاً في صفات اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ»^(١) ثم يقول «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»^(٢). فلا بد من وجود اللعن الى جانب السلام، ولا بد من اظهار التبري والعداوة لأعداء الاسلام الى جانب التولي لاولياء الله. اذا كنا بهذه الصورة فنحن حسيّنون، وإلا فاته لا ينبغي ان نلصق أنفسنا بالحسين عليه السلام من دون استحقاق.

شبهات حول عاشوراء وإحيائها (٢)

- دور عاشوراء في بقاء الاسلام
- سعة وأهميّة وتأثير اقامة العزاء لسيد الشهداء عليه السلام
- قداسة نهضة عاشوراء وامتناع تحريفها

لقد طرحنا في الفصل السابق سؤالاً يخطر بـشكل طبيعيّ في أذهان اليافعين والشباب وهو: لماذا لا يبدّ ان نقيم مراسم العزاء لسيد الشهداء عليه السلام في ايام شهر محرم وكذا في سائر الايام؟

وقلنا انّ هذا السؤال يمكن تحليله الى اربعة أسئلة، ثمّ أجبنا عليها بشكل تفصيلي. وخلاصة الأجوبة هي انّ لواقعة كربلاء دوراً مصيرياً في التاريخ الاسلامي، واحياء ذكرى هذه الحادثة الأليمة يمكن ان يكون مؤثراً في مستقبلنا. ومعنى هذا انّ جميع هذه الأجوبة تعتمد على فرض سابق مفروغ عنه وهو انّ قصة كربلاء لها دور مهمّ ومصيريّ بالنسبة للاسلام والمسلمين.

دور عاشوراء في بقاء الاسلام:

قد نواجه هذا السؤال وهو:

كيف نعرف انّ لقصة كربلاء مثل هذا الدور المصيريّ في تقدّم الاسلام، وفي بقاء الاسلام، وبالتالي في سعادة الناس، أو يمكن ان يكون لها ذلك في المستقبل؟
بودّنا ان نتحدّث في هذا المجال بمقدار ما نستطيع ويسمح به الوقت.
أجمع الصديق والعدوّ على انّ قصة كربلاء اذا لم تكن وحدها تزهر في سماء الانسانية فأنها تعتبر من جملة الوقائع القليلة النظير.
ومن الواضح أنّا حسب ما انتهى اليها من اقوال الأئمّة الطاهرين عليهم السلام نعتبر هذه

القصة منحصرة بفرد فحسب، ونعتقد أنها لم يكن لها نظير في السابق ولن يكون لها نظير في المستقبل. ولكننا من باب الاحتياط في القول ولأننا نواجه اشخاصاً يطالبوننا بالدليل والسند، ولكي لا ندخل في هذه المناقشات نقول: لقد اتفقت آراء جميع المؤرخين والمطلعين على التاريخ البشري على أن قصة عاشوراء ان لم تكن منحصرة بفرد فإنها من الحوادث القليلة النظير في العالم، وهي حادثة لا يمكن مقارنتها إلى أية حادثة أخرى، لا من حيث كيفية الوقوع، ولا من حيث عظمة المصيبة، ولا من حيث بقاء ذكرياتها بين الناس وما ترتب عليها من آثار اجتماعية. إن نفس هذا الاصرار على اقامة مراسم العزاء في جميع ارجاء الجمهورية الاسلامية يمكن ان يكون عامل تحذير وانذار وايضا بانّ اية حادثة اخرى لا يمكن ان تقارن إلى هذه الواقعة الأليمة. انّ هذه الحادثة التي يُنفق من اجلها كل هذا الوقت، وتُرصَد لها كل هذه الميزانيات، وتُسكب من اجلها كل هذه الدموع، كيف يمكن تشبيهها بحادثة اخرى؟ وأية واقعة يمكن ان تقارن إليها؟

سعة وأهمية وتأثير اقامة العزاء لسيد الشهداء ﷺ

انّ مراسم العزاء هذه ليست مختصة بالجمهورية الاسلامية، فلعَلّ هناك من يتصوّر انّ اقامة مراسم العزاء مختصة بهذا البلد الموالي لأهل البيت ﷺ ولكني أوكد لكم انّ مثل هذه المراسم التي تقيمونها في مُدنكم وقراكم يقام في اقصى البلاد على وجه الكرة الأرضية في أيام شهر محرم وصفر ولاسيما في يوم عاشوراء. ففي مدينة نيويورك - وهي احدى اكبر مدن العالم اليوم - يقيم ابناء الطائفة الشيعية من باكستان وايران والعراق ولبنان وبعض الدول الاخرى هيئة للطم على الصدور تخترق في يوم عاشوراء اكبر شوارع هذه المدينة المكتظة بالسكان بحيث تصبح الحركة في هذا الشارع بطيئة وتُلفت انتباه جميع الناس هناك إليها.

وبالإضافة إلى الشيعة فهناك في كثير من البلاد السنّية تقام مثل هذه المراسم في يوم عاشوراء من قِبَل أهل السنّة انفسهم، أو اذا عقد الشيعة جلسات للجزاء هناك فإنّ الاخوة السنّية يشعرون بأنهم مكلفون بالمشاركة فيها. إنّ كثيراً من اخوتنا السنّة القاطنين في شبه القارّة الهنديّة، سواء أكانوا في الهند التي ربما يبلغ فيها عدد المسلمين ضعف سكان إيران أم في بنغلادش والباكستان يشعرون بأنّ من الواجب عليهم - بعنوان اداء اجر الرسالة - ان يساهموا في مراسم الجزاء على سيّد الشهداء عليه السلام، لأنّ الله تعالى يصرّح في القرآن الكريم: «قُلْ لَأَسْئَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»^(١)

وبناءً على هذا فإنهم يعتبرون المودة لأهل البيت عليهم السلام اجراً للرسالة ومن الواجب عليهم اداؤها. ولهذا عندما تقام مراسم الجزاء لسيّد الشهداء فإنهم يشتركون فيها اظهاراً لمحبتهم لأهل البيت عليهم السلام واداءً للدين الذي في اعناقهم. بل حتّى عبدة الأصنام الذين لا يؤمنون بالشرعية الاسلاميّة يقيمون مراسم الجزاء لسيّد الشهداء ويقدمون النذور الكثيرة فيها لما رأوه من بركات لهذه المراسم المقدّسة.

هذه الموارد منتشرة في كلّ أرجاء العالم وحتّى الكفّار يعلمون بوجودها. إنّ آية حادثة في العالم ليس لها مثل هذا التأثير بحيث يمتدّ تأثيرها إلى الأمم المختلفة.

فمن حيث طول فترة التأثير قد مرّ عليها أكثر من ثلاثة عشر قرناً وهي تحتفظ بطراوتها وحيويّتها وكأنّها قد وقعت بالأمس القريب، والناس لا يزالون إلى الآن يكون بحرقه وتآلم ويلطمون على صدورهم ورؤسهم، والنموذج الذي يمكن الاشارة إليه في هذا المجال هو مراسم الجزاء التي يقيمها المسيحيّون بمناسبة صلب

السيد المسيح ﷺ. ففي الذكرى السنوية لصلب السيد المسيح ﷺ - ونحن نعتقد انه لم يُصلب لان القرآن الكريم يصرح: «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ»^(١). لكنّ المسيحيين يعتقدون بان عيسى ﷺ قد صُلب ثم دُفن ثم أُخرج من قبره بعد ثلاثة ايام وصعد الى السماء، ولهذا فهم يقيمون مراسم العزاء في الذكرى السنوية لصلب السيد المسيح ﷺ - وقد حضرتها شخصياً في احدئ السنين، حيث اقيمت هذه المراسم في الفاتيكان وفي أكبر كنيسة في روما وهي كنيسة القديس بيتر وقد حضر المراسم البابا الاكبر للكاثوليك، وقد شاركنا في حضور المراسم. ومن الطبيعي ان تكون المراسم التي يحضرها البابا وهو شخصيّة عالميّة كبيرة ويتنادى لها جمع كبير من الناس من اطراف المعمورة وتقام في اكير كنيسة في العالم - من الطبيعي ان تكون مراسم ضخمة وجلييلة. وهم يرتدون الملابس السوداء في هذه المراسم ويضيئون الشموع ويتلون الأناشيد الدينيّة بصورة هادئة، وهي تشبه قراءة المراثي عندنا. ولكن كل هذه المراسم لا يساوي الحماس فيها حماس مجلس لقراءة الفاتحة على روح واحد من علمائنا. ولما كان ميلاد السيد المسيح قد مرّ عليه الآن ألفان من السنين فانه يمكننا القول ان مراسم العزاء هذه تمتد الى ما يناهز الالفى عام، وهي مورد احترام الناس طيلة هذه الفترة، ولكنها تقام بهذه الصورة الباهتة والعاديّة. ولو قارنتم هذه المراسم الى مجالس العزاء التي تقام في مدينة قم أو طهران لوجدتم الفاصلة الكبيرة بين المحبّة التي يبديها المسلمون - ولا سيّما شيعة اهل البيت ﷺ - من اعماق انفسهم، والمحبّة والاحترام الذي يبديه اتباع اكير الأديان في العالم وتلك التنظيمات والمؤسسات الضخمة للسيد المسيح ﷺ.

وعلى كلّ حال فأنتم تعرفون وتلمسون ان كيفة المراسم التي تقام لسيد الشهداء ﷺ لا يمكن مقارنتها الى آية مراسم اخرى.

ويُضاف الى هذه الامور الوان التضحيات التي قام بها الشيعة في طول التاريخ، وقد قاموا بهذه التضحيات لتتيسر لهم اقامة هذه المراسم وليفوزوا بزيارة قبر سيد الشهداء عليه السلام. ففي السابق لم تكن اقامة هذه المراسم وزيارة قبره الشريف بهذه السهولة، والآن ايضا ليست سهلة، ولكنه مرّ زمان كان عليّ من ينوي زيارة قبر سيد الشهداء عليه السلام ان يضع روحه عليّ كفه. وكان أزام الدولة العباسية ولا سيما في زمان المتوكّل العباسي يتشدّدون كثيراً حتّى لا يجرؤ أحد من الاقتراب من الحرم الحسيني، وبالتالي هدموا قبر سيد الشهداء واجروا المياه عليه واعدّوا تلك الارض للزراعة حتّى تذهب تماما آثار القبر الشريف. ولكنّ شيعة اهل البيت عليهم السلام كانوا مستعدّين لقطع الأيدي والأرجل وتقديم ارواحهم لمجرّد ان يُسمح لهم بزيارة قبر سيد الشهداء عليه السلام وتقديم التحيّة والسلام عليه من كتب. انّ هذه المواقف لا نظير لها قطعاً في تاريخ البشريّة كلّها. لو قلنا بانّ لواقعة كربلاء شبهاً بسائر الحوادث من جهات اخرى، فانها من هذه الجهة لا تشبهها أيّة حادثة اخرى، ولا تُقارَن اليها أيّة واقعة في العالم.

ومن الواضح انّ هذا الأمر لم يحدث صدفة، وصحيح انّ الله تعالى قد غرس في قلوب المؤمنين عشقاً لسيد الشهداء عليه السلام، ففي هذا المورد يوجد عامل غيبي، ولكنّ الافعال الالهية لا تتمّ عادةً من دون اسباب ظاهريّة، ويعتبر من باب الاستثناء ان يتمّ فعل أحيانا من دون اسباب ظاهريّة. اذن ليس من الصدفة ان يعشق الشيعة الحسين عليه السلام الى هذا الحدّ. وحتى السنّة بل وحتى عبدة الاصنام قد وجدوا بركات وآثار هذه المراسم. لعلّ الأهمّ من كل هذه ما ورد من توصيات مسبقه من نفس النبي الاكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام وتأكيد على زيارة الحسين عليه السلام واقامة العزاء والبكاء عليه واحياء المآتم. وهي تأكيدات عجيبة مثل انّ للسلام عليّ سيد الشهداء عليه السلام ثواب حج وعمره. انّ السلام الذي يتمّ بحضور القلب ومن اعماق النفس

يمكن ان يُكسب صاحبه ثواب الحج المستحب. هكذا ورد في ثواب وفضيلة زيارة سيد الشهداء، والكتب الروائية مليئة بمثل هذه التأكيدات. التفتوا الى نفس سلوك الأئمة الطاهرين عليهم السلام في احياء هذه المراسم، فمثلاً كانوا يهبون الصلوات الوافرة لمن يرثي الحسين عليه السلام أو ينظم الشعر أو يتلوه في العزاء ويثنون عليه ويجلّونه، وكان الأئمة عليهم السلام انفسهم يقيمون مراسم العزاء في بيوتهم المطهرة ويدعون الشعراء اليها ليقرأوا المراثي.

اذن التوصيات اللفظية للمعصومين عليهم السلام وسيرتهم العملية وذكر ألوان الثواب لمن يزوره عليه السلام أو يقيم العزاء له، وبالتالي العشق الذي غرسه الله سبحانه في قلوب المؤمنين الطاهرة - كل هذه قد جعلت واقعة كربلاء بصورة واقعة منحصرة بفرد في التاريخ البشري.

ما هي آثار هذه الامور في حياة الناس؟

نحن نعتقد ان منزلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أرفع من منزلة الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فلماذا لا نقيم مثل هذا العزاء في مناسبة وفاة النبي صلى الله عليه وآله؟ فمع كون منزلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ارفع من منزلة جميع الأئمة الطاهرين عليهم السلام لكنه لم ترد مثل تلك التأكيدات على زيارته واقامة العزاء عليه. لدينا اثنا عشر اماماً معصوماً، واذا كان لابد من التفضيل في منازل الأئمة عليهم السلام فان منزلة امير المؤمنين عليه السلام ارفع منهم جميعاً حسب ما ورد عنهم سلام الله عليهم. وصحيح أننا نقيم مجالس ضخمة للعزاء في مناسبة استشهاد امير المؤمنين عليه السلام، ولكن هذه لا تُقاس الى مجالس العزاء على سيد الشهداء عليه السلام. آية خصوصية تكمن في مصيبة الحسين عليه السلام بحيث تنال كل هذه الأهمية ويرد فيها كل هذا التأكيد؟ دع عنك جانباً الروايات القائلة أنه منذ زمان آدم عليه السلام كان هناك ذكر وبكاء على مصيبة الحسين عليه السلام، فهناك روايات تؤكد ان جميع الأنبياء والأولياء وملائكة السماء قد بكوا على سيد الشهداء عليه السلام. وما هي ميزة الامام الحسين عليه السلام

بحيث جعلت النبي الأكرم ﷺ يقول في حقّه: «حسين مَنّي وانا من حسين»^(١) ان معنى «حسين مَنّي» واضح، ولكنّ المهمّ جدّاً هو معنى «و انا من حسين». او العبارة المشهورة التي تكتب عادة على مداخل الحسينيات وهي مقتبسة من هذه الرواية الشريفة:

«انّ الحسين بن علي في السماء اكبر منه في الارض فأنّه لمكتوب عن يمين عرش الله مصباح هدى وسفينة نجاة»^(٢).

فالحسين ﷺ مصباح هدى وسفينة نجاة، مع انّ جميع ائمتنا عليهم السلام كانوا مصابيح هدى وسفن نجاة. حيث نقرأ في الزيارة الجامعة: «انتم الصراط الاقوم... والباب المبتلى به الناس من اتاكم نجى ومن لم يأتكم هلك».

فجميع اهل البيت عليهم السلام كانوا هكذا. فأية ميزة ينفرد بها الحسين ﷺ من بينهم؟ لا شك انّ شخصيّة سيد الشهداء والظروف التي اكتنفت حياته الشريفة بتقدير الله سبحانه قد اضفت ميزة على حياته ﷺ ولا سيّما على استشهاده بحيث تنشأ منها كل هذه البركات. ونحن نعتقد ان جميع الأئمة الطاهرين عليهم السلام هم من نور واحد، وايّ امام آخر لو كان في مكان الامام الحسين ﷺ فأنّه كان لابد ان ينقذ نفس المنهج وينهض بنفس الدور.

واذا لوحظ اختلاف في سلوك الأئمة عليهم السلام فان ذلك عائد الى الظروف الاجتماعية ومقتضيات زمان كلّ واحد منهم. فالامام الحسن ﷺ قاتل أولاً ثمّ صالح. وما هو مشهور من انّ الامام الحسن ﷺ كان رمزاً للسلام في مقارنته مع الامام الحسين ﷺ لا يعني انّ هناك ذوقين وقراءتين للاسلام، قراءة تتّصف بالسلام وقراءة اخرى تميّز

١. بحارالانوار، ج ٤٣، ص ٢٦١، الباب ١٢، الرواية ١.

٢. نفس المصدر السابق، ج ٣٦، ص ٢٠٤، الباب ٤٠، الرواية ٨.

بالعنف، كلاً، فنحن نعتقد أنّ الامام الحسين عليه السلام لو حلّ محلّ الامام الحسن عليه السلام للزم ان يتصرّف كما تصرّف الامام الحسن عليه السلام، ولو عاش الامام الحسن عليه السلام ظروف الامام الحسين عليه السلام لوقف موقف الامام الحسين عليه السلام. وكذا الأمر في سائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام. فالاختلاف في الأساليب والسلوك بينهم إنّما هو بسبب الظروف الاجتماعية الخاصة التي كانت تقتضي هذه الواجبات. اذن فالظروف الخاصة التي احاطت بأبي عبدالله الحسين عليه السلام قد وفّرت الأرضية ليقوم عليه السلام بدور في تاريخ البشرية وهداية الناس لم يتيسّر نظيره لأيّ انسان آخر. فالظروف هي التي عيّنت مثل هذا السلوك، أو باللغة الدينية أنّه التقدير الالهي واردة الله سبحانه، لأنّ الظروف الاجتماعية هي أيضاً بيد الله، وكلّ شيء لا بدّ ان ينتهي الى الارادة الالهية المطلقة. إنّ هذين الأمرين هما وجهان لعملة واحدة، فسواء قلنا أنّ الله تعالى قد منح هذه الميزة للامام الحسين عليه السلام أو قلنا ان ظروف الحياة التي احاطت بالامام الحسين عليه السلام اقتضت هذه الميزة فإنّ القولين بمعنى واحد، لأنّ الظروف أيضاً تابعة لارادة الله وهي تجري حسب التقدير الالهي.

وهنا ينبغي لنا ان نبحث كيف اكتسب سيد الشهداء عليه السلام هذه الميزة بحيث استطاع ان تكون له كلّ هذه البركات، وينجح الناس بواسطة اقامة العزاء على مصيبتة في تأمين مصالحهم الدنيوية والأهمّ منها مصالحهم الاخروية، لأنّ الدنيا بالنسبة للمؤمن ليست إلاّ مقدّمة للتكامل الاخرويّ، فالحياة الأصليّة هناك، وتمثّل الحياة الدنيوية المرحلة الجنينيّة بالنسبة اليها، اما الحياة الحقيقيّة فهي تبدأ بعد الموت، يقول تعالى:

«وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ»^(١)

الحياة الواقعيّة هي التي تعقب هذا العالم.

وعلى كل حال فمصالحنا الدنيوية ومصالحنا الاخروية انما تتحقق ببركة التوسل بسيد الشهداء والاهتمام باقامة العزاء عليه والبكاء على مصيبته واظهار المحبة له. وكل واحد منا قد سمع بما لا حصر له من المعاجز والكرامات الحاصلة في مجالس العزاء بحيث ان كل ما يمكنني ان اقله في هذا المجال يكون مثل ناقل التمر الى هجر، ولهذا سوف لن اتحدث في هذا المضمار. حتى ان التراب المأخوذ من الطين الذي يمسح به اصحاب العزاء جبهاتهم قد ادى الى شفاء عيون آية الله العظمى السيد البروجردي عليه السلام. فقد اصيب عليه السلام بالآلام في العيون استعصت على العلاج، وحلت ايام ذكرى عاشوراء وهو في مدينة بروجرد، فجاءت الى بيته هيئة عزاء اللطم على الصدور، وكان اصحاب العزاء قد لطموا رؤوسهم ووجوههم بشيء من الطين اظهاراً للحداد، فقام عليه السلام بأخذ شيء من ذلك التراب ومسح به عيونه فكان العلاج الناجع له ولم ير بعد ذلك آلام العيون الى آخر عمره، وكان يقرأ حتى الخطوط الدقيقة من دون استخدام للنظارات، كل هذا من بركات الطين الذي يمسح به جبهات اصحاب العزاء على سيد الشهداء عليه السلام. وهناك الى ما شاء الله من هذه الكرامات والمعجزات. ونحن بهذه القطرات من الدموع التي نسكبها في مراسم العزاء نشعر اولاً بنورانية خاصة في ارواحنا، ثم بعد ذلك تفضي حاجات لنا وتُدفع عنا الوان من البلاء والمصائب ونحن لا ندري. وهناك ملاحظة اود ان اذكرها بين قوسين وقد اشير اليها في الأدعية وهي اننا نعدّ - غالباً - الحاجات التي طلبناها من الله تعالى واستجيب دعائنا وحصلنا عليها، ولكننا لا نعلم كم هي المصائب التي كانت متجهة الينا وقد دفعها الله عنا ونحن غير متبهين، اذن ببركة سيد الشهداء تنزل على الناس بركات عديدة، وتُدفع عنهم بلايا ومصائب تفوق تلك البركات بعشرات المرات ونحن لا نعلم ولا نذكرها في الحساب. اذا كان الأمر كذلك أليس من حق الناس ان يهتموا كل هذا الاهتمام بالبكاء والعزاء؟

قداسة نهضة عاشوراء وامتناع تحريفها:

الى هنا تحدّثنا عن أهميّة وضخامة هذه الحادثة وما لها من آثار عظيمة في المجتمع خلال ثلاثة عشر قرناً. وهناك موضوع آخر طالما سمعتموه من العلماء والواعظين وهو أننا اذا درسنا حياة وشخصيّة أيّ واحد من أنبياء الله وأوليائه فسنجد ألواناً من الابهام والغموض - حتّى في زمانهم - يكتنف شخصياتهم وسلوكهم واقوالهم، واما بعد وفاتهم فقد تضاعف الغموض واشتدّ الابهام. والنبّي الأكرم ﷺ ذاته قد اتّهم - مثل سائر الانبياء - بأبشع التهم، فقيل أنّه مجنون قد فقد عقله فلا تستمعوا اليه! وقالوا أنّه ساحر، كانوا يوصون الشباب انكم اذا رأيتم النبي يتحدث فاجعلوا اصابعكم في آذانكم أو الجأوا الى حشو آذانكم بالقطن حتّى لا تسمعوا كلامه لانه ساحر يسحركم بأقواله.

كلّ هذه التهم قد ألصقوها بالنبي الأكرم ﷺ، وهو نفسه ﷺ قد تنبأ بأن اكاذيب كثيرة سوف تنسب اليّ بعد وفاتي، ليس من قبل الأعداء الكفار، وأنما من بين اتباعه الذين قالوا انا آمنا بك. وهكذا حدث، فقد روي عنه ﷺ:

«قد كثرت عليّ الكذّابة وستكثر»^(١)

ثمّ انه ﷺ قد عيّن معياراً لكي نميّز بواسطته بين الحديث الصحيح والحديث الموضوع، وذلك بان نعرض الحديث على القرآن الكريم فان خالف القرآن فاعلموا اني لم أقله، وبالإضافة الى ذلك فقد قام الأئمة الطاهرون ﷺ - باعتبارهم الخبراء في العلوم الالهية - بالتبنيه على الأحاديث الكاذبة وتحذير الناس منها. مثلاً في زمان الامام الرضا ﷺ صحّحت الروايات المنقولة، ثمّ على اساس ذلك ألف كتاب «عيون اخبار الرضا ﷺ». وقد حدثت مثل هذه الظروف في زمان الامام الصادق ﷺ

فقد قام ابوالخطّاب وآخرون بجعل أكاذيب فتصدّئ لها الامام عليه السلام وغربلها وبين الأحاديث الصحيحة.

وعلى كل حال فالآن اذا أردنا ان نعرف الأحاديث التي صدرت قطعاً من النبي الأكرم عليه السلام ويُسلم بها جميع المسلمين على اساس أنّها كلام النبي عليه السلام فإن عدد هذه الأحاديث ليس كثيراً. وقد حاول البعض ان يعدّها ولكن عددها على آية حال ليس كثيراً. أمّا الروايات المجعولة فهي الى ما شاء الله. وقد آلفت كتب كثيرة من قبل الشيعة والسنة حول الروايات المنسوبة كذباً للنبي الأكرم عليه السلام.

والموضوع الذي كان واضحاً كالشمس في زمان النبي عليه السلام - وان كان البعض يحمل هذا على التعصّب - هو هذه الحقيقة وهي ان النبي الأكرم عليه السلام قد بين للناس خليفته منذ الأيام الأولى التي جهر فيها بدعوته، فقد نزل الوحي بهذه الآية الشريفة:

«أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (١)

فذبح عليه السلام ذبيحة ودعا عمومته وأبناءهم واقرباءه وقال لهم انّ اول من يؤمن بي سيكون خليفتي. ولم يؤمن به أحد منهم سوى شاب لا يزيد عمره آنذاك على عشر سنين أو ثلاث عشرة سنة على اكثر التقادير، وهو امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام. وبعض الشخصيات من قريش ممن كان حاضراً التفت الى ابي طالب ضاحكاً وقال ما معناه: انه لن يمرّ وقت طويل حتى تصبح تابعاً لولدك. أي أنّه يسخر من هذا الوضع حيث انّ علياً عليه السلام قد اصبح خليفة للرسول عليه السلام، فسيصبح رئيساً وتصبح انت يا ابا طالب تابعاً له.

وقد أكد النبي عليه السلام طيلة حياته الشريفة على هذا الموضوع كثيراً وبصور متنوعة، فقد قال لعلي عليه السلام مثلاً:

«انت متي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي» (٢)

وهناك روايات كثيرة في هذا المجال ينقلها الشيعة والسنة. حتى انتهى الأمر في حادثة الغدير وذلك قبل وفاته ﷺ بسبعين يوماً، والجميع يعرف ما جرى في غدير خم حيث جمع النبي المسلمين تحت حرارة الشمس المحرقة ووقف ﷺ رافعاً يده علياً قائلاً:

«من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»^(١)

لم يكتب الرسول ﷺ بالتأكيدات المتعددة المتنوعة علي هذا الموضوع خلال عشرين عاماً حتى بين خلافة علي عليه السلام في الأيام الأخيرة من حياته الشريفة ﷺ بهذه الصورة التاريخية. وقد أظهر الناس العجب لماذا يجمعنا الرسول الأكرم ﷺ هنا وفي هذا الظهيرة المحرقة.

ولم يمر سوى سبعين يوماً علي واقعة غدير خم حتى ارتحل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فاجتمع المسلمون، هم انفسهم اصحاب بدر وحنين، ليعينوا خليفة للنبي ﷺ، فاقترح بعضهم ان يكون خليفته ﷺ من بين المهاجرين، وقال البعض الآخر انه لا بد ان يكون من الأنصار، وحاول البعض ان يكون منصفاً فقال بتعيين اميرين: «منا امير ومنكم امير»^(٢) والشيء الذي لم يطرح ولم يولده احد اي اهتمام هو انه قبل سبعين يوماً فقط ماذا قال النبي ﷺ نفسه؟ ولماذا جمعنا في غدير خم في ذلك الحر الشديد؟ ولماذا أكد النبي ﷺ مراراً خلال عشرين عاماً علي خلافة علي عليه السلام؟ لقد قاموا بتحريف اقوال النبي ﷺ وسيرته، حتى ان بعض أزواجه قد وجهت اليه ﷺ التهم. اقرأوا سورة التحريم ولاحظوا القرآن الكريم كيف يتحدث عن بعض ازواج النبي ﷺ وبأية نعمة؟

لقد اشرنا فيما سبق إلى امير المؤمنين عليه السلام، وانتم مطلعون علي ان علياً عليه السلام يعرف

بشيئين في كل العالم. أينما ذكر علي عليه السلام فإنه تتبادر إلى الذهن عدالته وعبادته. فعلي عليه السلام من أعبد الناس وأعدلهم. فهو عليه السلام يصلي النافلة في الوقت الذي يكون فيه مشغولاً بحرث المزرعة واعمارها. كان يصلي في اليوم واللييلة خمسمائة أو ألف ركعة. وكان الجميع يعرف هذا عنه. ولكنّه عندما وصل نبأ استشهاد الامام علي عليه السلام في مسجد الكوفة قال الناس في الشام: هل كان علي عليه السلام يصلي؟ وهكذا الأمر بالنسبة لسائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام والشخصيات الدينية الكبيرة، كل واحد منهم قد أتهم بشكل من الأشكال. وأقوى حجة على جميع الناس هو القرآن الكريم. فمذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام وحتى نهاية الحياة الانسانية على وجه الكرة الارضية لا توجد حجة أوضح وأبلغ وأكثر هداية من القرآن الكريم. لكن القرآن نفسه قد تعرّض للتفسير الخاطيء، والآن يتعرّض لمثل هذا التفسير ايضاً. ان جميع الطوائف الاسلامية ومع كل ما لديهم من اختلافات في مذاهبهم فأنهم يتمسكون بآيات القرآن بنحو من الأنحاء. فبالنسبة إلى موضوع معين يتمسك بآيات القرآن من يشته ويتمسك بها ايضاً من ينفيه. فالقاتلون بالجبر والقاتلون بالتفويض كلنا الفئتين تتمسك بآيات القرآن. أي ان القرآن يصبح مبهماً. اما لماذا صبغ القرآن الكريم بشكل بحيث يمكن تفسيره بأشكال مختلفة؟ هذا موضوع مستقل ويحتاج إلى بحث مفصل. لكننا نقطع بوجود عامل التعمد في هذه الاحداث. أي ان هناك أشخاصاً يتعمدون في تفسير القرآن حسب آرائهم ورغباتهم. ولا يمكن اعتبار كل هذه الأعمال ناشئة من الجهل والاشتباه والخطأ.

لقد حدثت ألوان من التحريف المعنوي ومسخ الشخصيات وإصاق التهم والافتراءات بكل حجة الهية. وأوضح الحجج هو القرآن الكريم وتوجد فيه هذه الابهامات. وأرفع الانبياء وهداة الناس هو نبي الاسلام الأكرم عليه السلام ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام، وألوان الابهام تحيط بهاتين الشخصيتين العظيمتين، بعد مرور

خمس وعشرين عاماً على وفاة النبي ﷺ بادر إلى البيعة مع امير المؤمنين عليه السلام نفس اولئك الأصحاب المقرّبين وبعض اقارب امير المؤمنين عليه السلام، مثل الزبير الذي هو ابن عمّة النبي ﷺ وعلي عليه السلام. لقد كان هؤلاء من اوائل الناس الذين بايعوا علياً عليه السلام، وبعد عدّة ايام قالوا انّ علياً هو قاتل عثمان، وشنّوا الحرب على علي عليه السلام بذريعة المطالبة بدم عثمان. وشبهوا الأمر على الناس وأوهموهم بكون عثمان قد قُتل بيد علي عليه السلام، فلا بدّ من مقاتلته. انّ نفس هؤلاء الذين بايعوا علياً عليه السلام قد شنّوا حرب الجمل ثم شنّوا سائر الحروب عليه.

ونحن اليوم عندما نتحدّث مع الاخوة السنّة حول الاسلام أو حول شخصيّة الرسول الأكرم ﷺ وسيرته وأقواله فإنّ هناك موارد من الابهام. ولنضرب مثلاً بسيطاً حتّى تعرفوا مدى الابهام الموجود. لقد كان النبي الأكرم ﷺ طيلة ثلاث وعشرين سنة من رسالته الالهية محشوراً مع الناس، فقد كان من أكثر الأنبياء شعبية ومن اقرب القادة الى نفوس اتباعه، كان يجلس مع أصحابه بحيث اذا دخل غريب الى المسجد فإنّه لا يعرف ايّ الجالسين هو النبي ﷺ. هكذا كان بسيطاً في معيشته وسلوكه، وكلّ أعماله وتصرفاته كانت تتمّ امام أعين الناس. فهل من المعقول انّ الناس لم يشاهدوا النبي ﷺ كيف يتوضأ خلال ثلاثة وعشرين عاماً من معاشرتهم له؟ هل من الممكن ان يبقى هذا الموضوع مخفياً عنهم؟ على أقلّ تقدير هناك عشر سنوات شاهد فيها اهل مكّة والمدينة كيف يتوضأ النبي ﷺ، وفي كثير من الأحيان كانوا يأخذون من ماء وضوء النبي ﷺ للتبرك به. ولكنّه بعد مرور فترة من الزمن طرحت هذه المسألة وهي: كيف نصب الماء عند الوضوء؟ ألم يشاهد الناس النبي ﷺ وهو يتوضأ؟ انّ هذا الموضوع لم يكن سرّياً، وهل هناك ما هو ابسط من هذا الأمر؟

هناك أشخاص كانوا يحبون الاقتداء بسيرة النبي ﷺ والتأسي به، ولكنّه كانت

هناك عوامل تبذل قصارى جهدها لايجاد الابهام، وعلى رأس هذه العوامل كان الشيطان، وشياطين الانس يعينون في هذا المجال.

ومن بين جميع هذه الحوادث ومن بين جميع الأقوال وألوان السلوك التي صدرت من الأنبياء والأولياء كان الشيء الذي استعصى على التحريف والمسوخ ولم يتيسر تفسيره بشكل خاطئ هو أنّ الامام الحسين عليه السلام قد استشهد من أجل ترويح الدين، وقد استشهد معه في هذا السبيل جميع أصحابه، وحتى طفله الرضيع قد ذبح بين يديه. إنّ هذا التاريخ اليقيني لم يستطع أحد أن يحرفه. نعم هناك اختلافات في بعض الجزئيات، مثل عدد الذين جاءوا لقتال الحسين عليه السلام من الكوفة هل كان عددهم ثلاثين الفاً أم مائة وعشرين الفاً؟ أقلّ من ذلك أم أكثر؟ من الطبيعي أنّ القيام باحصائية دقيقة ليس امراً سهلاً. وفي سائر القضايا ايضا توجد مثل هذه الاختلافات. أمّا أصل هذه الواقعة وإنّ الامام الحسين عليه السلام نهض من أجل احياء دينه واستمرّ حتى استشهد عطشاناً وحتى تمّ أسر عائلته وأطفاله، فهذا أمر غير قابل للتحريف. فلا يمكن القول إنّ هذا الأمر لم يتحقّق، ولا يمكن القول أنّه قد تمّ من اجل الظفر بالدنيا. أما كان هناك سبيل أسهل وأفضل من هذا للحصول على الزعامة والمنزلة الدنيوية؟ من يبحث عن الزعامة عندما يلاحظ أنّ حياته في خطر فأنه يجد سبيلاً للصالح والسلام. وقد اقترحوا عليه ذلك ليلة عاشوراء، وقالوا له يوم عاشوراء: تعال وبايع يزيد بن معاوية لتبقى سالماً، فرفض هذا قائلاً «هيهات مني الذلّة»^(١) وجرّت قصة الحرّ الرياحي وسائر الحوادث.

ويُضاف الى ذلك ما نعتقد به وهو ثابت بأسناد صحيحة ومتظافرة وتؤيّد قرائن كثيرة وهو أنّ الامام الحسين عليه السلام كان يعلم من قبل أنّه سوف يُقتل. وحتى لو زعم

أحد بأنه لم يكن لديه علم الامامة والالهام الالهيّ فأنه كان يعلم باستشهاده بناءً على الأحاديث الواردة عن النبي الأكرم ﷺ. وقوله ﷺ «كأنّي بأوصالي يتقطّعها عسلانُ الفلوات بين النواويس وكربلاء»^(١) وكذا الرؤيا اثناء النوم مثل ما جرى لعلّي الأكبر ﷺ.

إذا أضفنا هذه الامور الى بعضها تبين لنا أنّ الامام الحسين ﷺ كان يعلم بانّ الشهادة هي آخر المطاف في هذه الواقعة، ومع ذلك استصحب معه نساءه وأطفاله، فهل تمّ هذا من أجل الحصول على الأموال؟ أم من أجل الظفر بالزعامة؟ أم من أجل نيل الشهوات الدنيويّة؟ أية شهوة للانسان يمكن اشباعها في صحراء كربلاء؟ لا يمكن اطلاقاً تفسير هذه الحادثة بأنّها نهضة من أجل الدنيا وطلب الزعامة والقدرة والقوة. انه قدّم نفسه للقتل لا لشيء الا لإحياء دين جدّه ﷺ.

نعم قد يتصوّر البعض ان الحسين ﷺ قد اخطأ، فبعض المتعصّبين والنواصب المنتسبين الى الاسلام يقولون: لم يكن من حقّ الحسين ﷺ ان يقوم بهذا العمل، ولكنهم يعترفون بأنه ﷺ قد قام به من اجل احياء الدين.

انّ هذه الحادثة بجميع خصائصها - اي خصائص كونها مؤثّرة في اعطاء خطّ لمسيرة الانسان وتعليمه درساً في الفداء والتضحية - ليست قابلة للخطأ، وهي في كونها قد أتمّت الحجّة على المسلمين - حتّى يعلموا أنّه اذا حدثت ظروف مشابهة لظروف زمان الامام الحسين ﷺ فلا بدّ من القيام بنهضة تشبه تلك النهضة - ليست قابلة للتفسير الخاطي، ولما لم يكن من الممكن تفسيرها بشكل خاطي، ولا يرد فيها أيّ توهم بأنّها كانت من اجل الدنيا والحرص على الزعامة، فلماذا بمجرد ان يتأمل الانسان فيها فإنّ نور الهداية يشعّ في قلبه ويستيقظ ضميره وتتبعث عواطفه

الدينية وينمو في نفسه الاحساس بالمسؤولية. فالذين الذي يستحق ان يستشهد من اجله الامام الحسين عليه السلام مع جميع اصحابه واهل بيته وحتى طفله الرضيع هل من الممكن ان لا نشعر - أنا وأنت - بالمسؤولية ازاءه؟ من أجل هذا كان الحسين عليه السلام «مصباح هدى وسفينة نجاه» فهو مصباح يضيء للانسانية الى يوم القيامة، واي انسان ومن اي مكان ينظر اليه فإنه يكتشف الطريق الصحيح ولا يستطيع احد ان يوجد فيه نقطة مبهمة.

ان هذا وجه من وجوه القضية، حيث لاحظنا المسلمين منذ البداية - وعلى أقل تقدير منذ الأيام الاولى لشهادة الامام الحسين عليه السلام عندما بدأت حركة التوايين - يولون اهمية كبيرة لاحياء ذكرى هذه النهضة المباركة في البكاء والتضحية وكل ما يدل على العشق لاسم الحسين عليه السلام.

يحفظون بكميات ضئيلة من تراب كربلاء بكل احترام وقديسة، حتى اذا ابتلي احدهم بمرض يستعصي على العلاج - والعياذ بالله - قدموا له بمقدار حبة العدس من تلك التربة المقدسة ليأكلها وينال الشفاء ببركتها. هذا وجه، والوجه الآخر للقضية مما ينبغي الالتفات اليه هو: كم حاولوا ان يندرس اسم الحسين عليه السلام؟ ما هو السبب في عداوتهم للامام الحسين عليه السلام؟ ماذا كان يفعل اسم الامام الحسين عليه السلام بحياتهم بحيث كانوا مستعدين ان يقتلوا الناس حتى يمتنعوا عن زيارة الامام الحسين عليه السلام؟ لقد اجرؤا نهرًا من الماء على قبر الامام الحسين عليه السلام حتى تمحي آثاره. عمروا الارض فوق القبر الشريف وبذروها لتخفي الزراعة حقيقة هذا المكان. لماذا كل هذه المحاولات؟ وأي نفع عاد عليهم من هذه العداوات؟

لا نحتاج الى الذهاب بعيداً فهناك من يعيش بيننا من الشيوخ والعجائز وهم يتذكرون جيداً منع اقامة العزاء من قبل سلطنة رضاشاه. لقد منعوا الوعاظ من ارتداء ملابس علماء الدين ومنعوا قراءة الرثاء بصوت مسموع وحظروا اقامة المجالس على

الامام الحسين عليه السلام. كان عمري آنذاك يناهز الخامسة وأتذكر أن الناس كانوا يعتقدون مجالس الغزاء ليلاً ويأتي قارئ الغزاء مرتدياً البنطلون ثم عندما يدخل إلى البيت فانه يغير ملابسه ويرتدي العمامة، ويُعقد المجلس عادة في سرداب البيت ولا يرفع القارئ صوته حتى لا يسمعه افراد قوات الأمن الذين يجوبون الشوارع. ما هي المشكلة التي يوجد لها ذكر اسم سيد الشهداء لحكومة بهلوي؟ لماذا كل هذه العداوة؟

ولماذا اليوم يعادون سيد الشهداء عليه السلام بصورة «متحضرة»؟

أنهم يعتبرون انفسهم مستنيرين في الفكر الديني، والصحيح ان نقول أنهم اصحاب الفكر المظلم الذين لا دين لهم!

لماذا يصرّ هؤلاء على انّ استشهاد الامام الحسين عليه السلام كان قضية عادية أو أنها كانت ردّ فعل للعنف الذي استعمله النبي صلى الله عليه وآله؟ يزعمون انّ النبي صلى الله عليه وآله قد استعمل العنف مع بني امية في غزوة بدر. وهنا في كربلاء جاء بنو امية ليأثروا فأشعلوا نار الحرب وقتلوا ابن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه. فهذه اذن هي نتيجة ذلك العنف!^(١) ومعروف انه في الحرب لا توزع الحلويات.

في غزوة بدر قتل افراد من المسلمين وافراد من الكفار، ولكن القتلى من الكفار أكثر وقد نصر الله المسلمين في تلك الغزوة.

أما «المتحضرون» السائرون في ركاب الغرب فهم يقولون انّ النبي صلى الله عليه وآله قد استخدم العنف مع بني امية في غزوة بدر، فجاء ابناء بني امية وفعّلوا نفس الفعل مع ابناء النبي صلى الله عليه وآله. فهذا امر طبيعي وردّ فعل عادي. كان على النبي صلى الله عليه وآله ان لا يقتل اولئك الآباء حتى لا يقتل اولادهم اولادهم!

١. ليرجع من احب إلى المقال الذي كتبه اكبر گنجي بعنوان «خون به خون شستن آمد محال» ونشره في صحيفة

«صبح امروز» بتاريخ ١٣٧٨/٢/٢٣ - ص ٦، وهو باللغة الفارسية.



ويقول هؤلاء «المستنثرون» أنّ من اراد ان يتعظ بعاشوراء فليأخذ هذا الدرس من هذه المناسبة، وهو: لا تستعمل العنف مع ايّ أحد حتّى لا يُستخدم العنف مع أولادك! هكذا يطلبون من الناس ان يأخذوا الدرس من عاشوراء. ومن وجهة نظر هؤلاء لا بدّ من تعطيل واجب الجهاد والدفاع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر. حتّى لا يتعرّض أحد لآخر بشيء.

اي أنّ الله تعالى عندما أمر:

«قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يَخْزِيهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ»^(١) فأمره سبحانه في غير محلّه والعياذ بالله.

انّ هذه آية قرآنيّة وليست من اقوال شخص مثلي حتّى يتّهم بالعنف أو انه منظر لحركة العنف.

لكنّ هؤلاء المستنثرين يقولون حتّى لو كان القرآن هو القائل فهو مخطئ. لا ينبغي استعمال العنف.

اذن فالله قد اخطأ، والنبي ﷺ قد اخطأ حينما ساهم في غزوة بدر، ونتيجة خطأ النبي هذا أنّه قد قتلوا ولده! وبهذا تتمّ تبرئة يزيد واتباعه. ما كان لهم من ذنب، وكلّ ما فعلوه أنّهم قاموا بردّ فعل طبيعيّ ليس أكثر. عندما يُقتل والد فانّ ابن المقتول يقوم بقتل ابن القاتل.

ثمّ يأتون ليطلقوا على هذا اسم الاسلام المتحضّر أو أنّها قراءة جديدة للاسلام! وتطبع هذه الامور في صحف الجمهوريّة الاسلاميّة الواسعة الانتشار، وتُسَمّم بها افكار الشباب حتّى تصبح نظرة ابنائنا للحسين ﷺ بهذه الصورة.

لماذا يعادي هؤلاء الامام الحسين ﷺ؟

الجواب واضح جداً لأنّ الحسين ﷺ مصباح هداية ولا يترك الجوّ مظلماً حتّى

ينورّط الناس في الضلال. أنه ﷺ يضيء الطريق ويبين للناس واجبههم، ماذا عليهم ان يعملوا؟ وكيف يدافعون عن دينهم؟ ولا يترك الناس ليفقدوا غيرتهم بذريعة التساهل والتسامح.

أنها صرخة الحسين ﷺ: «هيهات منّا الذلّة». ماذا يستطيعون ان يعملوا مع هذه المدرسة؟ هل يستخدمون اسلوب الترغيب والتطميع ليعرضوا عليه الاموال؟ وهل قبل الحسين ﷺ عرض الاموال عليه؟ وهل وافق على عرض الرئاسة عليه؟ وحتى اذا هدّوه بالقتل فأنه على أتم الاستعداد للشهادة هو وأطفاله، وقد فعلها صلوات الله عليه.

وإذا أصبح الانسان من أتباع الحسين ﷺ فانه لا يتأثر من الوان التطميع ولا يخاف من انواع التهديد.

ومن عاش أحداث نهضة الامام الخميني ﷺ قبل انتصار الثورة يتذكّر كيف كان الشباب يفتحون صدورهم أمام ازلام نظام بهلوي يقولون لهم: اطلقوا النار علينا فنحن لا نخاف من الموت. وقد كان هذا رمزاً للنصر. من لا يخاف الموت فهو منتصر.

كان اصحاب الحسين ﷺ يعشقون الموت ليلة عاشوراء، وقد استعمل الشيوخ منهم الخضاب. فهل يمكن الحاق الهزيمة بهذه المدرسة؟ كلاً، إلا اذا نجح المفرضون في تحريفها وتضليل الناس عن حقيقتها.

اذن لماذا يعشق الحسين ﷺ المسلمون الحقيقيون الذين ارتضعوا العزّة والكرامة مع لبن أمهاتهم؟

ولماذا يعادي الجبناء والعملاء اسم الامام الحسين ﷺ؟

الجواب واضح كالشمس في رابعة النهار: لأن الحسين ﷺ مصباح هداية ولا يترك الناس يتيهون في طريق الضلال.

الأرضية لنهضة عاشوراء (١)

- السوابق التاريخية لواقعة عاشوراء
- الأرضية الاجتماعية لانحراف المجتمع
- عوامل انحراف المجتمع
- التشابه بين مجتمعنا والمجتمع الذي عاش فيه الامام الحسين عليه السلام
- ما هي سبيل التصدي للسياسات الشيطانية؟

طرحنا فيما سبق عدة أسئلة، وهدفنا هو تقديم أجوبة على مثل هذه الأسئلة التي تطرح بشكل طبيعي على الشباب، ونسعى جهد امكاننا ان تكون الأجوبة واضحة ومقنعة حتى نؤدّي جانباً من مسؤولياتنا ازاء ثقافة عاشوراء. والاجوبة حاضرة عند الكثير بصورة اجمالية لكنها قد تكون غائبة عن بعض الشباب بصورتها التفصيلية في مقام البحث والمناقشة.

مثلاً طرح سؤال يقول: لماذا لا بدّ من اقامة العزاء على سيد الشهداء؟ ثمّ طرح هذا السؤال: لماذا يركّز المؤمنون اهتمامهم على احياء ذكرى سيّد الشهداء من بين الأئمة الاطهار عليهم السلام فيقام العزاء غالباً على الامام الحسين عليه السلام؟ ولماذا تذكر الروايات خصائص معينة لسيد الشهداء عليه السلام؟ ولماذا تحتلّ هذه الاهتمامات ومجالس العزاء مكاناً رفيعاً في الثقافة الشيعية؟

قدّمنا فيما مضى بعض الأجوبة في هذه المجالات.

وإذا تعمّقنا في السؤال أكثر وجدنا أنفسنا أمام سؤال يقول: لماذا لا بدّ ان تحدث ظروف على الرغم من أنه لم ينقُص زمان طويل على وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بحيث يستشهد حفيده المفضّل عنده بتلك الصورة الفاجعة بحيث اذا لم نقل انها لا نظير لها فإنه يمكن القول أنها قليلة النظير. ولعلّ الباحث يستطيع ان يجد بعض ما يشبه أحداث كربلاء في التاريخ، ولكنّه لا يوجد نظير في التاريخ لكلّ هذه المجموعة من

الأحداث والمصائب التي تعاقبت في كربلاء في أيام قليلة متتالية. ومن الواضح أننا لا نحيط علماً بتاريخ كل بقاع الارض، لكنّه في حدود ما سمعناه وما نُقل اليها فأنّه لا توجد حادثة أخرى تتميز بكلّ هذه الخصوصيات.

وعلى كلّ حال فقد كانت القضية فاجعة كبيرة، حتّى اذا فرضنا أنّ كثيراً ممّا تنقله كتب المقاتل وما يقرأه اصحاب العزاء ليس له سند معتبر فان المطلعين على التاريخ وكتب المقاتل يعلمون أنّ كثيراً من تلك الأحداث قد وقعت. فهناك مجموعة من القضايا اليقينيّة التي لاشكّ ولا ترديد في وقوعها، وحتّى اذا اقتصرنا على هذه الموارد اليقينيّة فأنّها تثبت ان تصرفات اعداء الامام الحسين عليه السلام كانت قاسية جداً لا رحمة فيها وهي بعيدة جداً عن الانصاف والانسانيّة وحتّى عن الأخلاق العربيّة. فقد تميّز العرب من بين الامم بصفات يفتخرون بها ويعتبرونها من الصفات الرفيعة وهي كذلك، ومن جعلتها كرم الضيافة فهي من صفات العرب القديمة ولا تزال لحدّ الآن، وهي صفة ممتازة يتحلّون بها، فاذا حلّ ضيف على عربي ولم يأكل ولم يشرب شيئاً ممّا يقدّمه له صاحب البيت فإنّ هذا التصرف يعتبر بمنزلة اعلان الحرب عليه.

هكذا ينظر العرب الى أهميّة اكرام الضيف. ومع هذه التقاليد فقد وجّهوا دعوة من خلال كتابتهم لإثنتي عشرة الف رسالة للامام الحسين عليه السلام ومن معه ثمّ امتنعوا حتّى عن اعطاء طفل الامام الحسين عليه السلام الرضيع الذي لم يتجاوز عمره ستة اشهر جرعة من الماء بل ذبحوه وهو عطشان.

هل يمكننا ان نجد نظيراً لهذه القسوة في تاريخ العالم؟!

لماذا حدثت هذه المصائب؟ وكيف أمكن وقوع هذه الحادثة العظيمة بتلك الأحداث التي يصعب تصوّرها وهضمها بحيث لا يصدّق الانسان سهولة أنّها قد وقعت؟
انّ هذا السؤال قد يطرح من ايّ شخص ولاسيّما من الشباب الذين لا يتمتّعون

بخبرة طويلة في الحياة، فهم يتساءلون باستغراب: لماذا حدث هذا؟ هل إن مجموعة كافرة جاءت من خارج الحدود الاسلامية لتتترف هذه الجريمة البشعة؟ هل ان الذين تعاملوا بهذه المعاملة القاسية مع ابناء رسول الله ﷺ كانوا من الكفار والمشركين ام من اليهود والنصارى؟

ان التاريخ يرفض هذا ويؤكد انهم لم يكونوا من هؤلاء. فمع ان القرآن الكريم يقول: «أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ»^(١)

ولكن احداً لم يُلصق باليهود تهمة قتل الامام الحسين ﷺ واصحابه. ولم يزعم أحد ان قاتليه ﷺ هم من النصارى أو أتباع زردشت، ولم يقل احد انهم من المشركين.

كيف أقدم المسلمون أنفسهم على مثل هذه الجريمة الشنعاء وهذا الذنب العظيم؟ انه سؤال مهم وحيوي ويحتاج الى جواب واضح ومفصل.

وللوصول الى مثل هذا الجواب لابد -على أقل تقدير- من استعراض تاريخ صدر الاسلام -بعنوان انه مقدمة للجواب- منذ عصر ظهور النبي ﷺ ثم عصر الخلفاء. ولكي يكون الجواب واضحاً ومقنعاً لابد ان نقوم بدراسة ذلك التاريخ بصورة تحليلية، الا ان القيام بهذه الدراسة التحليلية ليس من مجالات تخصصي العلمي ولا هو مناسب لهذا المجال المحدود. اذن سوف نقوم بمرور اجمالي على ذلك التاريخ طالبين من الراغبين في التوسع ان ينهضوا بالتحقيق في هذا المضمار.

السوابق التاريخية لواقعة عاشوراء:

في زمان حياة النبي الأكرم ﷺ كان يعيش بين المسلمين بعض من لم يعتقد

بالاسلام ولكنه أسلم مُكرهاً وتظاهر بالاسلام لأغراض معينة. وقد أكدت هذا الموضوع آيات من القرآن الكريم، وقد نزلت سورة كريمة اسمها «المنافقون»، وقد جرى الحديث في الاسلام - في موارد متعددة - عن المنافقين وهم الذين يظهرون الايمان ولكنهم في الحقيقة كاذبون، وحتى أنهم يُقسمون على اظهارهم الايمان، يقول تعالى: «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ»^(١).

وهناك آيات كثيرة تشير الى وجود هذه الفئة بين المسلمين وتؤكد ان هؤلاء لم يؤمنوا بصورة واقعية. واحياناً يعدّ القرآن الكريم حتى اصحاب الايمان الضعيف والمتزلزل من جملة المنافقين، فيقول مثلاً في وصفهم: «... وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُنُسًا يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَلا يُذَكَّرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا»^(٢).

فهم يؤدّون الصلاة في المسجد ولكن من دون رغبة أو رياء ولا تكون صلاتهم ذكراً لله.

وهناك شواهد عديدة في القرآن الكريم تدلّ على ان ضعفاء الايمان ومن لم يصل ايمانهم الى حدّ التصاب معدودون من جملة المنافقين. ومن الواضح اننا الآن لسنا بصدد تعيين مصاديق هذه الآيات الكريمة. بعض هؤلاء قد اسلم بعد فتح مكّة وقد مسح الرسول الأكرم ﷺ على رؤوسهم بيد الرأفة والشفقة على الرغم من كل ما أبدوه من عداوة واحقاد، واسماهم النبي ﷺ بـ «الطلقاء» اي الذين اطلق سراحهم، ومن جملتهم كثير من بني أمية. وقد عاش هؤلاء فيما بعد بين المسلمين وعاشروهم وتزاجوا معهم. إلا ان كثيراً منهم لم يوفق للايمان الواقعي. ولم يقتصر امرهم على هذا بل كانوا يحسدون النبي الاكرم ﷺ، يقول تعالى: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا

١. سورة المنافقين، الآية ١.

٢. سورة النساء، الآية ١٤٢.



آثَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»^(١). وقد كان بعض هؤلاء من قريش ولست أحب ان اذكر أسماءهم، وعندما كان يُذكر اسم النبي ﷺ في الأذان فأنهم يشعرون بالألم. كانت هناك عشيرتان في قريش وهم ابناء عمومة، وكانوا يقولون عن النبي ﷺ: انظروا الى ابن العم هذا، كان طفلاً يتيماً ونشأ في عائلة فقيرة لكنّه قد لمع نجمه بحيث اصبح اسمه يذكر الى جانب اسم الله! ولهذا فهم يشعرون بالألم من اعماق قلوبهم. وعلى آية حال فقد نال بعضهم مناصب رفيعة في المجتمع الاسلامي خلال خمسة وعشرين عاماً بعد وفاة النبي ﷺ حتى وصل الدور الى حكومة الامام اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام.

وأنتم تعلمون ان معاوية بن ابي سفيان قد عيّنه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب والياً من قبله على الشام، ثم بُتت في منصبه هذا اثناء خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان. وقد جرى كل هذا قبل ان تصل الحكومة الظاهرية الى الامام اميرالمؤمنين علي عليه السلام.

وبما ان لمعاوية قرابة مع الخليفة الثالث فقد أطلقت يده اكثر في الحكم اثناء خلافة الخليفة الثالث. ومن هنا فقد اعدّ معاوية لنفسه جهازاً ضخماً للحكم في الشام. ومن المعروف ان الشام بعيدة عن المدينة وتعتبر جزءاً من المنطقة الواقعة تحت نفوذ دولة الروم. وكان سكان الشام حديثي العهد بالاسلام، وكانوا على اتصال اشدّ واقوى مع اهل الروم، والعلاقات بينهم حميمة. ولم يتوقّر لأهل الشام -حينذاك- ان يطلعوا على المعارف الاسلامية بصورة صحيحة وكاملة، لبعدها عن منطقتهم جغرافياً عن مركز انطلاقة الاسلام، ولتسلط حاكم عليهم خلال عشرات السنين، وهذا الحاكم غير راغب في ان يتعلّم هؤلاء الاسلام بشكل جيّد. أنّه كان يريد ان

يتراءس عليهم وان يشيد سلطنة، ولا يهّمه بعد ذلك آمن الناس بالاسلام ام لم يؤمنوا. واستمرّ هذا الوضع حتى سلّمت الخلافة الظاهرية للامام امير المؤمنين علي عليه السلام بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان. وهنا قام معاوية بالتمرد على الحكومة الشرعية للامام علي عليه السلام بذريعة انّ علياً عليه السلام هو قاتل عثمان، وقرّر القيام بمحاربة الامام عليه السلام.

انّي ابيّن هنا خلاصة ما جرى، واشير فقط الى النقاط المهمة في التاريخ. وقد أمضى معاوية مدّة في محاربة امير المؤمنين علي عليه السلام حتى استطاع بالتالي ان ينهى حرب صفين لصالحه وضدّ الامام علي عليه السلام، وذلك من خلال مساعدة عمرو بن العاص وبعض اقاربه واصدقائه وشخصيات فريش قبل الاسلام، وبالتآمر والتخطيط ومساعدة الخوارج ايضاً.

وفي حرب صفين طُرحت مسألة التحكيم التي أثمرت اعطاء الخلافة لمعاوية، وبالتالي فقد استشهد امير المؤمنين علي عليه السلام بيد الخوارج.

وبعد الامام علي عليه السلام جاء دور الامام الحسن عليه السلام، وقد استمرّ الامام الحسن عليه السلام لفترة قصيرة في النضال والجهاد الذي بدأه ابوه الامام علي عليه السلام. ولكنّه بعد فترة استغلّ معاوية الأجواء السائدة آنذاك وفعل فعلاً اضطرّ فيه الامام الحسن عليه السلام للموافقة على الصلح. وبهذا تقترب الى الوقائع الحاسمة. ويأخذ معاوية بوضع الخطط الماهرة جداً. واذا اردنا ان نبين ونسمي بعض السياسيين لتلك المرحلة والمراحل التي سبقتها ممّن كانت افكارهم مؤثرة في الطبقة المتوسطة من الناس، وكانوا نوابغ في السياسة الشيطانية، فأنّه لا بدّ ان نعدّ معاوية في طليعة الزعماء المتبينين للسياسة الشيطانية.

ومن الواضح أنّنا نقوم هنا بدراسة تحليلية. وأمّا اذا أردنا اثبات هذا الموضوع بالتفصيل من الناحية التاريخية فأنّه يستلزم دراسة الوثائق التاريخية. لكنّ الدراسة

التحليلية تثبت أن معاوية قد انتهى الى هذه النتيجة وهي أنه لا بد ان يستغل تلك الظروف الموجودة لصالح حكومته وللتوسع في بسط سلطانه. وصحيح أنه يطلق على حكومته اسم «الخلافة» ولكنها - في حقيقة الأمر - كانت سلطنة ملكية مثل ما كان موجوداً آنذاك في منطقتي الروم وفارس. فقد كان من طموحهم ان يصبحوا مثل كسرى وقيصر، وان يحققوا سلطنة مثلهم.

وقد وجد هؤلاء أرضية صالحة في المجتمع آنذاك وقد استغلّوها لإيجاد حكومتهم واستمرارها.

الأرضية الاجتماعية لانحراف المجتمع:

١ - المستوى الثقافي للمجتمع: ان أول أرضية هي المستوى الثقافي المنخفض للناس. صحيح أنه قد مرّت عقود متعدّدة على ظهور الاسلام وانتشاره، لكن الرقي الثقافي ليس امراً يسيراً بحيث يمتدّ بهذه السرعة من المدينة الى أقصى نقاط الشام وينفذ في أذهان الناس هناك. ان تربية الناس على أساس الثقافة الاسلامية ورفع مستوى وعيهم ليس شيئاً يحصل بهذه السهولة. ولاسيما اذا كانت حكومة المنطقة بيد شخص مثل معاوية.

وعلى كل حال فإن الارضية التي ساعدت معاوية في تحقيق أهدافه وكان يحسب لها الحساب هي انخفاض المستوى الثقافي للمجتمع هناك.

٢ - روحية الارتباطات القبليّة: وهناك أرضية اخرى استغلّها معاوية وهي روحية التمسك بالعلاقات القبليّة. فالوضع الثقافي كان يفرض في حالة اقدام رئيس القبيلة على عمل ان يقتفي اثره جميع أفراد القبيلة أو اكثرهم على أقل تقدير. وهناك أمثلة كثيرة تثبت هذا الأمر في الجانب الايجابي وفي الجانب السلبي منه. فاذا آمن رئيس قبيلة بالنبي الأكرم ﷺ فإن سائر أفراد قبيلته سوف يدخلون الاسلام بيسر

وسهولة ومن دون مقاومة، وإذا ارتدّ رئيس قبيلة عن الاسلام - كما حدث ذلك بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ - فإنّ أعضاء قبيلته سوف يرتدون عن الاسلام بلا عناء مقتفين اثره.

ان تبعيّة أفراد القبيلة لرئيسهم كانت ارضيّة يحسب معاوية لها حسابها وقد استغلّها الى أبعد مدى.

٣ - ضعف الايمان: وهناك ارضيّة اخرى ساعدت معاوية وهي ضعف ايمان الناس، ولاسيما في منطقة الشام حيث كان أهلها يفتقرون الى المربيين الدينيين، فقد كان ضعف الايمان هناك بارزاً أكثر. وحتى في نفس المدينة حيث نال الناس التربية الاسلامية تحت اشراف النبي الاكرم ﷺ فإنه لم تمض فترة طويلة على وفاة النبي ﷺ حتى نسي الناس واقعة الغدير، فضلاً عن سكان الشام، فقد سجّل التاريخ لهم في ذلك الزمان قصصاً عجيبة في الجهل وعدم الوعي.

كانت هذه ألواناً من الأرضيّة استغلّها معاوية لصالحه:

وهي جهل الناس، وانخفاض مستواهم الثقافي، وسيطرة روح القبيلة عليهم.

عوامل انحراف المجتمع:

هناك عوامل ثلاثة استغلّها معاوية للعمل والنشاط في تلك الأنواع الثلاثة من الارضية.

ومن الواضح ان استغلال هذه العوامل الثلاثة ليس امراً جديداً، إلا ان معاوية قد حقّق نجاحاً باهراً في تشخيصها واستغلالها الى ابعد حدّ ممكن. وعادةً فإنّ جميع السياسيين في العالم منذ اقدم العصور وحتى العصر الحديث يستغلّون هذه العوامل الثلاثة.

١ - الإعلام: العامل الأول هو الإعلام، حيث يبذل السياسيون جميعاً غاية

جهدهم لتغيير افكار الناس بواسطة الإعلام ودفعهم نحو الجهة التي يريدونها. وبما انّ الثقافات والمجتمعات مختلفة فإنّ استغلال عامل الاعلام يختلف ايضاً. ففي ذلك العصر لم يكن مطروحاً في اعلام المجتمع الاسلامي موضوع حقوق الانسان او التعددية او ما شابه ذلك، فلم يكن أحد في المجتمع الاسلامي يلتفت الى ذلك، لأنّ الاسلام كان هو الحاكم، ولأنّ الناس كانوا معتقدين بالله تعالى وبالنبي ﷺ، ولم يكن هناك أحد يهتم بالقراءات المتنوعة للمدين، وما شابه ذلك ممّا نلاحظه اليوم في مجتمعنا. لكنّه كانت هناك امور اخرى يمكن استغلالها في مجال الإعلام.

ومن جملة وسائل الاعلام التي كانت مستغلّة في ذلك الزمان هو الفنّ والأدب ولاسيما الشعر. فقد كانت للشعر مكانة رفيعة ومهمّة بين العرب في ذلك العصر. والكلّ يعلم انّ معاوية كان يبذل غاية جهده لاستغلال الشعراء المعروفين والبارزين حتّى ينظموا الشعر في مدحه وذمّ معارضيه، ويحاول بمختلف الوسائل ان ينشر ذلك الشعر بين الناس. ولعلّ من أبرز هؤلاء الشعراء هو الأخطل النصراني، فقد كان شاعراً مجيداً، وقد ربّى تلامذة في هذا المضمار.

أمّا بين المتمسّكين بالاسلام أكثر فقد كان القرآن والحديث هو مورد اهتمامهم. ولهذا سعى معاوية للترغيب في وضع الحديث. ومن جملة الوضعاء للحديث ابوهريرة، وقد اعترف بهذا جماعة من علماء السنّة انفسهم وكتبوا كتباً لإثبات ذلك. كان يجعل احاديث عجيبة ثم ينسبها الى النبي ﷺ. وكان الناس البسطاء يصدّقون بذلك وتتطلي عليهم الحيلة. وكذا الأمر فيمن كان يطلق عليهم اسم «القراء». وقد كانت للقارئ مكانة رفيعة في ذلك الزمان. والقراءة لا تعني فقط انه يقرأ القرآن الكريم بالتجويد واللحن الجميل، وأمّا كان علماء الدين الكبار يطلق عليهم ايضاً اسم القراء، فهم الذين يقرأون القرآن بشكل جيد ويفسّرونه ويبيّنون مفاهيمه، وفي أغلب الأحيان يكونون حافظين له عن ظهر غيب.

وقد ركّز معاوية بالخصوص على هذه الطوائف الثلاث: القراء والشعراء والمحدّثين واستغلّهم في تشييد جهاز إعلامي ضخم منسجم لصالحه.

٢ - الترغيب: كان معاوية يخدع كثيراً من الناس بواسطة الشعر والحديث والقرآن، لكنّ جميع الناس لم يكونوا واقعين تحت تأثير هذه الألوان من وسائل الاعلام. ولهذا كان يخدع رؤساء القبائل عن طريق التطبيع والترغيب فكان يغيرهم بالمناصب والهدايا والجوائز الثمينة وآلاف الدنانير من الذهب ليستميلهم نحوه. ونحن ننظر اليوم الى قطعة صغيرة من الذهب فتراها ثمينة، فكيف اذا كان العطاء الف دينار من الذهب أو مليون دينار من الذهب؟! ويقال إنّ هذه الأرقام سهلة عندهم. وعندما كان يرسل الكمّيات الضخمة من الذهب الى زعيم قبيلة فإنّ القليل جداً كان يستطيع المقاومة ولا يخضع لهذا الاغراء. واستغلّ معاوية هذه الوسيلة في شراء ذمم رؤساء القبائل.

٣ - التهديد: وبالتالي فإنّه كان يخضع سائر الناس في المجتمع بواسطة التهديد. فكل من تحدّثه نفسه بالعصيان وينتقد معاوية أو يذمّه فإنّه كان يُحضّر فوراً ويضرب ويسجن وبالتالي يُقتل.

لقد استغلّ معاوية هذه العوامل الثلاثة وهي «الإعلام» بواسطة الشعراء والمحدّثين والقراء، وعامل «الترغيب» بالنسبة الى رؤساء القبائل والشخصيات الاجتماعية المؤثرة، وعامل «التهديد» بالنسبة الى سائر الناس، ووجّه هذه الوسائل جميعاً ليسوق المجتمع نحو أهدافه الشيطانية ويدفع به نحو الانحراف.

لقد صاغ معاوية المجتمع الشاميّ بواسطة تلك العوامل الثلاثة وفي ظل تلك الألوان من الأرضية التي أشرنا اليها، وصبغه بالصبغة التي أحبّها وأدار شؤونه بالشكل الذي يريد.

فماذا كانت نتائج فعل معاوية؟ وكيف تربّى الناس في ظلّ سلطته؟ نحن لا نملك

الفرصة الكافية هنا لنبيّن هذا الموضوع بالتفصيل، لكننا نقول ان معاوية قد صاغ المجتمع الذي يطمح اليه بعد استشهاد الامام اميرالمؤمنين علي عليه السلام وخلال فترة وجيزة من زمان الامام الحسن عليه السلام اي ما يقرب من عشرين عاماً (من عام اربعين الى عام ستين للهجرة تقريباً).

وقبل استشهاد الامام علي عليه السلام كان معاوية يحكم الشام ما يقرب من عشرين سنة اخرى منذ زمان عمر بن الخطاب وحتى استشهاد الامام علي عليه السلام. وخلال هذه الفترة قد اعدّ الأرضية لما يصبو اليه ايضاً. لقد كان يتمتع بتجربة كافية، وقد عرف الناس وجربهم، ثم بالتالي وضع هذه الخطة ونفذها مستعيناً بتلك العوامل الثلاثة.

وفي الأعوام الأخيرة من عمر معاوية كتب وصيته. كان راغباً جداً ان تبقى هذه السلطنة في عائلته. وكان يحب ان يخلفه يزيد في الزعامة، ولكنه كان يعلم جيداً بعدم كفاءة يزيد للرياسة. وقد بذل غاية جهده لكي يريه بواسطة أفراد محنكين وانتدب اناساً للاشراف عليه. وقد ترك معاوية ليزيد وصية ايضاً. وحسب ما نقل فان معاوية يوجّه الخطاب الى يزيد في تلك الوصية قائلاً: لقد اعددت الأرضية لسلطنتك بشكل لم يفعله والد آخر لولده، فالحكم معدّ لك بشرط ان تراعي عدّة اشياء: أولاً أوصاه بعدّة امور تتعلق بسكّان المدينة والحجاز. واما سكّان العراق فانهم يحبّون تغيير حاكمهم باستمرار، فلو طلبوا منك في كل يوم ان تغير حاكمهم فافعل ذلك فان افضل من ان يوصلت عليك مائة الف سيف، واكّد عليه باحترام سكّان الحجاز، لانهم يرون انفسهم المتولين الأصليين للاسلام، فاذا جاءوك فأكرم وفادتهم، وقدم لهم الجوائز، وان لم يأتوك فابعث اليهم من يملكك ليتفقد أحوالهم ويطيّب خواطرهم. وبعد هذه النصائح يقول له: هناك عدّة أشخاص لا يخضعون لك بسهولة وهم: ابن ابي بكر، وابن عمر، وابن الزبير، وبالي ابن علي عليه السلام. ثلاثة منهم هم من ابناء الخلفاء، والرابع (وهو ابن الزبير) كان أبوه متصدّياً للخلافة وهو أحد

الستة اصحاب الشورى المكلفين باختيار الخليفة. لا بدّ لك من الاهتمام بشأن هؤلاء الأربعة. وبيّن معاوية ليزيد كيف يتصرّف مع كل واحد من هؤلاء حتّى يصل الى الامام الحسين عليه السلام فيقول: لا تصطدم بالحسين! وابدل غاية وسعك لتحصل منه على البيعة، فان لم يبايع وقاتلك ثمّ انتصرت عليه فتعامل معه بالرحمة والشفقة. فليس من مصلحتك الاصطدام بالحسين. وحتّى اذا انجزّ الصراع بينكما الى الحرب، وحققت نصراً في الحرب، فلا تتعامل مع الحسين بالقسوة لأنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وله مكانة رفيعة عند الناس، وشخصيته تختلف عن الآخرين.

هكذا ينصح معاوية ابنه، ولكنه لم يحصل شيء من هذا، فبمجرّد أن وصل يزيد الى الخلافة - كما ينقل التاريخ - فقد أصدر امره الى حاكم المدينة ان يأخذ له البيعة من عدّة اشخاص، فان امتنعوا عن البيعة فاقطع رؤوسهم. ولا اريد ان اخوض في التفاصيل، فقد سمعتموها مرّات كثيرة، ولعلّ الشباب لم تتكرّر عليهم، وعلى أيّة حال فلست احبّ أن اطيل في نقل التاريخ، وكلّ ما أهدف اليه هو ان اقدم تحليلاً للقارئ الكريم ليعرف كيف انسحب الناس بهذه السهولة وفي هذه المدّة القصيرة من الاسلام وأقدموا على قتل سبط نبيهم، ولم يكن شخصاً عادياً وأنما هو عزيز المؤمنين ومحبوبهم، اذا رأوا ظاهره عشقوا جماله، واذا تعاملوا معه عشقوا أخلاقه، واذا طلب منه شخص شيئاً فأنّه كان يلبي له طلبه من دون ان تلتقي نظرات السائل بعيني المسؤول حتّى لا يصاب بالاحراج والخجل. مثل هذا الانسان العظيم قتلوه بتلك الوحشيّة وذلك الوضع الفاجع. لماذا لا بدّ ان يحدث مثل هذا؟

كان قصدنا من بيان هذه المقدمة هو ان ننظروا الى ثقافة ذلك المجتمع كيف كانت؟ وكيف يتصرّف الناس؟ والمؤمنون الواقعيّون الذين نفذ الايمان في أعماق قلوبهم لم يكونوا قليلين في ذلك الزمان فحسب، وأنما هم دائماً قليلون، وسيبقى الأمر على هذا المنوال في المستقبل أيضاً. وحُنكة القائد في المجتمع تتمثّل في ان

يوجّه فكر وعقيدة الناس المتوسّطين وإلّا فأنّه من غير الممكن عملياً أن يرفع هؤلاء جميعاً إلى المستويات العالية جداً. القائد المحتّك هو الذي يبذل جهده ليوجّه أفكار الناس المتوسّطين ولو قليلاً وبصورة تدريجيّة نحو الخير بحيث يقتربون الى الحقّ يوماً بعد يوم. وأمّا المؤمنون اصحاب الكمال الذين لا تغيّرهم الظروف ولا تؤثّر فيهم المغريات فهم قلّة جداً، وحتىّ في ذلك الزمان كانوا قليلين جداً. وقد استغلّ معاوية الضعف الثقافيّ وضعف الايمان وضعف المعرفة ونجح في دفع الناس الى الجهة التي يريدونها مستعيناً بالعوامل الثلاثة: الإعلام والترغيب والتهديد.

ولو حاول الامام الحسين عليه السلام او الامام الحسن عليه السلام أو أيّ امام آخر ان يقاوم معاوية ويواجهه في تلك الظروف لتعرض للاغتيال السري، ثمّ تنشط بعد ذلك أجهزة الاعلام، بالشعر الذي ينشدونه وبالأحاديث التي يجعلونها، لتُطرّ المعارضين بألوان التهم والافتراءات ويشبعونها بين الناس، ويقوم وعّاظ السلاطين وعلماء السوء بدورهم في تضليل الناس. وقد كان هذا دورهم في جميع المجتمعات وكلّ الأزمنة ولاسيّما في مجتمع ديني تتّجه فيه العيون الى أفواه علماء الدين.

والقرآن الكريم يؤكّد على أنّ أيّ فساد او اختلاف قد وقع في أيّ دين فهو يعود الى علماء السوء هؤلاء الذين باعوا انفسهم للشيطان:

«فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ»^(١).

إنّ اساس الفساد وايجاد الاختلاف والقوضى والانحراف والفتنة هو بيد الذين يعرفون الطريق، أنّهم لصوص يحملون المصاييح. والحكّام الطغاة مثل معاوية قد شخّصوا مثل هؤلاء الأفراد واستعملوا معهم اسلوب التطميع واشتروا ضمائرهم بالأموال.

وإذا شعر واحد من هؤلاء العلماء بغيره دينية فإنه يُعزل من الساحة الاجتماعية بتهديده بالقتل أو غيره. وقد جرى ذلك مع كبار اصحاب اميرالمؤمنين علي عليه السلام حيث تم اغتيالهم واحداً بعد آخر أو أنهم صلبوا بأعدار واهية. حاجر بن عدي وميثم التمار وامثالهما ممن كانوا راسخين في ايمانهم ولم تؤثر فيهم تلك العوامل فان نهايتهم كانت القتل والإعدام. وقد تم قتلهم تارة بصورة رسمية علنية وتارة اخرى بصورة اغتيال غير رسمي.

فالذي دفع الناس للانحراف عن احكام الاسلام - وحتي انهم تخلوا عن عواطفهم الدينية وعاداتهم القومية واخلاقهم العشائرية وحبهم لاکرام الضيف - هو هذه العوامل الثلاثة التي استغلها معاوية الى أبعد الحدود. وفي جميع الأزمان تؤدي هذه العوامل الثلاثة الى الفساد والفتنة والانحراف. هكذا كان الأمر في الماضي وسيبقى في المستقبل.

وإذا أردنا ان نكتسب درساً من عاشوراء فلنأخذ هذا الدرس ونتأمل كيف أقدم الناس على مثل هذا التعامل القبيح مع الامام الحسين عليه السلام الذي طالما رآوه في حضن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد شاهدوا الحسين مراراً يأتي الى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهو يخطب على المنبر فاذا اقترب الحسين عليه السلام الى المنبر فان النبي صلى الله عليه وآله ينزل من درجات المنبر ويحتضن الحسين عليه السلام ويهدئ من روعه لان النبي صلى الله عليه وآله لا يستطيع ان يتحمل بكاء الحسين عليه السلام. هكذا كان يوصي الناس عملياً برعاية الحسين عليه السلام، ولكن هؤلاء الناس فعلوا بالحسين تلك الجرائم المخزية.

التشابه بين مجتمعنا والمجتمع الذي عاش فيه الامام الحسين عليه السلام:

وكذا الأمر في الوقت الراهن فكل من يخطط لدفع المجتمع الاسلامي في مسير منحرف فإنه ليس أمامه سوى الوسائل الثلاث وهي عامل الاعلام والترغيب



والتهديد. لا ينبغي ان يتصور احد ان من يريد القضاء على حكومة الثورة الاسلامية في ايران لابد ان يأتي من اقصى العالم، وأنما يوجد منافقون في أعماق المجتمع الايراني، وهم يقومون بنفس الدور الذي قام به المنافقون في صدر الاسلام مع الحسين عليه السلام. في ذلك العصر. ما كانت هناك حاجة ليأتي اناس من الروم او ايران او الصين وأنما ابناء عمّ الحسين عليه السلام نفسه نهضوا بالمهمة. ولست اقصد أبناء عمه المباشرين ومن دون واسطة، وأنما أقصد من ابناء العشائر المتعلقة بقريش. فبنو امية وبنو هاشم ابناء عمومة. وفي المجتمع المعاصر تأتي المساعدات الأجنبية لتضيف مصيبة الى مصيبة الخيانة الداخلية. لكنّ الدور المباشر تنهض به العناصر الداخلية. فلا يخطر في بال أحد أنّهم اذا أرادوا لمسيرة الثورة الاسلامية في ايران ان تنحرف فانّ امريكا مضطّرة للتدخل بصورة مباشرة، وأنما أمام امريكا خيار آخر أسهل وأفضل، حيث تبذل جهودها لتعرّف على العناصر الداخلية المناصرة لها فتدعمهم اعلامياً وتسخو لهم بالدعم الماليّ واحياناً أشياء اخرى كاثارة الفتن والاضطرابات والاغتيالات. وصحيح انّ كثيراً من موارد الاغتيالات التي جرت في الجمهورية الاسلامية الايرانية قد تمّت بأيدي المنافقين من اعضاء منظمة مجاهدي الشعب، لكنّ هؤلاء المنافقين لا يحملون الجنسية الامريكية، وانما جاءوا من هذا المجتمع الايراني، وكثير منهم قد بدأ نشاطه على أساس الدفاع عن الاسلام. فهذا الملحد الذي يهاجم الاسلام اليوم ويهاجم الامام الخميني عليه السلام في مقابلة صحفية نشرت له في خارج البلد قد نشأ وترعرع في المجتمع الاسلامي ولعلّه في يوم ما كان يعيش في هذا المجتمع بعنوان كونه احد حراس الامام الخميني عليه السلام، واليوم ينكر الاسلام ويقول ان الامام الخميني عليه السلام لابد ان يجعل في متحف التاريخ^(١)، انّ مثل هذا

١. ليرجع من احب الى صحيفة «كيهان»: العدد المؤرخ ١٣٧٩/١/٢٤، ش، حيث يوجد فيه تقرير للمقابلة

الشخص لم يكن من المحتم ان يأتي من امريكا. لكن مثل هؤلاء الأفراد الذين امضوا جانباً من عمرهم في هذا المجتمع بعنوان كونهم حراساً للامام الخميني عليه السلام صاروا أيادي لأمريكا. ألا تلاحظون تصريحات وزير الخارجية الأمريكية او سائر الشخصيات الأجنبية تبدي سرورها لانتشار الديمقراطية - كما يزعمون - في ايران. حيث أصبحت المطبوعات حرّة تكتب ما تشاء؟

اذا كان الأعداء قد عقدوا الأمل بالعودة الى ايران مرّة اخرى لبيسطوا سلطتهم الشيطانية من جديد فذلك اعتماداً منهم على مثل هذه الانحرافات التي ظهرت من أمثال هؤلاء هنا وهناك.

ومع الأسف الشديد فقد تغلغل بعض هؤلاء الى الأجهزة الحكومية.

واذا كان الامام الحسين عليه السلام «مصباح هدى» يعكس نور الهداية في قلوب الناس فيضيء لهم السبيل، فانه في هذا الزمان ايضاً لابد لنا ان نتفع بنور الحسين عليه السلام. ان الطريق الذي سلكه اعداء الاسلام في الماضي وحرّفوا فيه الاسلام ومسخوه وانتهى بهم الأمر الى قتل الحسين عليه السلام، يحاول اعداء الاسلام اليوم ان يسلكوا نفس ذلك الطريق ويضعوا العراقيل في طريق حسين زماننا ليمنعوه من مواصلة مسيرته. وهم يستخدمون اليوم نفس العوامل ويستغلّون نفس الوسائل، فالسبل العامة هي نفسها: الاعلام والترغيب والتهديد. وكلّما أجهدت نفسي في التفكير لأجد عاملاً رابعاً فاني لم اظفر به. نعم الأرضية مختلفة. فلعلهم يستغلّون ألوانا أخرى من الأرضية. لكن العوامل هي نفسها تلك العوامل الثلاثة.

لاحظوا اليوم ماذا يفعل اعداء الاسلام بالنسبة الى الاسلام. أهم يقصرون في مجال الإعلام؟ آية تهمة لم يلصقوها به، وايّ افتراء لم يفتروه عليه؟ وفي كثير من



هذه الصحف التي تُطبع وتُتشر في داخل إيران وتؤمن ميزانياتها من بيت مال المسلمين تُطبع وتُتشر هذه التهم والافتراءات وتوزع بأعداد كثيرة، ويتأثر بها كثير من الشباب. هل تتصوّرون أنّ ذنب هؤلاء الأشخاص اقلّ من ذنب من أقدم على قتل سيد الشهداء عليه السلام؟ ماذا ينقص هؤلاء عن اولئك؟

أَيكون ذنب هؤلاء أهون من ذنب معاوية واصحابه وانصاره؟

أَيكون ذنب من يدافع عن هؤلاء باسم الدين اقلّ من ذنب ابي هريرة وامثاله؟ أنّه بمقدار ما اتسع فيه الاسلام في العالم اليوم وسوف يتسع اكثر يكون ذنبهم اكبر أيضاً. الذين يعملون الصالحات يكون ثوابهم أكبر، والخائنون يكون ذنبهم اعظم. لانّ مجال ذلك العمل الصالح وهذه الخيانة أوسع وأشمل.

في ذلك الزمان الذي كان فيه معاوية متسلطاً فقد تسلط على أناس أغلبهم لا يميّز بين الذكر والانثى من الحيوانات، حيث يصلّي الخليفة صلاة الجمعة في يوم الأربعاء ولا يعترض عليه أحد، وفي احدى المرّات جاء أحد الخلفاء الامويين الى صلاة الصبح وهو سكران فأّمّ الناس وصلّى اربع ركعات بعنوان كونها صلاة الصبح، ولما قيل له انّ صلاة الصبح ركعتان، أجابهم بأنّي اليوم فرح مسرور وان شئتم لزدتكم اكثر!

في ذلك العصر كان يحكم أعداء الاسلام على مثل هؤلاء الناس، اما اليوم فان خداع الشباب الذين ترعرعوا في ظل الثورة الاسلامية غير ميسور بهذه السهولة، ولكنّ حيل الاعداء قد اصبحت اكثر تعقيداً واشدّ خفاءً.

وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام: تأملوا في تاريخ الجاهلية قبل بعثة النبي الأكرم عليه السلام هل يمكنكم أن تجدوا بين الأمة العربية شخصاً أقسى قلباً من حرملة؟ انه الشخص الذي ذبح طفل الامام الحسين عليه السلام الذي لم يتجاوز عمره ستة اشهر وكان يمرّ بحالة احتضار ويقضي آخر لحظات حياته، ذبحه بسهم مسموم وجهّه الى

رقيبته. هل يمكنكم ان تجدوا حيواناً أحقر من هذا؟ هل وجد قبل الاسلام شخص بهذه الدناءة؟ أنا لا اتصوّر وجود شخص بهذه الدرجة من القسوة من بين جميع المتوحّشين الذين عاشوا قبل الاسلام. ولكنّه بعد ظهور الاسلام وانتشاره ظهر شياطين مثل يزيد وحرملة والشمر بكلّ ما يميّزون به من قسوة للوقوف في وجه الاسلام.

هناك ملاحظات عجيبة يشير اليها القرآن الكريم، ومن جملتها أنّ القرآن عندما ينزل فإنّه يكون سبباً لهداية المؤمنين، أمّا بالنسبة للظالمين المصّرّين على الفساد والانحراف والكفر فإنّه يزيدهم في نفس الاتجاه الذي اختاروه لأنفسهم. يقول تعالى:

«وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يُزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خُسَارًا»^(١).

انّ النتائج المترتبة على نزول المطر هي أنّه في مزرعة الزهور تنمو الورود الجميلة والعطرة، أمّا في الأراضي التي فيها اشجار مسمومة فان السمّ ينتشر اكثر بواسطة نفس ذلك المطر.

وفي المجتمع الاسلامي يترعرع وينضح أمثال سلمان وابي ذر وعمّار وميثم التمار وسعيد بن جبير، ويظهر فيه أيضاً من يقول للامام الحسين عليه السلام في ليلة عاشوراء: لو قتلنا تحت رايتك سبعين مرّة ثمّ أحببنا لتمنينا ان نستشهد معك مرّة اخرى.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نلاحظ ايضاً نموّ تلك القسوة وانعدام الرحمة فيمن وقفوا في وجه الامام الحسين عليه السلام. من يتنكر للهداية الالهية ويشيح بوجهه عن رحمة الله فإنّ شقائه يزداد وقسوته تشتدّ.

وكذا الأمر في الثورة الإسلامية الإيرانية فهي من ناحية قد ربّت زهوراً قليلة النظير طيلة التاريخ الإسلامي. أتذكر عندما بدأت دراساتي الدينية وانتميت الى سلك علماء الدين فقد تعرّفت - الى حدّ ما - على تاريخ الإسلام، ومن أهمّ القضايا التاريخية التي تركت في نفسي اعظم الأثر وحملتني على الإعجاب هي قصّة حنظلة غسيل الملائكة، فقد عاش هذا الشاب (حنظلة) في صدر الإسلام ثم تزوّج، وفي اليوم الذي اعقب ليلة زفافه شارك في غزوة أحد، وقد اشترك في القتال قبل أن يجد الفرصة للقيام بغسل الجنابة من الليلة الماضية، ثم سرعان ما نال الشهادة في سبيل الله، فقال الرسول الأكرم ﷺ: اني ارى الملائكة قد جاءت بالماء من السماء وغسّلت به حنظلة^(١). ومن هنا فقد اطلق عليه اسم حنظلة غسيل الملائكة.

انّ هذه القصّة كانت عجيبة جداً بالنسبة اليّ؛ شاب في ليلة زفافه يعرض عن أحلى ليلة في عمر الزواج ويشارك في جبهة القتال ثم يستشهد. ولكننا في أحداث هذه الثورة الإسلامية المباركة نملك مئات بل آلاف من امثال حنظلة غسيل الملائكة، أنّها زهور نمت وعطّرت بشذاها الآفاق. كم عدد الشهداء الذين طلبوا من الله عز وجلّ ان تضيع اجسادهم بعد الشهادة ولا يتمّ العثور عليها لدفنها. هناك احد طلاب العلوم الدينية وهو من اقرب اصدقائنا^(٢) وقد ساهم في جبهة القتال عدّة سنوات حتى أصبح قائداً لفرقة من فرق القوّات المسلّحة، ولم يكن قد تزوّج حينذاك، وقد قال: انني آمل في الزواج من فتاة علويّة حتى اصبح محرماً مع السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فذهب واقترض مبلغاً من المال مقداره عشرة آلاف تومان وتزوّج فتاة علويّة. انّ هذا المناضل الذي قضى ربيع شبابه في جبهات القتال لا يبقى

١. بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٢٦، الباب ١٤، الرواية ١.

٢. المفصود به هو المرحوم الشيخ مصطفى رذائي بور.

مع زوجته سوى ليال معدودات ويعود في اليوم الثالث من زواجه الى جبهات القتال فينال الشهادة. وقد طلب من الله تعالى ان تضيع آثار جنازته، وهكذا حدث.

في ظلّ هذه الثورة أزهرت ورود من ناحية، تتجسّد في هؤلاء الشباب واليافعين الذي قطعوا في ليلة واحدة المسافة التي يقطعها الآخرون في مائة سنة. وفي مقابلهم تربّى أيضاً منافقون ملحدون يقلّ نظيرهم في الشيطنة والنفاق على مدى التاريخ. ومع الأسف فإنّ هؤلاء المنافقين اليوم ينالون الاحترام والتقدير من قبل أشخاص! لماذا؟ لأنهم نشطوا اجهزتهم الإعلامية منذ البداية وأخذوا بإدانة العنف والدعوة الى التساهل والتسامح، فانترعوا من الناس حميتهم وغيرتهم الدينية حتى لا يتنفّس احد ويعترض على هجماتهم الجبائنة الموجهة ضد أساس الاسلام، واذا تجرّأ احد واعترض فأنهم يصفونه بأنه نصير العنف او المخطّط للعنف، ولا بدّ من الحكم عليه بالاعدام! هكذا كان دور الإعلام منذ البداية وهو مستمرّ الآن بنحو أتمّ وأكمل.

وهذا هو نفس الدور الذي قام به معاوية وجميع شياطين العالم وهم يلعبون لعبتهم السياسيّة، واستخدموا اسلوب التطميع ايضاً فأرسلوا الهدايا الى من لا نريد ذكر اسمائهم. وقد منحوا المناصب والمسؤوليات لأشخاص يشاركونهم في الحزب أو في الائتلاف الحزبي. وبالتالي لجأوا الى التهديد، فعلى الرغم من انهم يدنون العنف لكنهم لم يعفّوا عن تهديد معارضيتهم، سواء عن طريق الهاتف او الصحيفة أو بأية وسيلة ممكنة. وهذه هي عين السياسة التي انتهجها معاوية.

ما هي سبيل التصدّي للسياسات الشيطانيّة؟

والآن اذا أراد شخص أن يتصدّي لمثل هذه الألاعيب السياسيّة فما هي السبيل الى ذلك؟

أنّها نفس السبيل التي بيّنها الامام الحسين عليه السلام. والشرط الأوّل للتصدّي لهذا اللون

من اللعب السياسيّة هو ان لا تتعلّق قلوبنا بالدنيا. فالحسين عليه السلام قد ربّى أولاده واحبّاءه وأصحابه بشكلٍ بحيث عندما أراد ان يختبر ذلك الشاب الذي لم يتجاوز عمر الزهور حيث كان في الثالثة عشرة من عمره ليرى تصميمه على الشهادة، فسأله الامام عليه السلام: كيف تجد طعم الموت، فأجاب القاسم بن الحسن: «الموت احلى عندي من العسل»^(١) لم يكن هذا شعاراً من القاسم بن الحسن في محضر عمّه الامام المعصوم عليه السلام، وأنما كان ترديداً باللسان لما كان يشعر به في اعماق الجنان. هل تصوّرون كيف يمكن ان يتحوّل طعم الموت عند شاب في الثالثة عشرة من عمره الى شيء احلى من العسل؟ أجل أنّه ليس ايّ موت كان، وأنما هو الموت في سبيل الله، وفي طريق اداء الواجب الشرعي، ومن أجل خدمة الاسلام. وإلاّ فإنّ الموت بذاته ليس حلوّاً، ولكن لما كان المجال هو مجال الشهادة سأله الإمام عليه السلام عن طعم الموت عنده فأجاب بأنه أحلى من العسل.

فان اردنا الاستمرار في طريق الحسين عليه السلام فلا بدّ لنا من التصدّي لهذه المؤامرات الشيطانيّة المعقّدة. وفي البداية لا بدّ ان نعيش هذه الروحية:

«قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»^(٢).

«قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^(٣).

ألا يودّ الحبيب ان يلقى محبوبه؟

لا بدّ ان تتعلّم هذا من اهله.

ولا بدّ ان نلقن أنفسنا هذه القيم، ولا بدّ ان نتحرّك عملياً في نفس هذا الاتجاه.

١. وسيلة الدارين في انصار الحسين عليه السلام، ص ٢٥٣.

٣. سورة الجمعة، الآية ٦.

٢. سورة آل عمران، الآية ٣١.

بحيث لا تتعلّق قلوبنا بالآمال الدنيويّة، وان لا يخدعنا الأحمر والأصفر، وان نعدّ الموت والشهادة في سبيل الله اكبر مفاخرنا، عندئذ نستطيع ان نحافظ على طريق الله. هذا هو الدرس الذي قدّمه لنا ابو عبدالله الحسين عليه السلام.

كيف يمكننا ان نصبح حسيّين وان نعشق الحسين عليه السلام من دون ان نتعلّم منه هذا الدرس؟

بين شبابنا الأعرّاء الكثير ممّن يتأسّى بالقاسم بن الحسن.

في احدى المرات كنت احاضر في احدى المدن، وعندما عدت ليلاً الى البيت المقرّر ان استريح فيه جاءني ابن صاحب البيت وهو شاب لا يتجاوز عمره الثالثة عشرة وقال لي: لديّ موضوع سرّي احبّ ان أبوح لك به - ولعلّه شعر بالحياء ان يطرحه معي أمام ابويه ولهذا اراد ان يسرّني به - وعندما حان وقت مغادرتي لتلك المدينة قال لي ذلك الشاب: لم استطع أن أبوح لك بما في نفسي. فأخذته جانباً وقلت له تحدّث بما تشاء، فاستجاب قائلاً: ادع لي ان يرزقني الله الشهادة!

ان هؤلاء الشباب نالوا تربيتهم في مدرسة الامام الحسين عليه السلام، انهم رفقاء القاسم بن الحسن، وشيوخنا رفقاء حبيب بن مظاهر.

لا ينبغي لنا ان نبقى بعيدين عن هذا الركب المقدّس. انّ رمز انتصارنا هو ان نعدّ الموت في سبيل الله شرفاً وفخراً. فان اشتعلت نيران الحرب فنحن على أتمّ استعداد للشهادة، كما فعل شهداؤنا وحقّقوا ما نفتخر به. هناك الكثير من الشباب الذي ذهبوا الى الامام الخميني عليه السلام وتوسّلوا اليه ان يدعو لهم بالشهادة. ومع الأسف كلما مرّ الزمان على نهاية الحرب فإنّ هذه القيم يعلوها غبار النسيان. إلا أنّه ببركة الامام الحسين عليه السلام في هذه الأيام نشاهد ظواهر تدلّ على إحياء تلك القيم من جديد.

الأرضية لنهضة عاشوراء (٢)

- دقة علي عليه السلام في تنفيذ الأحكام والحدود الإلهية
- هدف علي عليه السلام هو تقديم مثال للحكومة الإسلامية

المقدمة:

طرحنا في الفصل السابق سؤالاً قد يخطر على بال كثير من الشباب، وهو: كيف أقدم المسلمون - وهم معتقدون بالدين ويؤدون الصلاة والصيام والجهاد وقد ساهم الكثير منهم في الغزوات، وأكثرهم قد حظي بمرافقة امير المؤمنين علي عليه السلام أو قاتل تحت رايته - مع هذا كله كيف أقدم هؤلاء على قتل الحسين بن علي عليه السلام بتلك الصورة الفاجعة وهو الانسان العظيم الذي يتمتع بذلك الشرف الرفيع والعزة والمحبة؟

قلنا انه لكي تتضح أبعاد الموضوع لابد لنا من الرجوع الى الماضي واستعراض تاريخ صدر الاسلام. وقد أشرنا - بصورة اجمالية - في الفصل السابق الى وضع البلد الاسلامي في زمان معاوية، بعد استشهاد امير المؤمنين علي عليه السلام وحتى وصول يزيد الى الخلافة.

وخلاصة ما ذكرناه هو ان معاوية - من بين الشخصيات المعروفة لذلك العصر - كان يتمتع بذكاء حاد، بحيث كان يطلق عليه اسم «داهية العرب». واشتهرت سياسته وذكاؤه وفراسته وتدييره الى الحد الذي كانوا يوجهون فيه اللوم الى الإمام علي عليه السلام قائلين ان علياً عليه السلام لا يملك سياسة معاوية وإلا لانتصر عليه ولم يستطع معاوية ان يحقق ما كان يصبو اليه.

ولعل الامام امير المؤمنين يشير الى هذا الموضوع بقوله:



«لولا كراهية الغدر لكننتُ من ادهى الناس»^(١).

أي ان معاوية ليس اذكى ولا أكثر تدبيراً وسياسةً مني ولكن التقوى هي التي تقيدني بحيث لا أسمح لنفسي أن أفعل أي شيء.

دقة علي عليه السلام في تنفيذ الأحكام والحدود الالهية:

يحسن بنا أن نشير هنا الى ملاحظة بعنوان كونها جملة معترضة، وهي قد تخطر هذه الشبهة على بعض الأذهان الساذجة، وهي: لو أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد ساير معاوية أو الآخرين الى حد ما لم يكن الأمر ليتهي الى ما انتهى اليه.

وفي العصر الحاضر يبذل البعض غاية جهدهم لتضعيف مقام الولاية بشكل عام، ومقام عصمة النبي الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام بشكل خاص، وذلك من خلال الطعن في بعض مجالات سلوكهم، ويشيرون الشبهات حتى تفقد الأجيال اللاحقة ايمانها العميق بعصمة هؤلاء وافضليتهم. فيوحون بهذه الشبهة مثلاً: لعله كان هناك طريق أفضل، ولعل هؤلاء العظماء قد اخطأوا في بعض الموارد. واذا جاءت «لعل» فقد فتح الباب على مصراعيه، وأصبح كل شيء قابلاً للتشكيك. وهذا هو ما يفعلونه اليوم بكل دقة وتخطيط.

قد تطرح الشبهة بهذه الصورة (وارجو العذر على كيفية تصويرها) حيث يقولون: حينما هجم الناس على علي عليه السلام يبايعونه بذلك الشكل المنقطع النظير، مما يصوره الامام أمير المؤمنين عليه السلام نفسه فيقول: «حتى وطئ الحسنان» فقد كان من بين هؤلاء بعض الشخصيات البارزة في ذلك العصر، جاءوا وبايعوا علياً عليه السلام، مثلاً طلحة والزبير لم يكونا من الناس العاديين. وكما تعلمون فإن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قد

عين في أواخر أيام حياته شورى مكوّنة من ستّة اشخاص هم الذين سوف ينتخبون واحداً منهم خليفة للمستقبل. وكان طلحة والزبير من جملة هؤلاء الستّة. اذن هذان الشخصان كانا مرشّحين للخلافة، وقد جاء وبايعا عليّاً عليه السلام للخلافة. وهنا يأتي دور أصحاب الشبهة ليعلقوا بقولهم: ألم يكن من المناسب لعليّ عليه السلام ان يدعو هاتين الشخصيتين وان يقوم بعمل يطيب به خاطرهما، كأن يقدم لهما هديّة. وعندما يطلبان منه وقتاً للقاء فأنه يخفّ الى لقاءهما ويكرم وفادتهما، ولأنهما قد بايعاه كان ينبغي له عليه السلام ان يعقد معهما جلسة تكريم ويخاطبهما: اخويّ العزيزين اهلاً بكما! وأنّي لم أظفر بالخلافة إلا بفضلكما، حيث قمتما بتأييدي فوصلتُ إلى الخلافة، فأنا شاكر لكما هذا التأيد!

هل في هذا الكلام المعسول ضير؟!!

ثمّ يعدّ لهما مائدة طعام ممّا تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين.

والامام عليّ عليه السلام كان يعلم ماذا يدور في ذهن كل واحد منهما، واذا لم نقل انه كان يتمتّع بعلم الامامة وانه يعلم بأحداث المستقبل فعلى أقلّ تقدير كان يحتمل ذلك من خلال معرفته بوضعها الروحيّ وتركيبه شخصيّتهما، فهو يحتمل أنّه اذا لم يسايرهما فسوف يشتان عليه حرباً كحرب الجمل، فلكي لا يحدث مثل هذا ولا تقع الحرب ولا تهرق الدماء ولا تفكّك القوى - وأنما تستخدم هذه القوى في اعادة بناء البلد لتحقيق التقدّم الاقتصاديّ - كان من الأفضل ان يقول لهما: تعالوا لتعاون ونفكر معاً، قدّموا لنا مخطّطكم ونحن نتوفّر على دراسته. أو حتّى انّ جانباً من الدولة الاسلاميّة قد جعلته تحت تصرفكما وأنتما اللذان تديرانه. ان أحببتما ولايتي الكوفة والبصرة فهما طوع امركما. وان رغبتما في الشام ومصر فرغبتكما نافذة. المهمّ أنّنا نتعاون ونتقاسم.

هكذا كان ينبغي ان يتعامل معهما، ثمّ يطلق ايديهما في بيت المال. وحتّى لو

فرضنا أنّهما يسيئان استغلال بيت المال قليلاً فان ذلك افضل من انفاق كمّية هائلة من بيت المال على الحرب والقتال وإسالة الدماء.

هذا هو لون التفكير السياسي الذي كان شائعاً بين الناس في ذلك العصر. وبهذه الطريقة كانوا يصوّنون اللوم على علي عليه السلام. فهؤلاء هم الذين كانوا يقولون إنّ علياً عليه السلام لا يعرف السياسة، أو إنّ معاوية أكثر سياسة منه.

وهذا النوع من الكلام هو الذي كان يؤذي علياً عليه السلام ويحرق قلبه، وحتى أنّه لم يستطع ان يقنع بعض اصدقائه.

وقد كان علياً عليه السلام يعرف معاوية ويعرف ايّ عنصر خبيث هو، وما هي سياسته، وكيف استحوذ على قلوب الناس ثم ركب على اكتافهم؟ وكان على علم ببذخ معاوية وكيفية تصرفه بأموال المسلمين وبيت المال حيث كان يوجد بمئات الآلاف بل احياناً بملايين الدراهم والدنانير وينثرها على مختلف الأفراد. فلو أنّ علياً عليه السلام استخدم السياسة مع امثال هؤلاء الشخصيات وسائرهم لكان افضل من وقوع تلك الحروب واهراق تلك الدماء وصرف تلك المبالغ الهائلة.

وفي العصر الحاضر يُسمع مثل هذا الكلام حول الامام الخميني عليه السلام أو حول القائد المحنك آية الله السيد الخامني. فيقولون مثلاً: لو جرت مسيرة الشخصية الفلانية ما انجرّ الوضع الى هذه النتيجة السيئة.

اذن هذه الشبهات لا تزال مطروحة في سياسة علي عليه السلام.

ويمكننا ان نقول في الجواب على هذه الشبهات بان الامام علياً عليه السلام كان يتمتع بعلم الامامة أو أنّ الله تعالى قد أمره بما فعل، فهل تطلبون من علي عليه السلام ان يخالف أوامر الله سبحانه؟

لكنّ هذا سوف يكون جواباً تعديياً. فنحن نعتقد أنّ الامام علياً عليه السلام معصوم لا يخطئ، وهو يعمل حسب ما أمره الله تعالى، فقد كان ذلك واجبه الشرعي.

وهذا جواب مقنع لنا الى حدّ ما، لكنّه غير مقنع للشباب الواقعين تحت تأثير هذه الشبهات، فلا بدّ لنا اذن من تقديم جواب أوضح واكثر اقتناعاً.

واستغلّ الفرصة في هذا المجال لأوجّه اللوم الى اخوتي علماء المدين: لماذا لم تتدارس مثل هذه المسائل التي هي مورد حاجة الناس ولم نعدّ لها اجوبة مناسبة بحيث يستطيع الجميع ان يفهمها وتكون مقنعة لهم. إمّا أننا لم نعدّ مثل هذه الاجوبة وإمّا أننا لم ننشرها لتصل الى أيدي الشباب المتعطّش لها.

لابدّ لنا ان تقدّم جواباً واضحاً لهذا السؤال وهو: لماذا لم يستخدم علي عليه السلام سياسة المسايرة والانعطاف وتبادل الابتسامات؟ ولماذا كان متشدّداً الى هذا الحدّ بحيث كان يرّد أنّي لا أسمح لمعاوية أن يحكم حتى ليوم واحد؟ اذا كنتُ أنا الخليفة فأنه لا يحقّ له ان يتصرّف اطلاقاً. وفي نفس الوقت يستقبل معاوية طلحة والزبير ويتودّد اليهما. انّ طلحة والزبير ليسا شخصين عاديين وإنما هما من اكبر الشخصيات في العالم الاسلامي ومن جملة المرشّحين للخلافة. عندما كان هذان يحلان ضيفين عند عليّ فأنه كان يطفئ مصباح بيت المال ليضيء مصباحاً آخر. فاذا سئل عليه السلام ما الفرق بين هذين؟ كان جوابه: ان المصباح الأوّل متعلّق ببيت المال وقد كنت مشغولاً بمهامّه فمن حقّي استخدام مصباحه، إمّا الآن فأنتم في زيارة شخصيّة لي وتحدّثان في شؤون خاصّة، ولا حقّ لي عندئذ ان استخدم مصباح بيت المال. ويستولي عليهما العجب ويقولان فيما بينهما اذا لم يكن علي عليه السلام على استعداد لاستخدام مصباح بيت المال لفترة قصيرة ونحن من الشخصيات الاسلاميّة المهمة ونريد التحدّث في امور تتعلّق بمصالح البلاد الاسلاميّة - هكذا كانا يصوّران القضية - وهو لا يوافق علي استخدام مصباح بيت المال قليلاً، فكيف يمكننا ان نتعامل معه وتعاون؟

انّ هذين الشخصين قد انتفعا كثيراً في زمان الخليفة الثالث، وقعت في ايديهما املاك

وثروات ضخمة وامتلكا غلماناً واماءً كثيرة! وقد نقلت في هذا المضمار قصص عديدة.
والآن يواجهان هذا التشدد من امير المؤمنين عليه السلام.

ما هو الجواب على هذا السؤال؟

وهل هناك جواب آخر غير الجواب بانّ علياً عليه السلام معصوم ولا يفعل شيئاً إلاّ بأمر
الله عزّ وجلّ؟

هل لدينا جواب واضح بحيث تقدّمه للشباب فيقنعهم؟

هدف علي عليه السلام هو تقديم مثال للحكومة الاسلامية:

يبدو لنا هذا الجواب الذي سوف نشرحه، ونرجو من القراء ان يتأملوا فيه، فان
توصّلوا الى جواب افضل فليطلعونا عليه.

الجواب الذي يبدو لنا أنّه صحيح هو: لو كان هذا الأمر قد حدث فكيف كنّا
نعرف علياً عليه السلام؟ لو نقل التاريخ لنا هذه القصة وهي: في احدى الليالي زار طلحة
والزبير خليفة المسلمين علي بن ابي طالب عليه السلام ودار الحديث بينهم حول شؤون
الدولة الاسلامية، وبالتالي اتّخذ الخليفة هذا القرار وهو ان يبعث احدهما والياً من
قبله الى العراق والثاني الى مصر.

لو كان التاريخ قد سجّل مثل هذه الحادثة فكيف كنّا ننظر أنا وأنت الى علي عليه السلام؟
وهل كنّا نرى أيّ فرق بين عليّ وطلحة والزبير؟ وهل كان بإمكاننا ان نفرّق بين
معاوية وعمرو بن العاص وعلي عليه السلام؟ وأقصى ما يمكن قوله حينئذ هو انّ عدّة
شخصيات عقدوا اجتماعاً تشاوروا فيه واتّخذوا قراراً. في يوم ما بايعا شخصاً آخر
واليوم جاءا ببايعان علي بن ابي طالب عليه السلام. في السابق عين الخليفة الأوّل - بعد
التشاور مع بطانته - معاوية والياً على الشام، ثمّ جاء من بعده الخليفة الثاني ثمّ
الخليفة الثالث واقراً ولايته على الشام. والآن جاء دور طلحة والزبير ليصبحا واليين

على العراق ومصر. لو كان هذا قد حدث للزم منه ان ينظر أكثر من مليار مسلم ومن جعلتهم مئات الملايين من الشيعة فلا يجدون فرقاً بين علي عليه السلام وطلحة والزبير، بل سوف لا يقولون بفارق بين علي عليه السلام ومعاوية.

وإذا كنا اليوم نعلم أن لعلي عليه السلام منزلةً أخرى، وقد كان في اتجاه ومسير آخر فذلك بفضل ما بذله علماؤنا من جهد خلال ألف وثلاثمائة عام لتوضيح الفوارق بين علي عليه السلام وغيره، وقد تولى آباؤنا وأمهاتنا زرع نتائج تلك الجهود المباركة في أنفسنا منذ نعومة أظفارنا.

وأما إذا قيل: عقد عدة اشخاص اجتماعاً تقاسموا فيه الحكم والسلطة، فإنه لن يكون هناك فرق بينهم، وغاية ما يمكن قوله حينئذ أن علياً أحسن منهم قليلاً. وليس هذا اكتشافاً جديداً، وأما الامام علي عليه السلام كان يبدي اسفه من المقارنة بينه وبين معاوية فيقول عليه السلام:

«الدهر أنزلني ثم أنزلني حتى يقال علي ومعاوية»^(١).

وفي ذلك الزمان أيضاً كان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وبعض من استظل براية علي عليه السلام سنين عديدة وانتفع من مجلسه يقول: إن لمعاوية بعض الوان الحسن، فله جود وكرم، وله تدبير جيد يدير به البلد الاسلامي.

وهؤلاء الأشخاص كانوا اذا أغضبهم شيء من علي عليه السلام فأنهم يلجأون الى معاوية. وحتى بعض المقرّبين الى الامام عليه السلام كلما كانت لهم طلبات لم يلجأوا اليه الامام علي عليه السلام فأنهم كانوا يقصدون معاوية. كانوا ينظرون الى هذين الاثنين على أنهما من طراز واحد غير أنهم كانوا يعتقدون بأن علياً عليه السلام أكثر عدلاً وعبادة.

لو كان هذا الذي فرضناه قد وقع فعلاً فكيف كنا ننظر -أنا وأنت- الى علي عليه السلام؟

ولو كانت هذه رؤيتنا للاسلام ولعلي عليه السلام، وكنا ننظر الى هذا السلوك على أنه هو واجب الخليفة الاسلامي، ففي هذه الحالة ايّ اختلاف يبقى بين الخلافة الاسلامية والحكومات الدنيوية امثال سلطنة كسرى وقيصر؟ هؤلاء كانوا يتعاملون بهذه الطريقة، وهي اذا واجهوا معارضا لهم لا يستطيعون التخلص منه فأنهم يجلسون معه على طاولة المفاوضات ويستسلمون لبعض طلباته ويتبادلون معه الابتسامات، كي يتجنبوا الحروب وإراقة الدماء وأساليب العنف.

أليس الوضع بهذه الصورة في العالم كله؟

وعندئذ ايّ فرق بين حكومة علي عليه السلام وحكومة كلنتون أو غيره من الطغاة؟ اذا كنا مطلعين اليوم على حقيقة الاسلام ولدينا مذهب التشيع فانّ ذلك من بركات هذا اللون من سلوك علي عليه السلام.

صحيح انّ علياً عليه السلام لم ينجح في إلحاق الهزيمة بمعاوية والقضاء عليه، لكنّه ترك لنا هذا الفكر والمنهج وأوضح لنا سياسة الاسلام. فالاسلام لا يسمح بالمساومة على الاصول والأسس. من الممكن ان يُضحى بالمصالح الشخصية في سبيل الاسلام، ومن الممكن التضحية بالمصالح الجزئية من أجل تحقيق المصالح الكلية. لكنّ الأسس والاصول لا يجوز المساس بها اطلاقاً حتى ولو بمقدار رأس الإبرة، بل لابدّ من المحافظة عليها.

لو لم يتصرّف علي عليه السلام كما تصرّف فمن أين نعرف -أنا وأنت- انّ للاسلام منهجاً خاصاً للحكم وأنّه لا يسمح للديمقراطية الغربية ان تحكم البلد الاسلامي؟ وكيف كنا نعرف انّ الاسلام يلزمنا بتنفيذ أحكام الله؟

عندما بايع الناس علياً قالوا له نبايعك على سيرة الشيخين، ألم يكونا مسلمين؟ أما كانا خليفتين للنبي صلى الله عليه وآله؟ ألا يُعدّان أبوين لزوجتين من أزواج النبي صلى الله عليه وآله؟ ألم يبايعهما المسلمون؟ فالمطلوب منك أنت يا علي عليه السلام ان تسير بسيرتهما.

فأعلنها عليّ عليه السلام صريحة قائلاً: أني ارفض هذا الشرط. وان اردتم البيعة لي فلا بد ان تبايعوني على ان اعمل حسب كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. لا علاقة لي بأراء الآخرين، وفي ايّ مورد يكون فيه حكم الله ثابتاً فآتي لا التفت حتى الى آرائكم، ولو فرضنا أنكم جميعاً عارضتم في تطبيق حكم الله فأنا اطّبعه ولا يهمني شيء.

انّ مثل هذه السياسة لا تنسجم مع أسس الديمقراطية. ولو لم يتصرّف عليّ عليه السلام كما تصرّف ما كان بإمكاننا اليوم ان ندّعي بأنّ للاسلام نظاماً خاصاً للحكم، وله اصول وأسس لا بدّ من تنفيذها. وفي غير هذه الصورة يصبح الاسلام ديناً عائماً تابعاً للأذواق والقراءات المختلفة. فهناك قراءة للخليفة الأول، وقراءة اخرى للخليفة الثاني، وقراءة ثالثة هي لعليّ عليه السلام. ما هو الفرق بين القراءات المختلفة؟ وآتي لنا ان ندّعي بأنّ قراءة عليّ عليه السلام هي الصحيحة، بينما القراءات الاخرى غير صحيحة اذا اصطدمت بقراءة عليّ عليه السلام؟ وعلى ايّ أساس كان من الممكن ان نقول ان لدينا قراءة للاسلام تنتسب الى المعصوم عليه السلام ويجب على الجميع ان يخضعوا لها؟

وحسب ايّ معيار كان يمكننا القول انّ الوقوف في مقابل رأي المعصوم هو تطلّف مرفوض؟

لو كان عليّ عليه السلام قد سار بالسيرة التي يريدونها لقالوا: أرايتم كيف سار الخليفة الاول بسيرة، والخليفة الثاني بسيرة، وعليّ عليه السلام بسيرة؟ لقد كان مثل الآخرين. وعندئذ كيف نشخص انّ رأيه كان أفضل من آراء الآخرين؟ انّ الخلفاء السابقين ارسلوا معاوية الى الشام من أجل مصالحهم ولكي لا يزاحمهم. فلو كان عليّ عليه السلام قد اقرّهم على هذا الفعل فأبى فرق بينه وبينهم؟ وعلى أيّ معيار كنّا نشخص انّ سيرة واحدة من مجموع هذه السير كانت على أساس رأي المعصوم، وأمّا البقية فقد كانت مبنية على رأي غير المعصوم؟ آتي لنا حينئذ ان نلتفت الى انّ مورداً واحداً منها هو الصحيح، وأمّا الباقي فقد كان خطأ؟

حتى أنه يمكن ادعاء عكس ذلك فيقال: اذا كان من حقنا ان نحكم، آخذين بالاعتبار هذه المعايير فلا بد ان نقول ان رأي الخلفاء الذين سبقوا علياً عليه السلام كان هو الأصح! لأنه حسب ما اتخذوه من تدبير لم تجر إراقة دماء في الشام والعراق، ألم يقل القرآن الكريم: «وَالصُّلْحُ خَيْرٌ»؟ اذن بما ان الاسلام هو دين الرأفة والرحمة والصلح والسلام وتبادل الابتسامات، وقد سار علي عليه السلام بسيرة مخالفة لهذا الجو حيث حارب أصحاب الجمل وصفين والنهران، فعلي عليه السلام هو المخطئ! قضى اربع سنوات وتسعة اشهر - هي كل فترة خلافته - في حروب مستمرة، اذن قراءة علي عليه السلام لم تكن صحيحة!

لكن علياً عليه السلام ما كان يهدف الى ان يقدم منهجاً لزمانه فحسب، وإنما كان يهدف الى ان يقدم منهج الحكومة الاسلامية الى الناس في جميع العصور الى يوم القيامة، فالاسلام يهدف الى العدالة، فان أمكن تحقيق العدالة بهدوء وعن طريق الصلح والسلام فإنه لا يجوز ان تراق حتى قطرة دم واحدة ولا يصح توجيه ابسط اهانة الى اي انسان، فعلي عليه السلام هو نفس ذلك الشخص الذي عندما سمع ان خلخالاً أنتزع من رجل امرأة يهودية قال: «فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا اسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً»^(١).

لم يكن علي عليه السلام على استعداد لان يُنتزع خلخال من رجل امرأة يهودية، فهل من المعقول ان يقوم هذا الشخص بذبح سبعين الفاً من الناس من دون مبرر؟! لو كنا - أنا وأنت - تفكر بالطريقة العصرية ماذا كنا نقول عن علي عليه السلام؟ أما كنا نقول أنه عنيف، قاسي القلب، ليس له رؤية سياسية، ونصفه بأوصاف من هذا القبيل؟

واقول لنفسي: توقّف ولا تندفع في الجراءة.

لكنّ عليّاً عليه السلام لم يكن ينظر الى زمانه فحسب، ولم يكن يفكر في حكومته فقط، بل كان لا بدّ ان يقدّم نموذجاً للحكومة الاسلاميّة، حتّى يستطيع ايّ انسان ان يتأسى به في اقامة الحكومة الاسلاميّة الى يوم القيامة.

عندما كان الامام الخميني رحمه الله مقيماً في باريس قصده المراسلون الصحفيون من كل أرجاء العالم وسألوه: اذا انتصرتم على الشاه فما هي نوعيّة الحكومة التي سوف تتولّى زمام الامور في ايران؟ فأجاب الامام قائلاً: «حكومة عليّ عليه السلام، انّ مثالنا وقدوتنا هي حكومة عليّ عليه السلام»^(١).

وبعد انتصار الثورة صرّح الامام نفسه قائلاً: مع كلّ الوان المشقّة التي تحمّلناها فأننا الآن نشمّ رائحة من الاسلام فقط. أمّا الحكومة المثاليّة فهي الحكومة التي حقّقها عليّ عليه السلام، ونحن نتحرّك في هذا الاتجاه بالمقدار الذي تسمح به الظروف ويعيننا الناس عليه، انّ هدفنا هو تلك الحكومة، ونحبّ ان نكون بهذه الصورة.

لم يقل الله انّ قدوتنا هي الديمقراطيّة الاوريّة او الامريكّيّة. لم يقل ايضاً انّ اسوتنا هي حكومة الخليفة الاول او الخليفة الثاني او غيرهما، وأنما قال الله انّ قدوتنا هي حكومة عليّ عليه السلام.

لم يكتب عليّ عليه السلام بتعريف الحكومة الاسلاميّة بأقواله البليغة، وأنما قام بتعريفها عملياً من خلال برنامج حكومته التي استمرت خمس سنوات تقريباً.

أمّا معاوية فقد استغلّ نقاط الضعف الموجودة في المجتمع الاسلامي آنذاك -وقد أشرنا اليها فيما سبق- وقد بذل غاية جهده ليعتبر طريقة التفكير هذه وليحلّ محلّها طريقة اخرى للتفكير. حاول ان يجري للناس عمليّة غسيل للدماغ، ثم

يطرح لهم منهجاً آخر. وعلى هذا الأساس نشط سياسته المذكورة، فاستغفل الشخصيات الكبيرة ورؤساء القبائل بالنطميع، فقد بذل لهم وجاد عليهم حتى اشترى ضمائرهم. وكثير من الناس كان تابعا للرؤساء، ففي اي اتجاه يتحرك رئيس القبيلة فانهم يقتفون أثره. وقد سيطر على الآخرين من خلال استعمال سياسة التهديد وإثارة الرعب.

ان معاوية خلال عشرين عاماً من حكمته لم يترك وسيلة إلا استغلها، فمن ناحية استخدم البذل والجود، ومن ناحية اخرى لجأ الى الرعب والاغتيال وسياسة القتل وإراقة الدماء بلا حد ولا حصر، والاعتداء على أعراض الناس، أمثال بسر بن ارقطة وسمره بن جندب، كان يرسلهما ليتصرفا بشكل بحيث لا يجروا احد على القيام بأي اعتراض. ولم يبق في العالم الاسلامي سوى افراد معدودين ولاسيما في العراق والحجاز يُطلق عليهم اسم «حواريي عليؑ»، وأما سائر الناس فقد استولى عليهم الرعب من سياسة معاوية. فاولئك الحواريون كانوا محترمين عند الناس، وحتى الضعفاء واهل الدنيا كانوا يكتون الحب لتلك الشخصيات من أجل منزلتهم الرفيعة. ونحن ايضا نعيش نفس هذه الحالة بشكل أو بآخر، يعني أننا قد نرتكب بعض الذنوب، لكننا نشعر بالمحبة والتقدير للأشخاص ذوي التقوى والتدين. مثلاً قد لا نراعي الاحتياط في الأموال لكن اذا صادفنا شخصاً نزيهاً يدقق في موضوع الانفاق من بيت المال فأننا نحبه ونجله. فقد لا تتمتع بهذه الهمة العالية لكننا اذا رأينا الطيبين فأننا نشعر بالسعادة.

وعلى كل حال فقد كان في ذلك الزمان اشخاص عرفوا باسم حواريي عليؑ، وقد سار التاريخ على تسميتهم بهذا الاسم. وكان من جملتهم مالك الأشتر الذي ارسله عليؑ والياً على مصر ثم قتل، وكذا محمد بن ابي بكر، وعدد آخر من الأشخاص الذين كانوا يتمتعون بالمنزلة الاجتماعية بالاضافة الى منزلتهم المعنوية،

نالوا النصيب الأوفر من الزهد والتقوى، واطَّلَعُوا على علوم البلايا والمنايا، وكانوا يخبرون أحياناً عن الغيب، فبعض أصحاب عليٍّ عليه السلام كانت لديه أنباء عن استشهاد واستشهاد آخرين. ومن بينهم أربعة اشخاص كانوا هم الأبرز: حُجْر بن عدي وعمرو بن الحَمِق الخزاعي ورُشيد الهَجْرِي وميثم التَّمَار، فهؤلاء الأربعة لم يكن من الممكن تطبيعهم بأي شكل من الأشكال، وكلُّما حاول معاوية أن يخدعهم باظهار الاحترام لهم والتمجيد بهم لكي يستميلهم نحوه فاتَّهم لم يبدوا أيَّ استجابة له. إنَّ هؤلاء الكرام كانوا يعرفون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله معرفة حَقِيقِيَّة ويعشقون علياً عليه السلام عشقاً الهَيِّأً، وقد وقفوا حياتهم لبيان فضائل عليٍّ عليه السلام ومناقبه. وقد كان معاوية متحيراً بشأنهم، لكنه قرَّر بالتالي أن يقتلهم: حُجْر بن عدي من ناحية، وعمرو بن الحَمِق الخزاعي من ناحية أخرى. ثم ارسل رأس عمرو بن الحَمِق الخزاعي الى زوجته. وقد كتبت هذه المرأة العظيمة جواباً ارسلته الى معاوية، وقد أغضبه جوابها الى الحدِّ الذي أمر باخراج تلك السيِّدة الكريمة من البلد الإسلامي.

وفي أحد الأيام جاء عمرو بن الحمق الى الامام امير المؤمنين عليه السلام وقال له: والله يا أمير المؤمنين اني ما اجبتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ولا ارادة مال تؤتينيهِ ولا ارادة سلطان ترفع به ذكري، ولكنِّي اجبتك بخصال خمس: انك ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوَّل من آمن به، وزوج سيِّدة نساء الامَّة فاطمة بنت محمد، ووصيِّه، وابو الذرِّيَّة التي بقيت فينا من رسول الله، واسبق الناس الى الاسلام، وأعظم المهاجرين سهماً في الجهاد. فلو أُنِّي كُلفَت نقل الجبال الرواسي ونزح البحور الطوامي حتى يأتي علي يومي في أمر أقوي به وليك وأهين به عدوك ما رأيت اني قد أدَّيت فيه كلَّ الَّذي يحقُّ علي من حقِّك. فقال عليٌّ عليه السلام: اللهم نور قلبه بالتقى،

واهده الى صراطك المستقيم، ليت أن في جندي مائة مثلك!!»^(١).
لا تصادف مثل هذه الزهور العطرة وعلى هذا المستوى من الإيمان إلا بأعداد ضئيلة.
وقد قام معاوية بقتل هذين الرجلين الكريمين، اي حجر بن عدي وعمرو بن
الحق، بكل قسوة، متحملاً كل النتائج المترتبة على ذلك الفعل الدنيء.
ان قتل مثل هؤلاء كان يكلفه غالباً، لأنه لا يحب ان يكون سيئ السمعة بين
المسلمين، ولكنه كان يعتقد أنه لا مفر من ذلك. فعندما وجد ان هذين لا يستسلمان
بأي شكل من الاشكال، ولا يمكن ترويضهما ولا تطيعهما فقد أمر بقتلهما. وبقي
شخصان آخران من حواربي عليؑ وهما رُشيد الهجري وميثم التمار.
وعندما مات معاوية في الشام فقد اخبر ميثم التمار اصحابه قائلاً: لقد هبت
عاصفة وأظن أن معاوية قد مات في الشام. والذين كانوا يعرفون ميثم التمار جيداً
علموا أنه لا يتكلم من دون علم.

وبعد فترة قصيرة اصبح عبيد الله بن زياد والياً على الكوفة وحدثت القصة
المعروفة مع ميثم. فقد كان ميثم منهمكاً في نشر فضائل عليؑ وهو يدعو الناس
الى اتباع اهل بيت النبي ﷺ. وكلما حاول عبيد الله ان يروض ميثم التمار فإنه لم
ينجح في ذلك. وفي الأيام التي سبقت دخول الامام الحسين بن عليؑ الى العراق
-اي في نفس الوقت الذي كان فيه مسلم بن عقيل في الكوفة وعبيد الله بن زياد
يطارده ليقتله- نقل انه: «مرّ ميثم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر
الأسدي عند مجلس بني اسد فتحدّثا حتى اختلفت اعناق فرسيهما. ثم قال حبيب:
لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب في حبّ اهل
بيت نبيه ﷺ ويقر بطنه على الخشبة. فقال ميثم: واني لأعرف رجلاً أحمر له



ضفيران يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه ويُقتل ويُجال برأسه بالكوفة. ثم افترقا.
فقال اهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين.

قال: فلم يفترق اهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري فطلبهما فسأل اهل المجلس عنهما فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رشيد: رحم الله ميثماً نسي: «ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم»! ثم ادبر. فقال القوم: هذا والله أكذبه. فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا مصلوباً على دار عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر وقد قتل مع الحسين ورأينا كل ما قالوا»^(١).

هكذا ربّي عليّ عليه السلام مثل هؤلاء الأبطال. وبالتالي قتل عبيد الله بن زياد ميثم التمار ورشيد الهجري، لماذا؟ لأنهما ما كانا مستعدّين للاستسلام لمطالبه غير المشروعة. وقد نقل احد الرواة قال: «سمعت ميثماً النهرواني يقول: دعاني امير المؤمنين صلوات الله عليه وقال: كيف أنت يا ميثم اذا دعاك دعّي بني اميّة عبيد الله بن زياد الى البراءة متّي؟ فقال: يا امير المؤمنين! انا والله لا ابرأ منك. قال: اذن والله يقتلك ويصلبك، قلت: اصبر فذاك في الله قليل. فقال: يا ميثم اذاً تكون معي في درجتي»^(٢).

وأنتهز هذه الفرصة لأوجّه كلمة عتاب لأصدقائي علماء الدين تلتخصّ في اثنا عندما ندرس ونحقّق في المسائل المتعلقة بموضوع «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» نقول أنّه واجب ما لم يشكّل خطراً على الروح، فاذا كان فيه خطر على روح الانسان فإنّ التكليف ساقط.

واحبّ أن اتساءل: هل انّ ميثم التمار لم يكن يعلم بأنّه اذا تعرّض روحه للخطر فإنّ حفظ الروح واجب ولا بدّ حينئذ من استعمال التقيّة؟ اليس من الواجب ان يحافظ الانسان على روحه؟

وهذا السؤال وارد في مجال حجر بن عدي ورشيد الهجري وعمرو بن الحمق ثم في مجال سعيد بن جبير وغير هؤلاء من كبار الصحابة. يروى ان الحجاج بن يوسف الثقفي ارسل إلى سعيد بن جبير فأحضر عنده، فطلب منه البراءة من عليّ عليه السلام فرفض ذلك بشكل حاسم. فقطعوا لسانه وهددوه بالموت فلم يتبرأ من ولاية عليّ عليه السلام فقتل رضوان الله عليه.

وروي ايضاً عن قنوا بنت رُشيد الهجري، قالت: سمعت ابي يقول: أخبرني أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا رشيد كيف صبرك اذا أرسل اليك دعيّ بني امية فقطع يديك ورجليك ولسانك؟ قلت: يا أمير المؤمنين آخر ذلك الى الجنة؟ فقال: يا رشيد انت معي في الدنيا والآخرة. قالت: والله ما ذهبت الايام حتى أرسل اليه عبيد الله بن زياد الدعي فدعاه الى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فأبى ان يتبرأ منه. وقال له الدعي: فبأيّ ميته قال لك تموت؟ فقال له: اخبرني خليلي أنك تدعوني الى البراءة فلا ابرأ منه، فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ولساني، فقال: والله لا أكذب قوله. قال: فقدّموه فقطعوا يديه ورجليه وتركوا لسانه، فحملت اطرافه يديه ورجليه. فقلت: يا ابت هل تجد المألما أصابك؟ فقال: لا يا بنيّة إلا كالزحام بين الناس. فلما احتملناه واخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله، فقال: ائتوني بصحيفة ودواة اكتب لكم ما يكون الى يوم القيامة فأرسل اليه الحجاج حتى قطع لسانه فمات عليه السلام في ليلته»^(١).

ولديّ كلمة عتاب مع اخوتي علماء الدين وهي اننا لا بدّ ان نحقق اكثر في هذه المجالات، حتى نستطيع القول في أيّ مورد وفي أيّ زمان تجوز البراءة من الامام المعصوم عليه السلام تحت عنوان التقيّة؟

وفي أيّ مجال يجوز ارتكاب بعض المحرّمات من أجل التقيّة، وما هي تلك

المحرمات؟ هل هناك موارد لا تستطيع التقيّة ان تحول دون اداء الواجب الشرعي ام لا؟ اذا كانت فما هي تلك الموارد؟

وبالتالي نحن نلاحظ وجود شخصيات عظيمة تتمتع بدرجة عالية من التقوى بحيث تأتي بعد درجة المعصوم عليه السلام ولديها علم البلايا والمنايا، ولكنها ما كانت مستعدة للتبرّي من علي عليه السلام للمحافظة على ارواحهم، لماذا ولأيّ سبب كان ذلك؟ ألم يكن من الأفضل ان يبقى هؤلاء احياء، ليطول الزمان الذي ينفقونه في تعليم الناس الحقّ والمعارف الأصيلة؟ ثمّ أليس بقتلهم تُسلب منهم امكانية القيام بواجب التعليم؟ وعلى أقلّ تقدير كان من المناسب ان يستعملوا التقيّة، فلماذا لم يلجأ هؤلاء الكرام الى التقيّة؟ ما هو مبرّرهم الشرعي؟ أما كان لديهم علم بموضوع التقيّة؟ وعندما كان علي عليه السلام يخبرهم بمستقبلهم لماذا لم يأمرهم بالتبرّي منه عندما يُطلب منهم ذلك حفاظاً على ارواحهم؟

يؤسفني أن أقول أننا لم نحقق في هذه الامور إلا قليلاً، ولعلّ أفضل شخص قام بالمهمّة في هذا المضمار هو الامام الخميني رحمته الله، حيث ان أوّل فتوى صريحة له كانت هي: التقيّة في مجال الامور المهمّة حرام ولو بلغ الامر ما بلغ^(١).

أما الآخرون فإنهم لم يصدروا مثل هذه الفتوى، لأنهم لم يقوموا بالتحقيق مثله، أو أنهم ما كانوا يملكون الجرأة على اصدار مثل هذه الفتوى. أما الامام الخميني رحمته الله فقد كان يتمتّع بالشهامة وقد قام بهذا التحقيق، ولهذا أعلنها صريحة بقوله: لا بدّ من اقامة النظام الاسلامي، حتّى لو تعرّضت ارواحكم للخطر، وحتّى لو قتل في سبيل ذلك مئات بل آلاف الأشخاص. لا بدّ من القضاء على الأشخاص المتصدّين لمحو الاسلام، عقائد الاسلام وقيمه، والتقيّة في هذا المجال حرام، وان بلغت النتائج ما بلغت.

هذه هي فتوى الامام عليه السلام، أما نحن تلامذته - اذا كنا أهلاً لتُعدّ من تلامذته - فقد قَصَرنا ولم نواصل الطريق الذي بدأه.

لابدّ ان نبيّن بشكل سليم الأسس الفقهيّة لهذه المسألة حتّى يتّضح تماماً في ايّ مورد يجوز استعمال التقيّة وفي ايّ مورد يجب، وهل هناك موارد يكون استعمال التقيّة فيها جائزاً لكنّ ترك استعمالها أرجح؟

انّ مثل هذه الأسئلة مطروح للبحث، ولكنّي أرجو ان يتّسع مجال مثل هذه البحوث وان تكون هذه المعارف الجليّة في متناول أيدي جميع الناس. أليست هذه الأحكام جزءاً من الدين؟ ألسنا في هذا العصر بحاجة ماسّة الى هذه الأحكام؟ هل لدينا اطمئنان بأننا سوف لن نحتاج الى هذه الأحكام؟ اذا لم تقم ببيان وشرح هذه الأحكام بالشكل الصحيح فسوف يقوم الشياطين بطرح موضوع التساهل والتسامح ثمّ ينسبونّه الى الاسلام، وبهذا يسلبون من المسلمين غيرتهم، ويثيرون في أنفس المسلمين الشكّ والشبهة بأنّ النظام اذا كان يطلق عليه اسم النظام الاسلاميّ فلا بدّ من التسليم لكلّ شيء يحدث في ظلّه.

عندما كان عليّ عليه السلام على رأس السلطة فأنّه اذا اخطأ الوالي جاء الناس الى الامام عليه السلام يشكونه. ولعلّكم سمعتم بهذه القصة فقد روي: «أنّ سودة بنت عمارة الحمدانيّة قالت: جئت الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب في رجل قد ولّاه صدقاتنا فجار علينا، فصادفته قائماً يصلي، فلما رأيته انفتل من صلاته ثمّ اقبل عليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطف، وقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر، فبكى ثمّ قال: اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم، وأني لم آمرهم بظلم خلقك، ثمّ أخرج قطعة جلد فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين، فاذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بما في يدك من عملنا حتّى

يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام. ثم دفع الرقعة الي... فجئت بالرقعة الى صاحبه فانصرف عنا معزولاً»^(١).

ان اولئك الناس ما قالوا: لما كانت حكومة عليؑ حكومة اسلامية اذن لابد من قبول كل جزئياتها.

ومن الذي يقول ان المسؤول الذي يعمل رسمياً ضد الاسلام، وهو المسؤول الذي يقول فيه قائد الثورة الاسلامية: انه لم يعمل شيئاً واحداً لصالح الاسلام، وبعض اعماله هي ضد الاسلام مائة بالمائة - وقد سمعت بأذني هذا القول من لسان قائد الثورة - من الذي يقول انه لا يحق لنا الاعتراض على مثل هذا الشخص لانه مسؤول في الحكومة الاسلامية؟ اذن لماذا شرع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ لماذا نبقي صامتين ونحن نلاحظهم يلعبون بالاسلام؟

ويزعمون انهم تابعون لأفكار الناس. وحتى لو فرضنا ان هذا الأساس صحيح - وهو غير صحيح قطعاً - أليس المعترضون جزءاً من الناس؟

كيف يحق لمجموعة قليلة من الشباب والفتيات ان ينزلوا الى الشارع ويرقصوا ويتبادلوا القبلات، ولكنّ الناس المؤمنين لا يحقّ لهم ان يعترضوا وان يبدوا مخالفتهم لهؤلاء؟ هل في هذه الحالة يحدث ما يهدّد استتباب الأمن؟ أليس من واجب مسؤولي الجمهورية الاسلامية ان ينهضوا بالدفاع عن الدستور الرسمي للبلد؟

ألم ترد مادة في القانون تنصّ على ان المطبوعات لا يحقّ لها ان تكتب شيئاً مخالفاً لأسس الاسلام والأخلاق العامة؟^(٢).

ألم ينشر في مطبوعاتنا - خلال هذه السنين الأخيرة - امور مخالفة لأسس

١. بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١١٩، الباب ١٠٧، الرواية ٢٧.

٢. قانون المطبوعات، الفصل الرابع، المادة السادسة، باللغة الفارسية.

الاسلام؟ انّ الذي أقسم على الدفاع عن القانون لماذا لم يتحدّث بشيء؟ أيصحّ الاكتفاء بهذه الذريعة وهي انّ القانون قد أعطى الحرية للمطبوعات؟ هل انّ القانون قد أعطى المطبوعات الحرية المطلقة؟ في نفس هذا القانون نلاحظ وجود هذا القيد وهو انّ المطبوعات لا يحقّ لها ان تكتب شيئاً مخالفاً لأسس الاسلام والأخلاق العامة. وفي غير هذه الصورة لا بدّ من الخضوع لقانون العقوبات. انّ القانون الصادر من شورى الثورة الثقافية يعتبر وزير الارشاد هو المسؤول عن جميع المطبوعات وألوان النشاطات الثقافية^(١).

فلماذا إذن لا تُراقب مثل هذه النشاطات؟ وليت الأمر يقتصر على عدم المراقبة. لماذا يعطون الضوء الأخضر للمطبوعات المنحرفة؟ لماذا يضعون تحت تصرّف أصحابها التسهيلات والامكانيات؟ أمن أجل ان يتجرّوا صراحة على مقدّسات الاسلام وعلى شخصيّة سيد الشهداء^(عليه السلام)؟ هكذا تكون الحكومة الاسلامية؟ اذا كان قائدنا - وهو نور عيوننا ونفديه بأرواحنا - هو الوليّ الفقيه فانّ ذلك لا يعني انّ جميع الامور سالحة وانّ جميع التصرفات هي مورد تأييدنا، في كلّ مورد يثبت فيه التخلف لا بدّ من الاعتراض.

اذا كانت مسألة مخالفة لفكر الجناح الحاكم ممّن يسمّون انفسهم بالإصلاحيين - لا بدّ من بيان ماهيّة هذا الإصلاح، وهل يمكن بالتسمية ان يتحوّل «الافساد» الى «اصلاح»؟ يقول تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ)^(٢).

- اذا لم ينسجم موضوع مع ذوق هؤلاء فانهم يدفعون الى الشوارع عدداً قليلاً

١. قانون اهداف وواجبات وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي . المادة الثانية.

٢. سورة البقرة، الآيتان ١١ - ١٢.

من المتحلّلين ليقوموا بالمظاهرات، ولا نجد احداً يقف في وجوههم، ويَدعون أنّهم تابعون لرغبة الناس، ولرغبة الشباب بالذات. أليس الناس والشباب هم الذين يملأون هذه المجالس الحسينية؟ إنّ ثمانين بالمائة من الناس الحاضرين في مثل هذه المجالس هم من الشباب. ليس المهمّ ان تتعالى الأصوات بشعارات تدافع عن الشباب، بل المهمّ ان نتساءل: ماذا قدّمتم لهؤلاء الشباب؟ إنّ هؤلاء الشباب يريدون الدين ويحبّون الحسين عليه السلام.

فاذا كان المدّعون للاصلاحات صادقين ومخلصين في دفاعهم عن الدستور وعن الديمقراطية فلينظروا ماذا يريد هؤلاء الناس ثمّ يعملوا بذلك. ألم يزعموا أنّهم يعملون حسب ما يريد الناس؟ أليس هؤلاء الحاضرون في المجالس الدينية من الناس؟ ام ان مفهوم الناس لا ينطبق إلا على عدد قليل من الشباب الواقعين تحت تأثير الدعايات الأمريكية والذين قد أفسدت اخلاقهم افلامُ الفيديو المنحطّة؟ هل واجبنا فقط هو ان نبتمس لهؤلاء ونرسل اليهم القبلات؟ وما هو الموقف من الشباب المتديّن الملتزم؟ أليس هؤلاء من الناس؟ وحسب الدستور ألا ينبغي الالتفات الى مشاكلهم وتلبية طلباتهم؟ ألا يصرّح القانون انه لابدّ من الحيلولة دون المفساد والتجاوز على احكام الاسلام والقيم الاسلامية؟

ان كنتم صادقين فلماذا لا تولون اهتماماً بهذا الجانب؟
ولماذا لا ترى أعينكم إلا الطرف المقابل لهم؟
استمعوا قليلاً الى هؤلاء الشباب المؤمنين ايضاً.

قبل فترة قصيرة قام الناس باعتراض شديد على مضامين بعض الصحف - ولم أكن أنا موجوداً في داخل البلد ولكنّي سمعت بذلك الأمر - وقاموا بتحصن عجيب، وقد ساهم في هذه الاعتراضات مجموعة من العلماء الكبار، من جملتهم آية الله المشكيني، وآية الله جوادي آملي، وآية الله النوري.

أما المسؤولون فلم يفعلوا أي شيء ازاء هذا التحصن وقد مرّ عليه عدّة شهور.
 أليس مراجع التقليد من جملة الناس؟ ألا يجب الاهتمام بأقوالهم؟
 وبالتالي يقول البعض إنّ هذا التحصن غير قانوني!
 وبعض المحافظين قال إنّ المظاهرات التي اقيمت لدعم القيادة العليا للثورة هي
 مظاهرات غير قانونية!

على أساس أيّ قانون تكون هذه الأحكام؟
 إنّ عشرة من المحافظين لم يعطوا الرخصة باقامة هذه المظاهرات^(١).
 لكن هل اهتمّ الناس بهذه المواقف؟
 إنّ الناس يعتزّون بدينهم، وإذا شعروا بأنّ دينهم يتعرّض للخطر فإنّهم لا يلتفتون
 الى هذه الامور، ولا ينبغي أيضاً أن يلتفتوا اليها.
 نعم اذا أمر قائد الثورة الاسلامية بشيء فإنّ امره مطاع ونضعه على رؤوسنا، كما
 كنّا نفعل مع أوامر الامام الخميني^(٢). واذا نهى عن شيء فلا بدّ من الانتهاء عنه.
 لكنّ القائد المكرّم لم يقل: لا تبدوا مواقفكم ولا تعترضوا ولا تنقدوا.
 لو أنّ امتنا قد وجّهت نقدها بصورة قانونية هادئة لهذه الهجمة الثقافية العارمة لم
 يصل وضعنا الثقافي الى ما وصل اليه. لكنّه مع الأسف استغفل الناس وخدّروا، لقد
 صوّروا للناس انه لمتا كان النظام اسلامياً فلا بدّ من الطاعة في جميع الموارد!
 إلا أنّ هذه مغالطة لا بدّ من التنبيه عليها، فمجرّد كون النظام اسلامياً لا يوجب
 الطاعة لكل مسؤول فيه ولا يحرم الاعتراض عليه. فاذا لاحظنا تخلفاً من أحد
 فلا بدّ من الاعتراض عليه ولا بدّ ان نصرخ في وجهه ليعرف العالم أنّنا جزء من هذه
 الأمة. إنّ الاذاعات وقنوات التلفزيون الأجنبية تصوّر الشؤون الايرانية وكأنّ الناس في

١. صحيفه كيهان ١٣٧٨/٤/٢٤، ش. باللغة الفارسية.

ايران - غير فئة قليلة - متحللون من القيم، متأثرون بالغرب، هاربون من الاسلام.
لابد ان نثبت للعالم اننا نحن الأمة الحية، وأما الآخرون فليسوا سوى خلايا
سرطانية وعداد مَرَضِيَّة. انّ الذين صنعوا هذه الثورة الاسلامية المباركة وتحملوا
أثقالها هم هؤلاء الناس المؤمنون. هم الذين انضوا تحت راية الحسين عليه السلام وثاروا
حسب معاييرهم وقدموا الشهداء لإحياء احكام الاسلام. فكيف يمكن الآن ان يعيشوا
مستقرين مطمئنين وهم يرون احكام الاسلام يُتلاعب بها بأسوء الأشكال؟ هل هذا
هو الدين؟ وهل هذا هو سبيل الله؟ وهل هو طريق الامام الحسين عليه السلام؟ هل الدستور
الرسمي للبلد يقول بذلك؟ هل مراجعنا يقرّون هذه الامور؟ اي دين يرضى بهذا؟ اي
ديمقراطية تسمح بهذا؟

انّ الطرف المقابل ينظر الى قوانين حقوق الانسان على أساس انها إنجيله،
وينظر الى الدستور على اساس أنه قرآنه، فليكن ذلك كما تقولون، فنحن نطالبكم
بالعمل حسب هذا الدستور وحسب تلك الديمقراطية. انّ اكثر من تسعين بالمائة من
الشعب الايراني يريد تطبيق الأحكام الاسلامية، فلا تخدعوا انفسكم. والله العظيم
انّ سكوت هؤلاء الناس ناشئ من طبيعتهم ومن تصوّرهم انّ قائد الثورة الاسلامية لا
يرضى بالاعتراض.

في يوم ما كانت لي محاضرة في احدى مدن خراسان، وبعد الفراغ من
المحاضرة اصرت سيدة على مقابلي ولما حضرت قالت: لدي موضوع احبّ أن
توصله للسيد القائد. فقلت: سوف افعل ذلك ان شاء الله اذا تهيأت الظروف. قالت:
أخبر السيد القائد بأنه والله العظيم لولا الاحترام لشخصك الكريم لارتدينا - نحن
السيدات - الأكفان وأوقفنا فلانا وفلانا و... عند حدّهم، والذي يحول بيننا وبين هذا
التصرّف هو احتمال أنّك غير راض عنه.

انّ امتنا اختارت السكوت عن بعض التصرفات احتراماً للقيادة وحفاظاً على

الأمن والاستقرار، وإلا فإنّ الناس لا يوافقون إطلاقاً على أن يموت الإسلام في هذا البلد. وأنا أوصي اخوتي الاعزّاء واخواتي الكريمات ان يوصلوا اعتراضاتهم بطريقة قانونية منطقية - الى أسماع المسؤولين، وليقولوا بوضوح أننا لا نريد هذه الامور. وهذه الطريقة في الاعتراض ليست جريمة ولا ارباباً ولا اثاراً للشغب. فهل هناك من يعدّ مجرد المخالفة لسلوك معيّن او سياسة خاصّة او لمسؤول بعينه عملاً اريباً او استعمالاً للعنف؟

اذا كان من يقول بذلك من المسلمين فكيف يفسّر سلوك علي عليه السلام أو حتّى سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نفسه؟

ينقل التاريخ أنّ النبي صلى الله عليه وآله قام بسبعين غزوة خلال عشر سنوات بعد هجرته المباركة، وان علياً عليه السلام قام بثلاثة حروب كبيرة خلال فترة حكمه التي لم تكمل خمس سنوات، وقد ذهب ضحية هذه الحروب ما يناهز مائة الف قتيل من المسلمين. فكيف يمكن تفسير مثل هذه الموارد؟

نعم اذا ساد في المجتمع منطق التساهل والتسامح فان مثل هذه التصوّرات تخطر على اذهان الشباب، ثم يأتي الجبناء الذين لا دين لهم ليقولوا ان الخميني لا بد ان يوضع في متحف التاريخ، فقد ذهب الاسلام، أنّها مشكلة الاسلام، انه لا يستطيع ان ينسجم مع الديمقراطية^(١).

١. صحيفة كيهان، العدد المؤرخ ١٣٧٩/٢/٢٤ هـ، وهو تقرير عن اللقاء الصحفي الذي اجراه اكبر گنجي مع

الصحيفة الالمانية تاكس اشبيگل.

الأرضية لنهضة عاشوراء (٣)

- أساليب استخدام معاوية لعوامل الانحراف في المجتمع

المرحلة الاولى: قبل خلافة عليّ عليه السلام

المرحلة الثانية: أثناء فترة خلافة امير المؤمنين عليه السلام

المرحلة الثالثة: بعد استشهاد الامام عليّ عليه السلام

- النشاط السري للامام الحسين عليه السلام في زمان معاوية

طرحنا سؤالاً في الفصلين السابقين وقلنا انّ الجواب عليه يحتاج الى مقدّمة توضيحية، وتحدّثنا في هذا المجال بما تيسّر خلال الفصلين الماضيين، ونحاول -بعون الله- ان نكمل الجواب في هذا الفصل.

كان السؤال هو: لماذا انقلب المسلمون، وحتّى الذين عاشروا امير المؤمنين عليه السلام وانتفعوا من تعاليمه، بل وحتّى الذين وجّهوا الدعوة للامام الحسين عليه السلام لكي يتصدّى لولاية الأمر والحكومة الاسلاميّة - انقلبوا بعد فترة قصيرة وسلّوا سيوفهم في وجه الامام الحسين عليه السلام وذبحوه بذلك الوضع الفاجع وتلك المصائب العظيمة؟ لو أنّنا لم نسمع هذه القصة مرّات عديدة في كلّ عام لما كنّا نصدّق بهذه السهولة بانّ مثل هذه الواقعة يمكن ان تحدث، ولكنّ هذه الحادثة هي من يقينيّات التاريخ ولا يوجد ايّ شك أو شبهة في وقوعها.

ولكي نستوعب الجواب علىّ هذا السؤال قلنا أنّه لا بدّ من الرجوع الى الوراثة لنستعرض وضع صدر الاسلام قبل واقعة عاشوراء ولاسيّما الفترة التي استلم فيها بنو اميّة مقدّرات الناس في الشام، لنرى نوعيّة الظروف التي كانت موجودة في ذلك الزمان، بحيث استطاع البعض ان يستغلّ تلك الظروف ويوجد فاجعة كربلاء العظيمة.

وقد ذكرنا انّ المجتمع الاسلامي كان مبتلى بالوان من الضعف، وقد شكّلت نقاط

الضعف هذه أرضية صالحة لكي يستغلها سياسيون مثل معاوية معتمداً على عوامل معينة للوصول إلى أهدافه.

وتتعلق نقاط الضعف غالباً بانخفاض مستوى الناس في مجال المعلومات الدينية والثقافية وسيطرة ثقافة القبيلة على المجتمع، بحيث إذا قام رئيس القبيلة بعمل فإن أبناء قبيلته يقتفون أثره مغمضين الأعين. وقد كانت مثل هذه الأمور أرضية خصبة لكي يسيء استخدامها السياسيون.

وأما العوامل التي استخدمها معاوية، مثل جميع السياسيين الباحثين عن الدنيا، فهي تلخص في ثلاثة أشياء، وإن كان من الممكن أن نأخذ بعين الاعتبار تفرعات مختلفة لبعض هذه العوامل، إلا أن العوامل الأساسية هي هذه:

١ - تطميع رؤساء القوم والشخصيات البارزة: أي أنه كان يشتري ذمم الرؤساء والصفوة في المجتمع، بواسطة بذل الأموال والجوائز لهم واعطائهم المناصب، ثم ينقذ أهدافه عن طريقهم.

٢ - تهديد عامة الناس: أي أنه كان يثير الرعب في نفوس عامة الناس باستخدامه لألوان القسوة والاعتقالات وفرض الصعوبات غير الانسانية.

٣ - اللجوء إلى الإعلام: ويمكن تقسيم هذا العامل إلى مجموعات فرعية أشرنا إليها من قبل. وقد بيننا جانباً من الوسائل التي استغلها معاوية للإعلام، وكيف كان يناور بألوان مختلفة من التكتيك في هذا المجال.

أساليب استخدام معاوية لعوامل الانحراف في المجتمع:

تفاوتت أساليب استخدام هذه العوامل في المراحل المختلفة من حكومة معاوية، ويمكن تقسيم فترة حكمته - من هذه الناحية - إلى ثلاث مراحل على أقل تقدير: المرحلة الأولى: قبل خلافة علي رضي الله عنه، ففي هذه المرحلة كانت الظروف مواتية

جداً لمعاوية، وذلك لأنّ أرض الشام منطقة بعيدة ولم يكن لها ارتباط قويّ بالحكومة المركزيّة، فالناس هناك لم يشاهدوا النبي الاكرم ﷺ وصحابته الكبار إلا قليلاً. ومن ناحية اخرى فقد اطلق الخليفة الثاني والخليفة الثالث - ولاسيما الثالث - يد معاوية الى حدّ بعيد، ولم يُلحظ منهما اهتمام بالسيطرة على معاوية.

وفي مثل هذه الظروف كان الأرضية مساعدة لكني يقوم معاوية بأيّ لون من ألوان النشاط، ولم يدخر وسعاً، فقد قام معاوية خلال هذه الفترة بتربية المجتمع الشامي حسب رغبته.

المرحلة الثانية: أثناء فترة خلافة امير المؤمنين ﷺ، وقد تغيّر تكتيك معاوية في هذه المرحلة ولاسيما في مجال الإعلام. فقد قام بتوجيه اصابع الاتهام الى عليّ ﷺ وأصحابه، وأشاع بين الناس انّ الخليفة الثالث قد قُتل على أيديهم، وحينئذ لا بدّ من أخذ دية المقتول منهم واجراء القصاص العادل على منقذ الجريمة، ويتعيّن على عليّ ﷺ ان يسلم قاتلي عثمان الى معاوية.

وقد اختلق هذه الفرية وأشاعها وركّز عليها إعلامه بحيث انطلت الحيلة على كثير من الناس فصدّق بهذا الكذب. وهكذا مهّد معاوية لاجتذاب عدد من الناس وشنّ بهم حرب صفين ضدّ الامام عليّ ﷺ، وقد قتل في هذه الحرب آلاف المسلمين من الطرفين. وليس من السهل اقتتال الاخوة المسلمين وفي حرب مواجهة بالاسلح الابيض خلال عدّة سنوات، وليس باستخدام وسائل القتل الجماعيّ مثل ما هو سائد اليوم، وأنما هي مسألة شديدة التعقيد، وقد انتهت هذه المرحلة باستشهاد الامام امير المؤمنين ﷺ.

المرحلة الثالثة: بعد استشهاد الامام عليّ ﷺ، وقد توفّرت أرضية جديدة في هذه المرحلة الثالثة. وقد كانت الظروف في هذه الفترة بشكل يبدو على الناس فيها الضجر من الحرب. وحتّى الأصحاب المقربون للامام عليّ ﷺ فقد خلفوا وراء

ظهورهم ثلاث حروب كبيرة هي حرب الجمل وصفين والنهروان، وهم الآن يواجهون مشاكل كثيرة.

واستغل معاوية الفرصة أسوء استغلال واشترى -بالمال والتزوير- ذمم قادة جيش الامام الحسن عليه السلام وأجبره عليه السلام على قبول الصلح.

وبهذا أحكم معاوية قبضته على جميع أرجاء البلاد الاسلامية، فلم يقتصر حكمه على الشام بل امتدت سلطته لتشمل مصر والعراق والحجاز واليمن وشمال إفريقيا. ولم يكن أحد من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله يزاحم معاوية إلا الامام الحسن عليه السلام، وقد أخرجته من الساحة السياسية بقضية الصلح. وفي هذه الأجواء يشعر معاوية انه يستطيع ان يفعل أي شيء يحبه.

وقد استغل معاوية هذه العوامل الى أبعد الحدود بحيث يمكن القول ان الآلام التي تحملها الامام الحسن عليه السلام ثم من بعده الامام الحسين عليه السلام الى عشرة اعوام بعد وفاة الامام الحسن عليه السلام كانت اشد واقسى من غربة سيد الشهداء ومظلوميته في يوم عاشوراء. ومع الأسف فنحن لا نملك المعلومات الكافية عن هذه المرحلة، ولا هي من الامور التي تثير مشاعر الناس وعواطفهم حتى يتم بذكرها احياء تلك الخواطر. فلا يبقى أمامنا سوى اللجوء الى العقل لتفهم به مدى الظلم الذي صب على أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ومدى الآلام التي كانوا يعانون منها. لقد وظفوا اعلامهم الى أبعد حد، حتى أنهم في جميع خطب الجمعة كان لابد من صب اللعنات -والعياذ بالله- بشكل رسمي على الامام امير المؤمنين عليه السلام، وكان يعد هذا الأمر جزءاً من الآداب العبادية للناس. فخطيب الجمعة والناس معه يشاركونه في لعن علي عليه السلام.

وكان الامام الحسن عليه السلام والامام الحسين عليه السلام يشاهدان هذه الامور ولكنهما لا يستطيعان ان يفعلوا أي شيء لإيقاف هذا العدوان.

ومادام الامام الحسن عليه السلام على قيد الحياة فقد كان الامام الحسن والامام

الحسين عليه السلام يسلي أحدهما الآخر ويبثه ما في نفسه. وأما بعد استشهاد الامام الحسن عليه السلام فإن الامام الحسين عليه السلام كان يتلع الآلام ويكتم ما في نفسه ولم يكن لديه احد يشكو اليه همّه.

وقد قضى عليه السلام السنين العشر - وهي كل الفترة المتبقية من عمر معاوية بعد الامام الحسن عليه السلام - في المدينة وهو يكتم همومه. وقد امتدت الفترة الفاصلة بين استشهاد امير المؤمنين عليه السلام وواقعة كربلاء حوالي عشرين عاماً تقريباً. ما يقرب من عشرة اعوام من هذه الفترة كان الامام الحسن عليه السلام فيها على قيد الحياة، ولكنه خلال السنين العشر الاخرى كان فيها الامام الحسن عليه السلام وحيداً. وقد سجّل التاريخ مناقشات جرت بين المدافعين عن الامام الحسين عليه السلام والآخرين، وأحياناً سُجّلت مكاتبات جرت بين الامام الحسين عليه السلام ومعاوية، وفي عدة مرّات جرت صدامات شفهيّة بين هذين الاثنين، وهي تعكس وحدة ومظلوميّة الامام الحسين عليه السلام. وقد سافر معاوية الى الحجاز مرّتين واصطحب معه مجموعة من قادة الشام العسكريين الى مكّة والمدينة، وبقي هناك فترة من الزمن يحاول فيها إعداد الأرضية لولاية عهد يزيد ابنه. وقد وقعت مناقشات خلال هاتين السفرتين بين معاوية والامام الحسين عليه السلام. والتقى معاوية خلالهما ايضاً بمجموعة من الشخصيات المحترمة والمشهورة في المدينة ممن لا يستسلم لمعاوية، وجرّت في تلك اللقاءات مناقشات بينه وبينهم. وكان هؤلاء الأفراد من الشخصيات البارزة التي لم تكن مستعدة للخضوع لسلطة يزيد، بينما كان معاوية يصرّ على اخذ البيعة منهم له.

وفي احدى المناقشات التي جرت بين معاوية والامام الحسين عليه السلام فيما يتعلق بولاية عهد يزيد دعا معاوية الامام الحسين عليه السلام لكي يخلو به في حديث خاص، فوافق الامام عليه السلام على عقد هذا اللقاء. ولما التقيا قال معاوية: انّ جميع أهل المدينة مستعدون لقبول ولاية عهد يزيد، ولم يبق إلا أربعة اشخاص - أنت احدهم - هم

الذين يرفضون هذه القضية، وانت تزعمهم، فان أنت قبلت ولاية يزيد وبايعت
فالآخرون سوف يوافقون أيضاً، وبهذا تتحقق مصلحة الأمة الاسلامية في وحدتها
وانسجامها، وتتمّ الحيلولة دون اراقة الدماء. فلماذا لا تبدي موافقتك؟ ولماذا ترفض
البيعة ليزيد؟

فقال الامام الحسين عليه السلام: لقد أمسكت بزمام السلطة كل هذه الفترة وسفكت
الدماء ونشرت الفساد، فالآن وفي آخر أيام حياتك لا تحمل عليّ ظهرك وزراً كبير،
ولا ترهن نفسك بذنوب يزيد، كيف ترضى لنفسك ان تسلط على الناس شخصاً مثل
يزيد، بينما يوجد بين الناس من أبوه وأمه وهو افضل وللناس انفع من يزيد وأمه
وابيه. ايّ دافع يحملك على ان تسلط على الناس مثل هذا الشخص (يزيد)؟

فقال معاوية: كأنك تحاول ان تطرح نفسك؟ بمعنى أنك تريد ان تقول انّ اباك
وامك أفضل من ابوي يزيد، وأنك ايضاً افضل من يزيد؟
فقال الامام عليه السلام: وماذا يحصل اذا قلت ذلك؟

قال معاوية: أمّا ما قلته من انّ امك افضل من امّ يزيد فقد صدقت. لانه ان لم
يكن لفاطمة عليها السلام إلا انها من قريش، بينما أم يزيد ليست من قريش لكان ذلك كافياً -
لاحظوا طريقة التفكير! هذه هي العصبية القومية - وعلاوة على كون امك من قريش
فهي ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً. اذن لا شك بانّ امك افضل.

أمّا قولك انّ اباك افضل من أبي يزيد فهذا محلّ تأمل، لأنك تعلم ان ابا يزيد
واباك قد تصارعا وقد حكم الله لصالح أبي يزيد. - لاحظوا الى اي مدى ينزع فيه
الانسان الحياء بحيث يحاول ان يثبت أفضليته معاوية على امير المؤمنين عليه السلام أمام
الحسين بن علي عليه السلام - وأمّا قولك أنك افضل من يزيد فالواقع يثبت خلاف ذلك،
فيزيد افضل منك بكثير للمجتمع الاسلامي. فقال الامام عليه السلام متعجباً: تقول يزيد
شارب الخمر افضل مني؟ (تأملوا في سياسة معاوية) قال معاوية في جوابه: لا تقع في

غيبية ابن عمك! (لما كانا من عشيرتين تنتميان الى قريش لذلك يقال انهما أبناء عم). معاوية يقدم النصيحة للامام الحسين عليه السلام قائلاً: لا تلجأ الى العنف! وتغتاب ابن عمك وتذكره بسوء! فيزيد لا يذكرك ابداً بسوء. وبناءً على هذا فهو افضل منك! يزيد الذي يلعب الكلاب ويشرب الخمر ولا يتمتع بأية شخصية يقارنه مع الحسين بن علي عليه السلام الذي هو جوهرة الانسانية والشرف ثم يقول له: يزيد افضل منك! ويحاول ان يظهر بمظهر المقدسين فيقدم الدليل على افضلية يزيد: بأنك تقع في غيبة يزيد وأما يزيد فهو لا يغتابك!^(١)

ونفس هذه السياسة يقوم بها جميع اللاعبيين بالسياسة في كل أرجاء العالم. في زمان الشاه أيضاً كان يقول «علم»: ان الامبراطور لا يترك صلاة العشاء! سمع ان المؤمنين يقولون: صلاة الليل مهمة جداً، فتصور ان صلاة الليل هي صلاة العشاء، لذا قال: كيف يقول هؤلاء العلماء ان الشاه ليس له دين؟ فالامبراطور لا يترك صلاة العشاء أيضاً!

ونظير هذا القول نسمعه اليوم حول بعض المسؤولين، فبعض الخناسين يقول في أحد المسؤولين - وهو من المضادين للاسلام - انه حافظ للقرآن وحافظ لنهج البلاغة أيضاً! ولا يترك اطلاقاً صلاة الليل! السياسة هي السياسة.

هكذا تجري الامور على طول التاريخ. حيث تُحرّف الحقائق ويتمّ التلاعب بالمفاهيم والقيم والمقدّسات.

ماذا يقول الامام الحسين عليه السلام في مقابل كلام معاوية، وبأي منطق يتحدث معه؟ ان معاوية يقول: ابو يزيد افضل من ابيك، لأنهما تصارعا وقد حكم الله لصالح ابي يزيد.

هذا هو المنطق الجبري الذي كان بنو امية يروجون له، فاذا نالوا السلطة قالوا:

هذه ارادة الله!

ونظير هذا التحريف قد وقع في قصة اخرى وهي ان امير المؤمنين عليه السلام لم يشترك في اي حرب خلال حكم الخلفاء الثلاثة، فهو وان كان لا يشترك فيها شخصياً لكنه كان يرسل ابناه. وفي احدى الحروب طلب الخليفة الثاني من امير المؤمنين ان يخرج الى القتال فاعتذر عليه السلام عن الخروج قائلاً: ان لدي ما يشغلني في المدينة. وبعد هذا الموقف التقى الخليفة الثاني بابن عباس فقال له: أتعلم ما هو الشيء الذي منع ابن عمك من المساهمة في القتال؟ فقال: لا. فقال الخليفة الثاني: بقي علي في المدينة حتى «يرشح نفسه للخلافة»^(١). بمعنى انه يعدّ الأرضية ليصبح خليفة من بعدي. يقول ابن عباس: قلت له: انه لا يرى نفسه بحاجة الى مثل هذا، لأنه يعتقد بان النبي صلى الله عليه وآله قد عينه اماماً للامة. فقال الخليفة الثاني: «كان يريد رسول الله، ولكن الله لم يرد!»

انه منطق المغالطات الذي كانوا يلجأون اليه في ذلك العصر، وقد استخدمه معاوية أيضاً، ولهذا قال: ان الله قد حكم لصالحى ضد علي، لأنه قد خرج من الدنيا قبلي، حيث قُتل على يد الخوارج.

وقد لجأ يزيد بن معاوية الى نفس المنطق في المجلس الذي أعده لاستعراض الأسرى بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام، حيث قال لزينب بنت علي عليها السلام: أرايت فعل الله بأخيك؟ لقد نصرنا الله عليه!

فمن أبرز النقاط التي كان يركّز عليها إعلام معاوية خلال هذه الفترة التي امتدت عشرين عاماً، ولاسيما مع شيعة علي عليه السلام أو مثل غالبية سكّان الكوفة - حتى اذا لم

١. شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ج ١٢، ص ٨٠.

يكونوا من شيعة عليّ فانهم ليسوا ضده - هي هذه النقطة: ماذا كانت الثمرة من حكم عليّ لهذا البلد ما يقرب من خمس سنوات؟ كم سالت الدماء؟ وكم عدد النساء الأرامل؟ وكم عدد الأطفال اليتامى؟ وكم هو عدد الأراضي الزراعية التي بقيت معطّلة من دون زراعة بسبب انشغالكم بالقتال؟ وكيف تضرّرت تجارتكم وبقيتم متخلّفين من الناحية الاقتصادية؟ من هو المسؤول والمقصر في كل هذا؟ لو كان عليّ قد صالحنا من البداية لم تقع الحرب ولم تجر الدماء ولم تحصل هذه المآسي ولم تُرمل هذه النساء ولم تُيتمّ هذه الأطفال ولم نواجه كل هذا الخراب والتخلّف الاقتصادي. كانت هذه من النقاط المهمة التي استغلّت ضد عليّ عليه السلام.

ارجو ان تتأمّلوا في نصوص نهج البلاغة لتلاحظوا انّ عليّاً كيف يلوم أصدقاءه وفي أيّ مجال؟

يقول عليه السلام مثلاً: «فيا عجباً! عجباً - والله - يميت القلب ويجلب الهمّ... فاذا أمرتكم بالسير اليهم في ايام الحرّ قلتُم: هذه حمارة القيظ، أمهلنا يُسبّخ عنّا الحرّ، واذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتُم: هذه صبارة القُرّ، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد، كلّ هذا فراراً من الحرّ والقُرّ، فاذا كنتم من الحرّ والقُرّ تفرون فأنتم والله من السيف أفرّ!»^(١).

هكذا كان عليّ عليه السلام يوجّه اللوم الى الناس في عدّة مواقع. ولم يكن هذا إلا نتيجة للإعلام القويّ الذي كان يبثّه معاوية وأزلامه في عمق المجتمع العراقيّ آنذاك وقد كان تابعاً لحكومة امير المؤمنين عليه السلام، وبهذه الطرق الملتوية كانوا يثيرون الناس على الامام عليه السلام ويهيئون الأرضية للتمرد والعصيان.

ألستا نواجه مثل هذا الإعلام في عصرنا؟ أليست الصحف عندنا تنشر مواضيع

تؤكد على أنّ الحرب بين العراق وإيران لو توقفت بعد تحرير مدينة «خرمشهر» لما كنا نعاني اليوم من هذه المشاكل العسيرة^(١)

إنّ قادة حزب «نهضت آزادي» و«جبهه ملي»، وهم الذين قال فيهم الامام الخميني عليه السلام: «هؤلاء هم اسوء من المناققين»^(٢) هم الذين يرسمون اليوم سياسة البلد من وراء الستار، بعضهم قد غير اسمه وبعضهم باقٍ على الاسم السابق، وكلّ منهم يقوم بدوره، ويصدر منهم مثل هذا الكلام.

ما هي النقطة التي يجسّمها إعلامهم؟

يقولون: لو لم تحدث هذه الحرب لم تحصل كل هذه المآسي في البلد. من هو المقصّر في هذه الحرب؟ يقولون: هم علماء الدين! فحكومة علماء الدين هي التي فرضت هذه الحرب على الناس! لو أنّهم وافقوا على الصلح مبكراً لم تصل الحالة إلى ما نحن فيه! والمشاكل الاقتصادية التي نعاني منها الآن هي نتيجة قطع العلاقة مع أمريكا! ولو أقدمت إيران الآن على إعادة العلاقات الطبيعية مع أمريكا لانحلت مشاكلنا! ومع أنّ هذه الشبهات قد تمّ تحليلها مرّات عديدة واجيب عليها بأفضل وجه ولكنّ الذين تجرّدوا من الحياء يعيدون نفس تلك الأقوال. أنّهم يتخذون نفس السياسة التي كان ينتهجها معاوية.

كانت سياسة معاوية تؤكد على أنّ الكلام الخاطي حتّى لو كان خطؤه واضحاً مثل الشمس في رابعة النهار فأنّه يصبح تدريجياً مقبولاً عند الناس اذا تمّ تكراره بكثرة. وهؤلاء ايضاً يلعبون نفس اللعبة السياسيّة.

في بعض الموارد نفس السيد قائد الثورة الاسلاميّة قد بيّن في خطابه موضوعاً من المواضيع بكلّ صراحة وأجاب عليه بكلّ وضوح، مثلاً بالنسبة للعلاقة مع

١. اكبر گنجی في مقال له تحت عنوان «عاليجناب سرخ پوش» في صحيفة «صبح امروز» بتاريخ ٢٩/١٠/١٣٧٨ هـ.

٢. صحيفة نور، ج ٢٢، ص ٣٨٤، باللغة الفارسيّة.

ش، ص ١٢، باللغة الفارسيّة.



امريكا فانه تناوله بالبحث تفصيلاً في العام الماضي، وقد بحثه الكتاب والمفكرون الآخرون واثبتوا بالشواهد التاريخية والعلمية أنّ العلاقة مع امريكا ليس فقط لا تحلّ مشاكلنا الاقتصادية، وأنما سوف تزيدنا أضعافاً مضاعفة. لاحظوا نموذج ذلك في الدول الاخرى. أليست تركيا من الاقمار الدائرة في فلك امريكا؟ بينما الشعب التركي يعلن الاعتصام مطالباً بزيادة الرواتب بنسبة خمسين في المائة. هذا هو وضع الاقتصاد التركي. والكلّ يعرف أنّ تركيا تعتبر نور البصر بالنسبة لامريكا، وهي من اكبر البلاد الاسلامية وكانت مركز الخلافة العثمانية، لكنّ امريكا دفعت هذا البلد الى ادنى مستوى من الذل بحيث يأكل فضلات العدو الاسرائيلي، لا بدّ ان يصبحوا عملاء لاسرائيل حتّى تجود عليهم اليد الاسرائيلية بشيء من الأسلحة.

لكن هل يتعظ هؤلاء الافراد بمثل هذا المصير البائس؟ كلاً، مع أنّهم يرون هذه النتائج فهم يصرون على أنّ مشكلتنا هي أنّنا لم نتقارب مع امريكا، ولو عادت علاقاتنا مع امريكا لانحلّت مشاكلنا! أنّه نفس المنطق الذي كان يشيعه معاوية. ومن الواضح أنّه في عصر معاوية لم تكن قضية امريكا هي محور البحث ولم يكن أصحابه من جماعة «نهضت آزادي»، ولكن لاحظوا التشابه بينهما: اولئك كانوا يعترضون على الحرب وعلى تنفيذ الاحكام والحدود الاسلامية، ويقولون لماذا لا نتقارب مع الكفار؟ بينما يؤكّد عليّ عليه السلام أنّ واجب الحاكم الاسلامي هو تنفيذ احكام الاسلام والمحافظة على القيم الاسلامية قبل كل شيء، ثمّ بعد ذلك يصل الدور الى الاهتمام بالاقتصاد وسائر الامور.

اولئك كانوا يصرون على ان الاولوية للزراعة والتجارة، ثمّ اذا بقي لنا وقت وفراغ بال وكانت حاجة ماسّة للجهاد فإننا نذهب الى الجهاد وإلّا فإننا نصالح!

واليوم من هم المدافعون عن منطق معاوية؟ ومن هم المتمسكون بمنطق

عليّ عليه السلام؟

لقد استغل معاوية تقاطعاً ركّز عليها في إعلامه بحيث صرف قلوب الناس عن عليّ عليه السلام وحكومته وحكومة آل النبي ﷺ، ووصلت به الجرأة إلى الحد الذي يحاول فيه أن يثبت أفضليّة يزيد على الامام الحسين عليه السلام، لمن؟ للامام الحسين عليه السلام نفسه!!

النشاط السري للامام الحسين عليه السلام في زمان معاوية:

في مثل هذه الظروف ماذا كان يمكن للامام الحسين عليه السلام ان يقوم به من عمل؟ لم يبق أمامه من عمل سوى ان يبحث هنا وهناك - وبصورة سرّية - عن أفراد معدودين يهديهم إلى الصراط المستقيم. وانتم تعلمون انّ الناس يتوافدون على الديار المقدّسة من مختلف البلاد الاسلاميّة ولاسيّما في موسم الحج، ولهذا كان يسعى الامام الحسين عليه السلام للاتصال بهم في المسجد الحرام أو في منى أو في عرفات ويحدّثهم في الشؤون المهمّة ويبين لهم ارشاداته.

وأرجو أن تتأمّلوا في كلمات الامام الحسين عليه السلام في هذه المجالات. ونشير هنا إلى نموذجين منها: ففي أحد الاجتماعات الذي عُقد - كما يبدو - في منى دعا الامام عليه السلام مجموعة من الناس الذين يحتمل انّ كلامه سوف يؤثّر فيهم، وقد جمعهم في مكان بعيد عن عيون معاوية وجلاوزته ثمّ قال لهم:

«اسمعوا مقالتي واكنموا قلوبي»^(١).

ايّ سرّ اريد أن افشيه لكم؟ اريد أن أقول لكم: انّ هذه الحكومة ليست حكومة اسلاميّة. فالنبيّ الأكرم ﷺ قد عين - بأمر من الله تعالى - عليّاً عليه السلام خليفة من بعده، ولكنّ المسلمين لم يقبلوا ذلك وقالوا نحن نريد حكومة ديمقراطيّة! وبالتالي انتهى امر الخلافة إلى معاوية، حيث لم يراع حرمة أيّ شيء. أترون معاوية كيف يصبّ الظلم



على الناس؟ وكيف يهمل الاحكام الاسلامية؟ وكيف يتهاون بالمقدسات الاسلامية؟ يقول الامام الحسين عليه السلام: أردت فقط أن أقول لكم: اعلموا أن هذه الحكومة ليست على حق، ولا أريد أن أقول لكم انهضوا أو ثوروا عليها. اسمعوا كلامي واحفظوا السر ولا تخبروا أحداً بأن الحسين عليه السلام قال لنا مثل هذا الكلام، «ثم أرجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمتهم ووثقتهم به فادعوهم إلى ما تعلمون».

لماذا كل هذا التكتّم والتستر والعمل السري؟

هل أن الامام الحسين عليه السلام كان يريد بهذه الوسيلة ان يوفر الأرضية لحكومته؟ كلا، لأنه كان عليه السلام يعلم حقيقة الأوضاع والنتيجة النهائية، وهو نفسه عليه السلام يبين الغاية من هذا القول: «فأني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب» أخاف أن ينسى الناس أن الاسلام حق، وأخاف أن يجهل الناس نوعية الحكومة الحق، وان لا يعرفوا ما هي القيم الاسلامية؟

لقد جرى هذا في ظروف كانت فيه الحكومة بيد معاوية، ولم يكن الامام عليه السلام قادراً على المقاومة والتصدي العلني، ولو كان الامام الحسين عليه السلام قد أقدم على مثل هذا لتم اغتياله ولم تحصل أية نتيجة ايجابية لهذا الاغتيال، ولهذا كان عليه السلام حريصاً على الاتصال بالأشخاص تارة بصورة فردية واخرى بشكل مجموعة صغيرة، ويؤكد عليهم ان يكونوا حافظين للسر، ويبيّن لهم أنني خائف من اندراس الحق تماماً على وجه الأرض بحيث يُنسى ولا يدري أحد عندئذ ما هو الحق.

اذا كان الناس يعرفون الحق ولكن الأهواء وحب المناصب وعبادة اللذات تمنعهم من العمل بذلك الحق فالأمر سهل على العلماء، لأنّ الحجّة قد تمت على الناس، وللعلماء حجتهم في أن الناس يعرفون الحق ولكنهم مع ذلك لا يعملون به. واما اذا كان الحق في طريقه إلى النسيان فإنّ مسؤولية العالم تغدو أصعب وأشدّ تعقيداً، فان تيسر له ان يتحرك بصورة علنية فعلى الأقل يطمئن قلبه بأنني أدبت

واجبي. غاية الأمر أنهم يقتلونهم، مثل ما حدث للشيخ فضل الله حيث صلبوه، وليس أكثر من ذلك، لكنّه مستريح البال أنّه قد أدّى ما عليه من واجب. هل كان الشيخ فضل الله خائفاً من الإعدام؟ كلاً، وأنما كان مطمئنّ الضمير الى أنّه قد قام بما يجب عليه.

أمّا اذا كانت الظروف بشكل بحيث لا يمكن الجهر بالكلام الحقّ، حيث تلصق بالمتكلم ألوان التهم، وصحيح أنّ الاتهام أمر سهل، لكنهم يؤطّرون الانسان بإطار بحيث لا يعود كلامه مؤثراً، وفي هذه الحالة يتساوى الكلام وعدمه. وعندئذ اذا تكلم بالحقّ فإنّه يقتل ولا يترتب على قتله ايّ أثر ايجابي. وهذا هو الذي كان يؤذي الامام الحسين عليه السلام روحياً، فقد تحمّل عليه السلام مثل هذا العذاب.

أرجو من القارئ الكريم ان يتوقّف قليلاً وينظر هل هذا العذاب والمظلومية أشدّ أم الشهادة في يوم عاشوراء؟ لقد عاش الامام الحسين عليه السلام هذا العذاب الروحي خلال عشرين عاماً ولاسيّما اثناء السنين العشر بعد استشهاد الامام الحسن عليه السلام. يقول عليه السلام: «فاني اخاف ان يندرس هذا الحق ويذهب» ثم يواصل كلامه فيؤكد أنّي مطمئنّ بوعد الله (وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ^(١) لكنّ هذه الظروف التي خلقها بنو امية تؤدّي الى ذهاب الحقّ ونسيانه.

لاحظوا أنّ الامام الحسين عليه السلام لا يستطيع ان يجهر بالحق وهو في بيته، في المدينة، في مسقط رأسه، في المكان الذي طالما شاهده المسلمون محمولاً على كتف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، لا بدّ أن ينتظر ايام الحجّ ليجمع بعض الناس في منى لكي يحدّثهم بالحق بصورة سرّية.

والنموذج الآخر هو كلام الامام الحسين عليه السلام مع مجموعة من الصفوة خلال سفر الحجّ. فهو عليه السلام قد استغلّ هذه الفرصة ووفّر المقدمات مستعيناً بأصحابه والمخلصين

له فتمعرّفوا على بعض الشخصيات وعقد معهم اجتماعاً سرّياً تحدّث اليهم فيه. وفي بداية حديثه ﷺ وجّه اللوم لهذه النخبة من الناس وخاطبهم بأنكم لا تعملون بواجباتكم. فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر. فأنتم خائفون على أرواحكم وأموالكم. ثم يقول ﷺ:

«اللهم أنك تعلم أنه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام»^(١).

اللهم أنك تعلم أنّ كلّ ما قمنا به منذ زمان والدنا امير المؤمنين ﷺ ولحدّ الآن لم يكن منّا منافسة لأحد على جيفة الدنيا ولا منافسة على الحكم والمناصب الدنيوية. وما كنّا نهدف الى الحصول على حطام الدنيا. «ولكن لثري المعالم من دينك ونظير الاصلاح في بلادك»، كل هذه الجهود كانت -بالدرجة الاولى- من أجل أن نبيّن للناس أسس الدين وقيمه، بحيث نقوم بواجبنا في هدايتهم، ليميّز الناس بين الحقّ والباطل، ولئلاً يضيع الحقّ وسط السحب السوداء والمياه العكرة. ثمّ -بالدرجة الثانية- كانت من أجل أن نصلح -بالمقدار الميسور لنا- الأعمال الفاسدة وأن نحول دون وقوع الأعمال المنحرفة في المجتمع الاسلامي، وكان هدفنا في ظلّ القيام بواجباتنا هو: «ويأمن المظلومون من عبادك».

قارنوا ما قاله معاوية للامام الحسين ﷺ: اذا بايعت يزيداً فسوف يستتبّ الأمن الاجتماعي، الى ما يقوله الامام الحسين ﷺ من أنّ الهدف من نهضتي هو أن يأمن المظلومون. وهذا يعني أنك يا معاوية أنت الذي صادرت أمن الناس واعتديت على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم. عندما جاء بسر بن أرطاة الى المدينة فقد اعتدى على أعراض المهاجرين والأنصار. لم يكن قد مرّ على وفاة النبي الأكرم ﷺ سوى عدّة عقود من الزمن حتّى جاء من يطلق على نفسه اسم خليفة رسول الله ﷺ

ليغتصب أعراض المسلمين، ومع كل هذا يقول معاوية بوقاحة للامام الحسين عليه السلام:
لو قمت بالبيعة ليزيد لاستتب الأمن! ماذا يعني الأمن حسب ذوق معاوية؟

يعني تسلط بني امية بحيث يفعلون ما يشاءون. هذا هو معنى استتباب الأمن عندهم!
لكن الامام الحسين عليه السلام يقول: أنني أنهض من أجل أن يصل المظلومون الى الأمن.
ثم يواصل الامام عليه السلام كلامه فيقول: «ويعمل بفرائضك وسننك واحكامك» فهدفنا
هو أن يشيع بين الناس في المجتمع العمل بالواجبات والمستحبات وتطبق فيه
أحكام الله. نحن لم نهض من أجل المال والمناصب، وليس هدفنا من تعريض
أنفسنا للخطر هو الظفر بالملذات الدنيوية الهابطة. كل من يخاطر بحياته من أجل
الله والدين لا يمكن ان يكون هدفه المال والمناصب، لان هذه الامور لا تنفعه شيئاً
بعد الموت. وأما أملنا هو أن يسيطر دين الله على المجتمع وأن تُنفذ فيه احكام الله.
ثم يواصل عليه السلام كلامه فيقول: «فأنكم إلا تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم».
جسموا في أذهانكم الجو الذي يتحدث فيه الامام عليه السلام، فقد تعرف على صفوة من
المسلمين ثم جمعهم في جلسة سرية وأخذ يتحدث اليهم فيقول: ان لم تنصرونا ولم
تستعملوا الإنصاف معنا فإن الظلمة يشتد ساعدهم عليكم: «وعملوا في اطفاء نور
نبيكم»، فهل أنتم راضون بهذا وتحبون أن يحدث مثل هذا؟ ان لم تكونوا راضين
بهذه النتيجة فلا تركونا وحدنا نواجه هذا التحدي، فعلى أقل تقدير لا تدخروا
وسعاً في مساعدتنا باللسان. وان لم تخفوا لمساعدتنا فستبتلون بهذا المصير، وهو
أن يتسلط الظالمون عليكم ثم لا يلتفت أحد الى استغاثتكم.

هكذا كان يتصرف الامام الحسين عليه السلام في المدينة لفترة طويلة امتدت عشرين
عاماً. لا يمكنه أن يصبح خطيباً لصلاة الجمعة، لان السلطة آنذاك ما كانت لتسمح له
بذلك، فالخطيب يعينه معاوية ولا بد أن يصب اللعنات على علي عليه السلام، والامام
الحسين عليه السلام جالس يسمع ذلك.

لو كان الحسين عليه السلام قد نهض في مثل هذه الظروف فإن غاية ما يمكن الحصول عليه من نتيجة هي أن يقول بعض الناس الطيبين ممن يحبونه: أسفاً على الامام الحسين عليه السلام لقد خسرناه، وبعد فترة قصيرة يغمره النسيان.

لو وجَّهنا السؤال اليوم الى الغالبية من شيعة علي عليه السلام ومحبيه: كم مرّة سمعوا باسم عمرو بن الحمق أو رشيد الهجري؟ وكم عدد الذين يعرفونهما؟ فانّ الجواب واضح للجميع. ولو كان الحسين عليه السلام قد نهض في تلك الظروف لكان مصيره أن يصبح واحداً من هؤلاء.

ماذا جرى لزيد بن علي بن الحسين؟

كم تعرف الغالبية العظمى من الشيعة من تاريخ زيد بن علي؟ وكم هو عدد المجالس التي تقام لإحياء ذكراه؟ وهل يسكب الناس الدموع على مصيبتهم؟ مع أنه نهض وقتل وصلب جسده وبقي مدة من الزمن مصلوباً.

لو أنّ الامام الحسين عليه السلام كان قد نهض في عصر معاوية لواجه مثل هذا المصير، لأنّ الناس ما كانوا ليرحبوا بمثل هذه النهضة، حيث أنّ معاوية كان يؤدي اعماله بخبث وشرطنة ولم يكن مثل يزيد يفعل من دون سياسة ولا تخطيط. فمن شيطنة معاوية ان يقوم بنهي الامام الحسين عليه السلام عن المنكر قائلاً: لا يجوز لك ان تقوم بغيبة يزيد. أتذكر في أوائل الثورة الاسلامية عندما كان الامام الخميني رحمته الله يذكر الشاه بسوء فان بعض المقدسين كان يقول: لست أدري هل انّ الاستماع الى هذا اللون من الغيبة جائز أم غير جائز!

واليوم ايضاً اذا غضضنا النظر عن السيئين والمنحرفين فإنّ أصحاب النظرة القصيرة ومعوجي السليقة موجودون بين الناس الطيبين وهم لا يعرفون متى وأين وبأية كيفية لابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبعض اللوم يتّجه اليّ والى



أمثالي حيث قصّرنا في بيان هذه المسائل للناس بصورة صحيحة.

اذن السبب في أنّ الامام الحسين عليه السلام لم ينهض في زمان معاوية هو أنّ الظروف لم تكن بشكل يستطيع فيه عليه السلام ان يسجّل رسالته في التاريخ بمظلوميته وشهادته حتّى تبقى خالدة ولا تضع في غياهب التاريخ. لكنّه عليه السلام قام بهذه المهمة في زمان يزيد بشكل مدروس ومخطّط. ومن الواضح انّ هذه الخطة كانت معدّة من قبل، وهناك شواهد كثيرة تدلّ على أنّ الامام الحسين عليه السلام كان يعرف ماذا يفعل. فقد قالها كثيراً وكرّرها عدّة مرات في اثناء الطريق: إنّ الشهادة هي نهاية هذا السفر. وقد كانت خطة الهبة محكمة لكي ينال الامام الحسين عليه السلام الشهادة بتلك الصورة حتّى يخلد اسمه الى الأبد كمصباح مشعّ يضيء جميع العوالم في جميع العصور، بحيث يصبح أنشودة يترنّم بها حتّى الكفّار وعبدة الأصنام واليهود والنصارى، ولا شك أنّكم سمعتم جوانب من هذا الأمر من أفواه العلماء والواعظين وقد ألّفت كتب كثيرة في هذا المجال. وبناءً على هذا اذا عدنا الى السؤال القائل: كيف أصبح الناس مستعدّين لقتل الامام الحسين عليه السلام؟

فانّ الجواب هو: لقد تمّ شراء بعض الضمائر بالأموال.

كما نلاحظ هذا الأمر يتكرّر في زماننا، حيث يمكن شراء بعض الأصوات في البرلمان، فقد نشرت الصحف المحليّة أنّ ممثّل إحدى المدن في البرلمان صرّح بانه قد عرض عليه مبلغ من المال في مقابل التصويت لشخص^(١)، ولم يكذّبه احد. في ذلك العصر أيضاً كان يبذل معاوية الأموال لكي يشتري بها ضمائر الأشخاص ويجتذبهم نحوه.

والفريق الآخر استعمل معهم اسلوب التهديد والتخويف واستخدام القسوة والقتل.

١. صحيفة بيان، العدد المؤرخ ١٥/١٠/١٣٧٨ هـ.ش، ص ٢، باللغة الفارسية.

وعلى كل حال استخدم الخداع مع عامة الناس بما يناسبهم من الدعاية والإعلام. في مثل هذه الظروف التي وقع فيها الناس تحت تأثير إعلام معاوية المسيطر على العقول، ومن ناحية تمّ شراء بعض الضمائر بالأموال، ومن ناحية أخرى كان الخوف يخيم على المجتمع - في مثل هذه الأجواء لا تبقى للناس ارادة ولا اختيار حقيقي للانتخاب الواعي.

يأتي مسلم بن عقيل إلى الكوفة ويخطب الناس ويوضح لهم الحقائق فيبايعونه، لكنهم يبايعونه في الصباح ويكسرون بيعته في الليل. وكذا الأمر في من كتب الرسائل للامام الحسين عليه السلام ودعاه إلى تسلّم زمام السلطة، هؤلاء الناس أنفسهم شهروا السيوف على الامام الحسين عليه السلام وقتلوه مظلوما. أنهم هم الذين تسابقوا إلى كربلاء لسفك دم أبي عبد الله عليه السلام.

في صباح اليوم العاشر من المحرم عندما أراد عمر بن سعد أن يدفع بقواته نحو خيم أبي عبد الله الحسين عليه السلام صلى ثم قال:
«يا خيل الله اركبي! وبالجنة أبشري!»^(١).

من جاء من الخيالة لسفك دم الحسين عليه السلام فهو من خيل الله! وقتل الحسين عليه السلام هو الطريق إلى دخول الجنة! لماذا؟ لكي يصل عمر بن سعد إلى السلطة فيصبح والياً على الري!

لابدّ لنا ان نأخذ العبرة في حياتنا من مشاهد التاريخ هذه. فالحسين عليه السلام قد ظفر بالشهادة قبل أكثر من ألف وثلاثمائة عام، وقد هلك يزيد أيضا، ولكننا يجب أن ننتفع من مجالس العزاء على الامام الحسين عليه السلام لنعرف ماذا يجب علينا ان نعمل اليوم. انّ طريق يزيد لم ينته، وانّ طريقة تفكير عمر بن سعد لم تضحّل، وانّ اسلوبهم السياسي لم يتغيّر. أجل ان الاشخاص يتغيّرون ولكن

سياستهم هي هي، وأنّ الختّاسين منبثون في كلّ مجال وهم يستخدمون نفس الاسلوب، يذهبون إلى العلماء ويوسوسون لهم بأنّ المسؤول الفلاني يتمتّع بمستوى رفيع من الدرجات المعنويّة وله خدمات جليّة للاسلام، واذا لم يكن هذا واصحابه في السلطة فإنّ الاسلام يندرس في هذا البلد وتأتي امريكا لتحتطم كلّ شيء! ونقول: انّ هذا الكلام لا يقنع حتى الأطفال:

أولاً: ماذا استطاعت أمريكا أن تعمل حينما كانت متسلّطة على ايران بحيث كان كلّ شيء في يدها حتّى تستطيع اليوم ان تفعل وهناك في هذا البلد ستون مليوناً من المسلمين العاشقين للاسلام والثورة؟

ثانياً: أين صار وعد الله تعالى؟ ألم يقل سبحانه في القرآن: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)^(١)؟

هل أصبح هذا الوعد كاذباً؟! أم هناك قراءة جديدة لهذا النص الشريف؟! كونوا مع الله ليكون الله معكم.

إذا أردتم العزّة في الدنيا، فسوف تحصلون عليها من خلال طاعتكم لله، وإن أردتم العزّة في الآخرة فسوف تظفرون بها تحت ظلّ العبوديّة لله. واعلموا علم اليقين أنّ سعادة الدنيا والآخرة هي في ظلّ اتباعكم الامام الحسين عليه السلام.

الأرضية لنهضة عاشوراء (٤)

- علل انفعال المجتمع في مقابل نشاطات معاوية

الكف عن بذل المال في سبيل الله

التخاذل عن التضحية من أجل الدين

تأثير العلاقات القومية والفئوية

- طرق مواجهة علل الانحراف في المجتمع

رفع مستوى المعرفة

رفع مستوى الايمان والمعنويات

خلاصة ما ذكرناه في الفصول السابقة هي ان أعداء سيد الشهداء عليه السلام - وهم في الواقع اعداء الاسلام - استطاعوا ان يحرفوا المسير الصحيح للخلافة والولاية، وان يندفعوا في طريق الضلال هذا الى الحد الذي يقتلون فيه سبط النبي الأكرم عليه السلام بتلك الصورة الفاجعة. والسبب في هذا هو سوء استخدام بني امية للظروف السائدة آنذاك واللجوء أيضاً الى بعض الأساليب والتكتيكات التي تحقق لهم أهدافهم. فجهاز السلطة الامويّ استخدم عامل الإعلام وعامل التهديد وعامل التطبيع، وبذلك استطاع ان يغيّر مسيرة المجتمع، وان يوجد ظروفاً أدت بالناس للابتلاء بتلك المصيبة العظيمة.

علل انفعال المجتمع في مقابل نشاطات معاوية:

بما ان الظروف التاريخية يمكن ان تتركز بشكل أو بآخر، فتحقق موارد مشابهة لها في مراحل اخرى، فانه يطرح سؤال آخر بعد السؤال الماضي وهو:
صحيح ان معاوية قد استخدم وسيلة الإعلام الممزوج بخداع الناس وتحريف الحقائق الذي هو في الواقع اغتيال الشخصيات من ناحية، واستخدام حربة التهديد والتطبيع من ناحية اخرى، ولكنه لماذا انخدع الناس وتأثروا بتهديده وتطبيعهم؟
وهذا السؤال هو في الواقع الوجه الآخر لقطعة النقد بالنسبة للسؤال السابق،

بمعنى ان أحد الوجهين هو الفعل والوجه الآخر هو الانفعال، فبنو امية هم المؤثرون والناس هم المتأثرون. بنو امية هم الفاعلون للإعلام والتهديد والتطميع، والناس منفعلون في مقابل هذه الامور.

فيما مضى تحدثنا عن الجهة الاولى وهي المتعلقة بفاعلية بني امية.

أما الجهة الاخرى للسؤال فهي: ما السبب في انفعال الناس؟ لقد عرفنا ان بني امية يخدعون، ولكن لماذا ينخدع الناس بهم؟ وبيننا ان بني امية يهددون، ولكن لماذا يتأثر الناس بتهديدهم؟

وتتضح اهمية هذا السؤال بالالتفات الى الجواب عليه، حيث يمكننا إعداد أنفسنا حتى اذا وُجدت - لا قدر الله - ظروف مشابهة لتلك الظروف وحاول أعداء الاسلام أن يستخدموا نفس تلك الحربة لتغيير مسير الثورة الاسلامية فاننا نبدي حينئذ رد فعل بشكل واع بحيث لا نكون منفعلين. ونؤكد على ان هذا لا يعني أننا لا نعد أنفسنا إلا اذا ظهر معاوية آخر أو يزيد آخر أو شمر آخر أو عمر بن سعد آخر أو ابن زياد آخر.

فالأحداث التاريخية لا تتكرر بعينها وإنما يحدث ما يشبهها. ولعلّه قد طرق سمعكم هذا الموضوع وهو مضمون رواية ينقلها السنة والشيعه بأسناد متعددة عن النبي الأكرم ﷺ ينتبأ فيها بأنه سوف يحدث في امتي ما حدث لبني اسرائيل، ثم يضيف ﷺ هذه الجملة فيقول: «حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»^(١).

فهذه الرواية لا تعني انه سوف يظهر في هذا الزمان فرعون يقول للناس «أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى»^(٢) حتى تبطل أمة النبي الاكرم ﷺ بفرعون موسى أيضاً، أو سوف

١. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٢٨، الباب ٢، الرواية ٢٤.

٢. سورة النازعات، الآية ٢٤.

يظهر قارون يملك ثروة عظيمة ويبتلى به اناس ذلك الزمان، أو سوف يظهر سامري آخر ويصنع صنماً بصورة عجل ويدعو الناس الى عبادته.

كلاً، فتلك الأحداث لا تتكرر بعينها، وإنما تحدث وقائع تميّز بنفس تلك الروح وتشبه تلك الأحداث تماماً.

ومن المناسب في هذا المضمار ان تذكر نماذج من أحداث صدر الاسلام وحتى الآن مما وقع مشابهاً عند بني اسرائيل في السابق ولكن هذا موكول الى الكتب المختصة لذلك.

ومن هنا اذا قلنا ما حدث في صدر الاسلام قد يحدث فيما بعد فذلك لا يعني ان تلك الأحداث سوف تتكرر بعينها، مثلاً سوف يظهر في الشام معاوية وهو يخطط لتنصيب ابنه ولياً للعهد، وإلى آخر القصة. وإنما يعني أنه سوف تظهر حوادث تميّز بروح تشبه روح تلك الحوادث، وتتمتع بدوافع تشبه تلك الدوافع. فالذي دفع معاوية للقيام بتلك الحركة سوف يوجد عند الآخرين أيضاً. أو التأثير الذي حصل للناس أيام معاوية قد يحصل للناس في المستقبل بشكل أو بآخر.

وبالالتفات الى ما ذكرناه لا بد ان ندرس ونسأل: لماذا انخدع الناس بهذا الشكل؟ ولماذا تأثروا بالتهديد والتطبيع؟

وفائدة ذلك أننا نعد أنفسنا للزمان الذي قد تحدث فيه مثل هذه الامتحانات. واذا حاول أحد خداعنا أو تهديدنا أو تطميعنا فأتنا نستطيع أن نقاوم ونتنصر.

يمكننا دراسة هذا الموضوع بشكل تحليلي لظروف ذلك الزمان ولكن مثل هذه الدراسة تحتاج الى مجال أكبر وفرصة أطول. ولهذا أظن أن هناك طريقاً أسهل للظفر بالنتيجة المطلوبة وهو اللجوء الى كلام سيّد الشهداء عليه السلام نفسه. فقد ذكرنا فيما سبق أنه خلال عشرين عاماً من حكم معاوية قضى سيّد الشهداء عليه السلام ما يناهز عشرة أعوام منها الى جانب أخيه الامام الحسن عليه السلام. وأمّا الأعوام العشرة الاخرى فقد

قضاها وحده في المدينة تعرّض فيها لأقصى درجات الضغط والشدة والصعوبة. ولكنه بين حين وآخر كان يتعرّف على بعض الأشخاص ويعقد معهم جلسات بصورة سرّية بعيداً عن أعين جلاوزة معاوية يتحدث لهم فيها عن الحقائق التي يعيشونها. فيقول لهم أنني احذّثكم بهذه الامور حتّى لا يندرس الحقّ ويُنسى، وعندئذ لا يستطيع الناس ان يميّزوا بين الحقّ والباطل. ومن جملة تلك الجلسات -التي سجّلها التاريخ ونقلتها الينا الروايات- جلسة عقدت في منى مع صفوة من علماء المسلمين وشخصيات ذلك الزمان. ويمكننا أن نحس مدى ما بُذل من جهد للتعرف على هؤلاء واقامة العلاقات معهم ثمّ التّمام جمعهم في تلك الجلسة التي عقدت في منى. والذين وقّفوا لحجّ بيت الله الحرام يعرفون مدى الزحام الذي يعيشه الحجاج في منى بحيث لا يمكن السيطرة عليه. ولهذا فإنّ كثيراً من النشاطات التي يراد لها أن تتمّ بعيداً عن أعين الحكّام تُنفَّذ في منى.

اذن عقدت هذه الجلسة في منى وتحدّث فيها الامام الحسين عليه السلام لهذه الصفوة من الناس، ومن حسن الحظّ أنّه قد نُقلت الينا جوانب من هذا الحديث في تحف العقول وبحار الانوار وبعض المصادر الاخرى. وقد نقلنا في الفصل الماضي جانباً من هذا الحديث، وتحدّث في هذا الفصل عن جانب آخر منه يتعلّق بموضوع بحثنا. ونبدأ من هذا الحدث التاريخي لكي نفهم لماذا انخدع الناس بمعاوية وأمثاله، وكيف استطاع حكام الجور أن يتسلّطوا على رقاب الناس من خلال إعداد دقيق للأرضيّة واستغلال لهم.

فالامام عليه السلام يصف الحاضرين في تلك الجلسة ويخاطبهم بأنكم شخصيات هذه الامة ومورد احترام الناس في ظلّ الاسلام، وبفضل الدرجات الاسلاميّة والعلوم التي تتمتعون بها، وهذه منزلة رفيعة قد منحكم الله اياها. ومن خلال ذكر هذه الصفات يُعرف ان اولئك الأفراد كانوا من علماء ذلك العصر.

وبعد أن يذكّر ﷺ ذلك الفريق بنعم الله وما تفضل به عليهم من منزلة ورفعة فإنه ﷺ يوجه اليهم اللوم فيقول ما مضمونه: مع أن الله تعالى قد منحكم هذه الدرجات وتلك المنزلة الاجتماعية بحيث إن الناس يكتون لكم الاحترام ويستمعون اليكم لكنكم لم تستغلوا الفرصة ولم تنتفعوا من مكاتكم.

الكف عن بذل المال في سبيل الله:

ويواصل الامام ﷺ حديثه فيخاطبهم:

«فلا مالاً بذلتموه ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها ولا عشيرةً عاديتموها في ذات الله»^(١).

مع أن الله سبحانه قد أنعم عليكم بهذه المنزلة الاجتماعية إلا أنكم لم تقوموا بهذه الأعمال. وهذا يعني أنه كان من المتوقع أن تستغلوا مكاتكم العلمية ومالكم من شرف ومنزلة اجتماعية للقيام بهذه الأعمال ولكنكم لم تفعلوا شيئاً، فلم تنفقوا أموالكم لنشر الاسلام. وعادة فإن المخاطبين من قبل الامام ﷺ هم ممن دفع خمسة وزكاته وما عليه من حقوق واجبة. اذن عندما يقول ﷺ: «فلا مالاً بذلتموه» فإنه يقصد شيئاً غير الحقوق الواجبة، لأن بقاء الدين في بعض الأحيان يحتاج الى الانفاق من الأموال الشخصية، وحينئذ ليس من الصحيح أن تقول أننا قد آدينا حقوقنا الواجبة وليس على عاتقنا حق آخر. اذن كان يتحتم عليكم ان تنفقوا من أموالكم في سبيل نشر الاسلام والحيلولة دون انتشار البدع والتصدي لأصحاب البدع، ولكنكم لم تفعلوا شيئاً من ذلك.

التخاذل عن التضحية من أجل الدين:

هناك شيء أهم من عدم اتفاقكم المال في سبيل الله حيث يقول ﷺ «ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها».

نحن تعودنا ان نقول: اذا كان القيام بالواجب يؤدّي الى إلحاق الضرر بالانسان فإنه لا يكون واجباً عندئذ، لأننا نتصوّر ان شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ان لا يلحق بالانسان ضرراً، وانّ نشر الدين والتصدي لأعداء الاسلام هو الى الحدّ الذي ليس فيه خطر على الانسان. بينما يقول سيد الشهداء ﷺ لهؤلاء العلماء: «ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها»، وهذا يعني أنّه كان يجب عليكم ان تخاطروا بها لله.

وقد أشرنا الى هذه النقطة من قبل وقلنا انّ الامام الخميني ﷺ هو المرجع الوحيد في عصرنا الذي بيّن هذا الموضوع بشكل واضح وصريح، وذلك عندما قال: لا تقيّة في الامور المهمّة، وتنحصر التقيّة في الامور العاديّة. فاذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعلّقاً بأمر عاديّ، ويعود على القائم به ضرر، فهو يستطيع أن يقول: لقد قلت ما ينبغي أن أقوله وليس عليّ شيء أكثر من ذلك، أمّا اذا كان الأمر متعلّقاً بكيان الاسلام وأساسه فإنّ الحديث عن التقيّة يصبح في غير محلّه. ولهذا قال الامام الخميني ﷺ: انّ التقيّة في مثل هذه الموارد حرام ولو بلغت النتائج ما بلغت. اي انّ التقيّة غير جائزة ولو قتل آلاف الأشخاص، لانّ اساس الاسلام في خطر، أو كما عبّر الامام الخميني ﷺ: «لا تصحّ التقيّة في مهامّ الامور»^(١).

وأعود الى توجيه اللوم الى بعض إخوتي من علماء الدين، لآته بعد أن بيّن الامام الخميني رأيه هذا بكلّ صراحة كان ينبغي ان تكثّف الجهود من قبل العلماء لبيان

مصاديق هذه الامور المهمة التي لا تصحّ فيها النقيّة. وصحيح انّ الامام عليه السلام قد ذكر بعض الأمثلة، إلا انّ هناك مواردٍ اخرى لابدّ من شرحها وتوضيحها وتبيين حدودها. ولا شكّ انّ هذا يعين الناس كثيراً في مجال التعرّف على واجباتهم. هاتان نقطتان قد وجّه فيهما الامام الحسين عليه السلام اللوم الى شخصيات ذلك العصر ويبيّن لهم انّ السبب في كون معاوية وبنو اميّة قد نجحوا في حرف المسيرة الاسلاميّة هو:

أولاً: انّكم لم تنفقوا الأموال من أجل المحافظة على الدين.
ثانياً: انّكم لم تخاطروا بأنفسكم في سبيل الله. لقد كان كلّ همّكم هو أن تحافظوا على أنفسكم، فاذا واجهتم تهديداً فانّكم تراجعون وتنهزمون.

تأثير العلاقات القوميّة والفتويّة:

السبب الثالث لانفعال المجتمع في مقابل التحريف هو كما يقول عليه السلام:
«ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله»، انّكم لم تقفوا في وجه أقاربكم الذين كانوا على الباطل من أجل مرضاة الله تعالى.

كانت العلاقات القوميّة والعشائريّة في ذلك الزمان أصلاً من اصول الثقافة العربيّة. وكذا اليوم حيث يُلاحظ وجود مثل هذه العقليّات والترابط القوميّ والعشائريّ وتعصّبات الأقارب بين الناس الذين يعيشون الأجواء القبائليّة. أمّا الذين يعيشون في المدن فإنّه لا تلاحظ فيهم -إلا قليلاً- عقليّة التعصّب لأقربائهم. أجل انّ هذا الأمر ينتشر بين الساكنين بعيداً عن المدن. وفي ذلك الزمان كانت عقليّة الدفاع عن العشيرة والقبيلة قويّة جداً. ويمكننا -في هذا العصر- مشاهدة ما يشبه هذه العقليّة (التعصّب الفتوي) بين أصحاب الاتّجاه السياسيّ الواحد الواقفين في جبهة واحدة. وهذا اللون من السلوك يقوم بنفس الدور الذي كان يقوم به في ذلك

الزمان التعصّب للقبيلة والعشيرة. فيما أنّنا اليوم لا نعيش بصورة عشائريّة فان التعصّب لمن يشاركوننا في الاتجاه السياسيّ قد حلّ محلّ تلك العقليّة السابقة. وقد لا يكون صحيحاً ذكر جميع أسماء الأشخاص في هذه المجالات، ولكنّ الصحف الصادرة في هذه الأيام أشارت الى أنّ مؤتمراً قد عقد في ألمانيا ودعي اليه مجموعة من اعداء الثورة من كل أرجاء العالم ومن جملتهم مجموعة من داخل الجمهوريّة الاسلاميّة في ايران قدّمت لهم التسهيلات من قبل السفارة الألمانيّة في طهران، ولما عقد المؤتمر ظهرت فيه امرأة عارية تماماً وظهر رجل عارٍ. وقام أحد الكتاب الصحفيين - ممن يكتب في الصحف المشهورة - بعقد مؤتمر صحفيّ هناك تحدّث فيه عن الامام الخمينيؑ قائلاً: لا بدّ من جعل الخميني في متحف التاريخ! وعلّق على موضوع الحجاب قائلاً: لا يوجد عندنا في الدستور ما يوضّح الموقف من الحجاب! وفيما يتعلّق بالديمقراطيّة والقيم الغربيّة قال: أنّها مشكلة الاسلام حيث لا يستطيع أن يتلاءم مع القيم الديمقراطيّة الغربيّة! أنّنا سنقوم بهذه الخطوة وهو طريق لا عودة فيه! بمعنى أنّ الاسلام سوف يرحل، وأنّ اسم الخميني سوف يُمحى، وأنّ الحجاب والامور المشابهة له لا اساس لها وسوف تتحقق الحرّيّة^(١) (يعني اللامبالاة والإباحية والتحلّل).

وبعد انتشار هذه المقابلة الصحفيّة وترجمتها مع التقارير المرسلّة من هذا المؤتمر في صحفنا المحليّة علّق أحد الأشخاص الذين لهم عرق دينيّ فأدان هذه المقابلة الصحفيّة قائلاً: ما كان ينبغي لهذا الشخص ان يتحدّث بمثل هذه الأقوال السخيفة^(٢). وكأنّه قد هوجم على هذا التصريح من قبل أبناء خطّه السياسيّ، كيف

١. صحيفة كيهان، العدد المؤرخ ١٣٧٩/١/٢٤ هـ، تقرير عن المقابلة الصحفية التي أجراها أكبر گنجي مع

٢. صحيفة كيهان، العدد المؤرخ ١٣٧٩/١/٢٥.

الصحيفة الألمانية تاكس اشبيگل.

تُدين شخصاً يشاركنا في الاتجاه السياسي؟ وبعد فترة قصيرة اختلقوا هذه الكذبة وهي ان تلك الحادثة لم تكن بالشكل الذي عكسته اخبار الصحف، فعاد ذلك الشخص الذي أدان تلك الحادثة وهاجم الصحيفة التي نشرت خبر ذلك المؤتمر قائلاً: لا ينبغي نشر مثل هذه المواضيع، لاسيما ان الخبر قد تمّ تكذيبه من اساسه^(١). لو أنكم تعرفون هذا الشخص لعرفتم مدى قبح صدور مثل هذا الكلام منه. فلو كان شخصاً يلعب على الحبال السياسيّة ولم يكن منتسباً لعلماء الدين وتكلّم بهذا الكلام فإنّ الانسان لا يتألّم كثيراً. لكنّ الشخص الذي يعتبر نفسه مدافعاً عن الاسلام وعلماء الدين وخطّ الامام الخمينيؑ كيف يتكلم بمثل هذا الكلام ويتخذ مثل هذا الموقف؟

نحن نعتقد أنّه قد فعل ذلك تعصباً لأبناء اتّجاهه السياسي، لانّ هذا الشخص يشترك مع تلك الفئة في جبهة سياسيّة واحدة، ولهذا غير موقفه وبدل كلامه. وفي عصر معاوية كان سائداً موضوع الدفاع عن العشيرة والقبيلة. فمثلاً اذا ارتكب شخص من نفس القبيلة جريمة فإنّ أبناء قبيلته يتغافلون عنها، أو حتّى أنّهم يدافعون عنه ويبرّرون عمله. أمّا اذا ارتكب نفس الجريمة شخص من قبيلة اخرى فإنهم يشهرون به ويعظمون تلك الجريمة ويلحّون في انزال العقاب به.

ان عقليّة الدفاع عن العشيرة والقبيلة هي إحدى العقبات المهمّة التي تمنع الانسان من ان يخطو باتجاه الحقّ. عندما يرى أبناء قبيلته - أو في الأجواء المعاصرة أبناء اتّجاهه السياسي - يسلكون طريقاً فإنّه لا يملك الشجاعة ليقول لهم: إنكم مخطئون في سلوك هذا الطريق، لا يستطيع أن يقول لهم: انني اتفق معكم في سائر الامور، أمّا في هذا المجال فقد أخطأتم لأنّه مخالف للقرآن ومغاير

لضروريات الاسلام، فلا يحقّ لكم ان تشكّكوا الناس في أسس هذه الثورة المباركة، ولا يجوز لكم أن تبشروهم بأن هذه الثورة في طريقها الى الزوال. بل على العكس من ذلك فأنه يدافع عن ذلك الشخص، والسّرّ في ذلك هو الاشتراك في الاتجاه السياسي.

اذن مشكلتنا الضخمة هي التعصّب القبليّ للعشيرة في ذلك الزمان والتعصّب الفئويّ السياسيّ في هذا الزمان.

يقول سيد الشهداء عليه السلام: «ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله»، أي أنّ الواجب الشرعي يقتضي أحياناً أن يعادي الانسان أبناء عشيرته واقرباءه. صحيح ان صلة الرحم واجبة في الاسلام وأنّ قطع الرحم حرام، ولكنّه اذا أذى الدفاع عن الرحم إلى اضعاف الاسلام والنظام الاسلاميّ فما ذا يجب ان نعمل؟ فهل يجب في مثل هذا المورد تقديم الاسلام أم الأقارب (الأولاد والأصهار)؟ ولو كان نشاطهم ضدّ الاسلام؟ هل يجوز الدفاع عنهم وان كان ذلك يؤدّي الى زعزعة النظام الاسلاميّ؟ هل يجوز ان يدافع - بغير حقّ - عن أبنائه وأقربائه؟ إنّ هذا الموضوع يعبّد الطريق للأعداء كي يستغلّوا الموقف لصالحهم.

إنّ سيّد الشهداء يؤكّد على أنّه من الأسباب التي أدّت الى تسلّط معاوية عليكم وتحريف الاسلام هو أنّكم «ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله»، أي أنّ ارتباطكم بأبناء خطّكم السياسيّ وأبناء حزبكم قد منعكم من أن تقولوا الحقّ وأن تدافعوا عن الحقّ، وقد أعدّ هذا الأرضيّة لكي تُستغلّ هذه النقطة من قبل الإعلام المضادّ ليقولوا إنّ هؤلاء يتلاعبون من أجل أقربائهم ويسيّئون استغلال أموال بيت المال، فالامكانيات توضع - اولاً - تحت تصرّف أقربائهم، والمناصب تُمنح لأبنائهم. هكذا وقرّتم الأرضيّة بتصرّفكم لكي يهاجمكم الإعلام.

اذن سبب انفعالكم وتأثركم بإعلام معاوية هو تعلقكم بأموالكم وأقربائكم.

والجامع لهذه الامور يُطلق عليه في الثقافة الاسلاميّة عنوان «حبّ الدنيا»، فقد ورد في الحديث الشريف:

«حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة»^(١).

ماذا يعني هذا الحديث؟ حبّ أيّ شيء هو المقصود؟ هل المقصود به حبّ الانسان للقمر والنجوم والطبيعة الرائعة؟ أم اذا أحبّ الانسان مخلوقات الله فقد ارتكب اعظم ذنب؟ ما هو معنى حبّ الدنيا الذي هو أساس جميع الذنوب؟ انّ معناه هو التعلّق بالامور الدنيويّة والتلذّد بجمع المال ونيل المناصب والتكتّل مع الأصدقاء والأقارب والمشاركين في الاتجاه والحزب.

اذن فالمشكلة الأساسيّة التي جعلت المسلمين يتأثرون بالعوامل الشيطانيّة التي استخدمها الأمويون هي باختصار «حبّ الدنيا».

والعلامة الأصليّة لحبّ الدنيا هي اذا تعرّضت حياة الانسان للخطر فأنه لا يعود يفهم شيئاً. نعم، انه مستعدّ للقيام بعمله وتقديم خدماته والنهوض بواجباته الاجتماعيّة بشرط أن يكون هو وعائلته في أمن ورفاهية. أمّا اذا عرف انّ السير في هذا الطريق فيه خطورة على ماله أو منصبه أو حياته فأنه لا يبقى مجال لمثل هذه الأعمال. كلّ جهوده كانت من أجل أن يبقى حيّاً ويستلذّ بالدنيا أكثر.

ومن هنا نلاحظ انّ القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأكرم ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام تؤكد على أنّ أبرز خصوصيّات الكفّار هي حبّ الذات وحبّ الدنيا. وفي مقابلهم تكون أبرز مشخصات المؤمنين هي نكران الذات في سبيل الله والايثار والتضحية وطلب الشهادة. وهذا يعني أنّ الموت ليس صعباً بالنسبة اليهم، وأنّ الحياة الدنيا ليست هدفاً أساسياً لهم. فاذا اقتضت السعادة والآمال والدين والقيم

التي تعلّقوا بها أن يموتوا فإنهم يسترخصون الحياة في سبيل الله. يقول الامام امير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بشدي أمّه»^(١).

هل هناك احتمال بان يكذب عليّ عليه السلام في قسمه؟!

وفي ليلة عاشوراء أكّد الامام الحسين عليه السلام لأخته العقيلة زينب عليه السلام بان أصحابي هم بهذا الشكل.

لاحظوا نوعيّة الأفراد الذين ربّاهم الامام الحسين عليه السلام.

صحيح انه عليه السلام عانى من الآلام ما يفوق التّصوّر خلال عشرين عاماً، لكنّه قد ربّي مثل هذه الزهور ليعطرّ بها يوم عاشوراء. لو لم يكن هؤلاء الأبرار لم تصبح قصّة عاشوراء جذّابة الى هذا الحدّ، ولم نصبح أنا وأنت من العارفين بالحسين عليه السلام. لو أنّ الامام عليه السلام بقي وحيداً فريداً لاغتالوه سرّاً ولم يحصل ما هو حاصل الآن. تأملوا في سيرة أصحاب الحسين عليه السلام ماذا قالوا لإمامهم ليلة عاشوراء.

بعد أن عرفت العقيلة زينب عليه السلام أنّ غداً هو يوم الشهادة، وأنّ الحسين عليه السلام وأصحابه سوف يظفرون بالشهادة جاءت الى أخيها قائلة: إنّ بعض أصحابك قد استغلّ ظلام الليل وغادر، فهل اخترت هؤلاء الذين بقوا معك واطمأنتت الى وفائهم؟ فسالت الدموع من عيون الحسين عليه السلام وقال:

«أما والله لقد نهرتهم وبلوتهم، وليس فيهم الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمتيّة دوني استئناس الطفل بلبين أمّه»^(٢).

قلت لهم أمسكوا بأيدي نسائكم وأولادكم واذهبوا حيث شئتم لانّ القوم لا يريدون غيري، لكنّهم أبوا أن يتركوني.

٢. مقتل الحسين عليه السلام، للمقرّم، ص ٢٦٢.

١. نهج البلاغة، الخطبة ٥.

اذن يُعلم من قول الامام عليه السلام «بلوتهم» أنه عليه السلام قد امتحن أصحابه ليبقى منهم المصطفى الخالص. ولا شك أنكم قد سمعتم بمواقف أصحاب الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء، ويمثلهم قول أحدهم: لو أنني قُتلت سبعين مرّة وأُحرقت وتحوّل جسدي الى رماد ثم أُحييت لعدتُ اليك وبقيت معك حتى أُنال الشهادة مرة أخرى. وفي مقابل هذه الزهور التي ربّاهها الامام الحسين عليه السلام ونماها يقف اولئك الذين يوجّه عليه السلام اليهم اللوم ويقول: انّ مشكلتكم هي حبّ الدنيا والخوف من الموت. ويواصل الامام عليه السلام حديثه معهم فيقول:

«ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم وأسلمتم امور الله في أيديهم»^(١).

انّ امور الله لا يبدّ من تسليمها الى رجال الله. لكنكم اسلمتموها الى الظلمة، أعطيتموهم آراءكم في الانتخابات ودفعتهم بهم الى رأس السلطة: «يعملون بالشبهات ويسيرونها في الشهوات»، يعملون اموراً ليس لها مبرّر شرعيّ أو قانوني، ويفتحون الطريق لأصحاب الشهوات، يشيدون دوراً للثقافة وهي في الواقع دور للمعصية، ينفقون الأموال من بيت مال المسلمين لكي توفر الأرضية للمعاصي، يشجعون بها صحفاً تهدف الى اشاعة المنكرات.

كيف تسلط عليكم مثل هؤلاء الحكّام؟

وكيف انجز الأمر الى هذا الوضع؟

روح الكلام هنا: «سلطهم على ذلك فراركم من الموت»، فلو لم تفرّوا من الموت واستقمتم في مقابل العدو لتراجع الأعداء. رأيتم أيام عاشوراء لهذا العام كيف تراجع الأعداء؟! ماذا فعل المؤمنون حتى تراجع أعداؤهم؟ هل قتلوا انساناً؟ هل هاجموا المحلّات؟ هل أثاروا الضوضاء؟

لم يحدث شيء من هذا، وأما ارتدى المؤمنون - كما كانوا يفعلون من قبل - ملابسهم السوداء وأخذوا بالنياحة واللطم على الرؤوس والصدور فأثبتوا للجميع أننا نريد الاسلام، فتراجع الأعداء ولم يجرؤوا بعدئذ على الاستخفاف بنهضة سيّد الشهداء عليه السلام.

لقد كانت مراسم العزاء على الامام الحسين عليه السلام مهيبه في هذا العام في جميع مدن وقرى الجمهوريّة الاسلاميّة، وقد تمت بشكل أفضل من السنين الماضية. وهذا التحرك الواعي من قبل المؤمنين هو الذي جعل الأعداء يتراجعون. ومن الملاحظ أنّ المؤمنين يثبتون وجودهم في جميع أبعاد الحياة السياسيّة والاجتماعيّة من دون أن يقوموا بعمليات قتل أو تخريب لدوائر الدولة كما يفعل الفوغاء. إنّ اعمال النهب والتخريب لا تتناسب مع مكانة المؤمنين ولا تتسجم مع منزلة الحسينيين، وأما الذي يناسبهم هو اظهار المحبّة والتعلّق بالدين وسيّد الشهداء عليه السلام. لا بدّ أن نعلنها صريحة بأننا على أتم الاستعداد للتضحية بأموالنا وأرواحنا وأولادنا واعزائنا من أجل المحافظة على ديننا. فهذا الاستعداد هو المهمّ، يقول الله تعالى في كتابه المجيد:

«وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ»، ولا يقول سبحانه أعدوها لتستخدموها

مباشرة، وأما يقول عزّ وجلّ: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) ^(١).

إنّ الهدف من إعداد ألوان القوّة هو أن يخاف العدو، ينظر الى المؤمنين فيجدهم مستعدين للشهادة فيتراجع، لأنّ غير المؤمن ليس مستعداً ليعرض نفسه للخطر. إنّ من يثير الضوضاء من أجل قنينة خمر ليس مستعداً ليعرض نفسه للخطر اذا أحسّ هؤلاء بأنّ المؤمنين الشجعان حاضرون في ساحة المواجهة فانهم يولّون هارين، وهذا هو المهمّ.



والامام الحسين عليه السلام أيضاً يؤكد على الناس بأنكم اذا أردتم المحافظة على دينكم بحيث لا تتأثرون بنشاطات بني امية فلا بد لكم من ثلاثة امور هي: أن تنفقوا أموالكم في سبيل الدين، وأن تعرّضوا أرواحكم للخطر حيث تكونون مستعدين للشهادة، وان تكفّوا عن المحاباة للعشيرة والفتنة والحزب وأهل المحلّة الواحدة وأبناء هذا الخطّ السياسي وما شابه ذلك، لتصبحوا متّبعين للحقّ فحسب.

لابدّ أن يهتمّ المؤمنون وينظروا ماذا يقول الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله والولي الفقيه -في عصرنا- وأن ينفذوا ذلك بدقّة واخلاص. وسيغدو هذا هو العامل الذي يحفظ وحدتنا وأمننا ويحول دون تسلّل الأعداء والأجانب في داخل صفوفنا.

يقول الامام الحسين عليه السلام: «سلّطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم»، فتعلّقكم بالحياة الدنيويّة الفانية هو الذي سلّط بني امية عليكم، لانّ هذا التعلّق يمنعكم من الصمود بشجاعة في ساحة المواجهة، وبالتالي يطمع العدو فيكم ويتغلّب عليكم. أمّا اذا لم تتعلّق قلوبكم بهذه الحياة الدنيئة وانما تعلّقت بالحياة الآخرة، وكنتم على استعداد للتنازل عن جميع لذات هذه الحياة المتصرّمة لكي تتالوا رضى الله والسعادة الأبدية فإنّ العدو لن يتسلّط عليكم اطلاقاً.

طرق مواجهة علل الانحراف في المجتمع:

والآن اذا أحببنا ان لا توجد فينا نقاط الضعف التي أبتلي فيها اناس ذلك الزمان بحيث وفّرت الأرضية لتسلّط الامويين عليهم، أو اذا أحببنا أن تزول ان كانت قد وجدت فينا، فماذا يجب علينا ان نقوم به من خطوات؟

قلنا: كانت لهؤلاء ثلاثة ألوان من النشاطات وهي: الإعلام الخداع المضلّ، والتهديد، والتطبيع.

رفع مستوى المعرفة:

ماذا يجب علينا أن نفعل في مقابل الإعلام المضلل؟

لا بد أن نرفع مستوى معرفتنا بالنسبة للإسلام والتشيع وخط الإمام الحسين عليه السلام وخط الإمام الخميني رحمته الله بالنسبة لعصرنا. لا بد أن تكون معرفتنا محكمة حتى لا يحاول الأعداء أن يقدموا للناس أفكاراً مضادة لأفكار الإمام الخميني رحمته الله على أساس أنها خط الإمام عليه السلام.

هذا ما فعله معاوية وفعله آخرون، واليوم يفعله أتباع معاوية.

هناك موارد كان الإمام عليه السلام يناضل ضدها ويرفضها تماماً، واليوم يكذب البعض على الإمام عليه السلام فيقول أنه كان يخطط للوصول إليها. مثلاً الحرية، الحرية بالمفهوم الغربي التي تعني التحلل والانفلات! وتلاحظون اليوم ماذا يفعل الشباب الواقع تحت تأثير هذه الأقوال.

في يوم ما ذكرت في إحدى محاضراتي التي كانت تُلقي قبل خطبة الجمعة في طهران إلى أي شيء يهدف هؤلاء من وراء الحرية. فكتبوا ضدي عشرات المقالات تقول إن هذا كذاب، ونحن نبحث عن الحرية السياسية فحسب. لكنكم رأيتم ماذا فعلوا في عيد النوروز وملحقاته. كانوا ينوون الاحتفال في ذكرى عرش السلاطين أيام الجاهلية وقد خصصوا لذلك ميزانية ضخمة. وهم يدعون إن هذا هو الذي كان يريده الإمام عليه السلام!

يقولون: ألم يدع الإمام عليه السلام للحرية والاستقلال؟ اذن يعلم من هذا إن الإمام عليه السلام كان يريد هذه الامور!

لاحظوا المغالطة. صحيح إن الإمام عليه السلام كان يهدف إلى الحرية، ولكنه كان يريد التحرر من أيدي أعداء الإسلام، وليس التحرر من الله والدين والقيم. فالذي أنفق عمره الشريف فيه - منذ نعومة أظفاره وحتى آخر لحظات حياته - هو المحافظة

على القيم الإسلامية، إن نهضة الامام عليه السلام كانت لإحياء القيم، وليس لتحرير الناس من القيم. إن بعض المسؤولين في الدولة اليوم يمتنون علينا، فاذا قلنا لهم لماذا لا تحافظون على القيم في مجال الشؤون الثقافية؟ قالوا: آية قيمة أرفع من الحرية؟! نحن قد منحنا الناس الحرية، وهذه هي أرفع القيم! وهذه هي نفس السبيل التي أرادها الامام عليه السلام وسلكتها!

وهذا الكلام يشبه ما قاله معاوية للامام الحسين عليه السلام من أنه لا يجوز لك ان تتعرض ليزيد بالغيبة! فيزيد أفضل منك لأنه لا يفتابك ولا يتحدث عنك بسوء! فقولك: يزيد شارب للخمر، هو غيبة له!! هكذا تكون المغالطات.

إذا أردنا أن لا نقع تحت تأثير مثل هذه المغالطات فلا بد أن نرفع مستوى معرفتنا للدين.

أعزائي - وأخص بالخطاب الشباب - لا بد أن نخصص وقتاً خلال اليوم واللييلة للمطالعة والبحث في الشؤون الدينية والمعارف الالهية. إن الدين ليس أقل قيمة من البطن والرفاهية والرياضة. اجعلوا لأنفسكم منهجاً تسيرون عليه. اعقدوا الجلسات الدينية وأكثروا من المطالعة في المجال الديني. والحمد لله قد زادت اليوم الكتب المؤلفة في المجال الديني، فاعقدوا الجلسات وتباحثوا فيها. وليس من الضروري أن يحضر هذه الجلسات مبلغ أو معلم، بل تستطيعون أن تناولوا بالبحث كتب العلامة الشهيد مرتضى مطهري عليه السلام، وأن تطرحوها للمناقشة كما يفعل طلاب العلوم الدينية في كتبهم الدراسية، اقرءوها جملة فجملة وتناقشوا فيها حتى تتبينوا مفهومها وتوضحوا للآخرين ما فهمتم منها، فان أشكل عليكم شيء في مورد أو كان مبهماً فوجهوا الدعوة لعالم موثوق به يأتيكم مرة كل اسبوع أو مرة كل شهر - حسب الميسور - ليوضح لكم المبهمات ويرفع الاشكالات.

أما إذا لم تكن لكم مطالعات دينية ولا جلسات دينية، بل اكتفيتم بمجالس أيام عاشوراء وأمثالها، بينما اعداء الاسلام يمطرونكم بوابل إعلامهم عن طريق الإذاعات وقنوات التلفزيون وأفلام الفيديو والصحف والمجلات، فماذا تكون النتيجة؟ تكون النتيجة بهذا الشكل الذي تشاهدونه اليوم.

نحمد الله تعالى على أن هذا ليس منتشرًا بين الجماهير المتديّنة، لكنّه موجود في بعض المراكز، وإذا لم تقفوا في وجهها، أي أنكم لم تعدّوا أنفسكم الإعداد اللّازم فلعلّها تسري اليكم لا قدر الله.

إنّ المطالعة والمناقشة أمران ضروريّان للتصدّي للإعلام المضللّ والشيطانيّ، وإذا لم يتحقّق هذا الأمر فإنّ معرفة الانسان لا تنمو ولا تنضج. فإذا كان الدين عزيزاً عندكم فلا بدّ أن تخصصّوا وقتاً له. كما تهتمّون بالرياضة لا بدّ أن تهتمّوا بالدين. إنّ جانباً من الوقت الذي ينفقه الشباب في مشاهدة برامج ألعاب كرة القدم أو الحضور في النوادي لممارسة الرياضة لا بدّ أن يخصّصوه للمطالعة في الشؤون الدينية. إن كان الدين غالباً فلا بدّ من تخصيص رأسمال له. فالدين لا يظهر في قلوبنا بالاجبار والاكراه، والايمان لا ينمو في أعماقنا بشكل ذاتي. فالعوامل الاجتماعية تحارب الايمان ولا ترسخه، ولاسيّما في هذا الجوّ من العلاقات الثقافية السائدة اليوم، ومع هذه السياسة الخاطئة التي يتّخذها مسؤولوا الثقافة في بلدنا، وهي تصبّ في مصلحة الأجنبيّ - إمّا عن جهل وعدم وعي وإمّا عن عمالة للأعداء - وهي على كلّ حال سياسة مضادّة للاسلام تسير بثقافة المجتمع نحو الثقافة اللادينية الملحدة. اذن في مقابل هؤلاء لا بدّ أن تكون لكم نشاطات دينية، وأن تعدّوا هذا الأمر من أهمّ واجباتكم الشرعيّة.

رفع مستوى الايمان والمعنويّات:

وفي مقابل العامل الثاني والعامل الثالث (أي التطبيع والتهديد) لا بدّ من تقوية

الايان، فالتأثر بهذه العوامل وخوف الانسان من أنه سوف يُطرد من الدائرة اذا لم يفعل الشيء الكذائي أو سوف يُخضم من راتبه ناشئ من ضعف الايمان. ألم يقوموا بمثل هذه الأعمال؟ هناك الكثير من مديري التعليم والتربية ومديري الجامعات وقد تمّ تغييرهم خلال العامين الأخيرين، ولسنا نعرف كم هو عدد مديري الجامعات الذين هم باقون في مناصبهم. ففي بعض الموارد قد تمّ تغيير كل الكادر الجامعي من مدير الجامعة الى الفزاش المكلف بتوزيع الشاي، لماذا؟ لأنّ هؤلاء لم يكونوا من خطّهم السياسي. اصبروا وصابروا وقولوا لها بشجاعة وصراحة: حتّى اذا طردتمونا من مسؤولياتنا فنحن لن نتخلّى عن الامام الخميني عليه السلام. كونوا ابطالاً في ذات الله. كم يمكنهم الاستمرار في هذه المواجهة اذا كنتم صامدين؟ لو أنّهم واجهوا صموداً ومقاومة لأجبروا على تغيير اسلوبهم، لكنّهم واجهوا ضعفاً وتخاذلاً فتسلّط الظالمون علينا. ولا ينبغي أن يظنّ أحد أنّي أقصد كل الكادر الحكومي، وأنّما هناك خيوط في بعض الوزارات والدوائر تقتضي اثر امريكا وتسير في نفس اتّجاهها، ولعلّهم لا يعلمون أو أنّهم مخدوعون أو...

فلكي نستطيع الصمود في مقابل التطميع والتهديد لابدّ أن نرفع مستوى ايماننا. والايان لا يحصل بالمطالعة فقط، وأنّما تتمّ تقوية الايمان بالعمل أيضاً. ومن الواضح أنّ المعرفة هي الخطوة الاولى ثمّ ينمو الايمان بالعمل الصالح. اذا كان الانسان لا يؤدّي الصلاة فمهما قرأ كتباً حول الصلاة فإنّ ايمانه لا يقوى، وحتّى اذا قرأ مائة كتاب حول الصلاة فإنّ ايمانه لا ينمو ما لم يؤدّ الصلاة فعلاً. إنّ الايمان يستحكم بالعمل والتلقين. لقنوا أنفسكم هذه القضيّة وهي انّ الاسلام اذا طلب منّي فاني مستعدّ للموت. لا انّ الخوف يستبدّ بكم والرعدة تنتابكم اذا سمعتم باسم الموت. ومن المناسب جدّاً أن نستمدّ العزم من كلام سيّد الشهداء عليه السلام. فقد خاطب أصحابه يوم عاشوراء بقوله:

«صبراً بني الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء الى الجنان الواسعة والنعيم الدائم»^(١).

هل الجنان والنعيم أمر غير مطلوب؟ اذن لماذا تخافون منه؟ اذا أنقذكم شخص من السجن وأسكنكم في قصر بهيج فهل تقدّمون له الشكر أم تتألّمون منه؟ انّ الموت ينقذكم من هذه الدنيا التي هي سجن المؤمن ويوصلكم الى قصور الجنّة بما فيها من نعيم. فهل هذا محبوب مطلوب أم مكروه مطرود؟ هل ينبغي الخوف منه أو ينبغي البحث عنه؟ انّ الموت يفعل هذا لكم وليس للجميع. أمّا لأعدائكم فإنّه يخرجهم من الجنّة ويدخلهم الى جهنّم. لانّ هذه الدنيا التي هي سجن للمؤمن -بالمقارنة الى درجاته الاخرى- هي جنّة للكافر مع كلّ ما فيها من آلام ومشاكل. لانّ الكافر ينتظره عذاب في الآخرة بحيث كل ما يتحمّله من صعوبات في هذه الدنيا فهو يعتبر جنّة بازاء ألوان العذاب في العالم الآخر. فالموت يخرج الكفّار من جنتهم ويدخلهم الى جهنّم. أمّا بالنسبة اليكم فإنّ الموت ينقذكم من السجن ويدخلكم الى:

(وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)^(٢).

فهل هذا سيء بالنسبة اليكم وينبغي أن تخافوا منه وتنفروا؟ كلا، بل هو أمر حسن يبحث عنه المؤمن العاقل ويحرص عليه. هكذا كان يربّي الامام الحسين عليه السلام أصحابه وينمّي ايمانهم. اذن ليس من فراغ قال ذلك الطفل الذي لم يتجاوز عمره ثلاثة عشر عاماً: «الموت أحلى عندي من العسل»^(٣). لم يقله مزاحاً وهزلاً، وأنما يقصده بكلّ جدّ لانه ممّن ربّتهم يد الحسين عليه السلام. أنا وأنت اذا كنّا حسينيين حقاً فلا بدّ

١. بحار الانوار، ج ٦، ص ١٥٤، الباب ٦، الرواية ٩. ٢. سورة آل عمران، الآية ١٣٣.

٣. وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام، ص ٢٥٣.

أن نركّز على هذه التعليمات ونؤمن بأنّ مواصلة طريق الحسين عليه السلام يجعل الموت أفضل منجٍ لنا.

كم يتحمّل الانسان من صعوبات في هذه الدنيا، وكم يتجرّع الآلام، وكم يتحمّل الظلم باسم الدين ويتحمّل البدع باسم القراءات الجديدة للدين؟
كلّما أسرع الموت إلينا فإنّه يريحنا من هذه الغصص.

والله العظيم أنّ الموت لذيذ عندي مع هذه الغصص التي تجرّعها في المجتمع. لو كان الكافر ينشط ضدنا لما تألمنا، أمّا تحريف الدين وتحريف خطّ الامام الخميني عليه السلام تحت عنوان احياء آثار الامام عليه السلام فإنّه يؤذي الانسان الغيور. ماذا يضرنا الموت؟ انه ينقذنا من هذه الغصص والآلام. يقول سيّد الشهداء عليه السلام:

«وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف»^(١).

بمقدار ما كان يعقوب مشتاقاً لرؤية يوسف، بعد عدّة أعوام من وقوع يوسف في البئر وحدوث تلك الوقائع له، وقد تحمّل يعقوب ألم البعد عنه، أنا مشتاق الى الموت الذي ينتهي بي الى وصال جدّي وابي واخي، ان اشتياقي الى الموت اشتياق يعقوب الى يوسف. بمثل هذه الكلمات الصادقة ربّى الحسين عليه السلام أصحابه ورفع معنوياتهم وبالتالي أعدّهم للشهادة في سبيل الله.

لو تأملنا في وضع الشباب قبل انتصار الثورة الاسلاميّة المباركة حيث كانوا متورّطين في منحدر السقوط نتيجة التربية السيّئة للنظام الملكيّ البائد، كيف تحوّلوا الى طلاب شهادة وقاموا بتلك البطولات الرائعة في جبهات القتال، نتيجة التربية الحسنة بفضل خطابات الامام الخميني عليه السلام؟



ما هو العامل في هذا التحول ؟

لاشكَّ أنَّه كلام الامام عليه السلام حيث كان نابعاً من عمق الروح ولهذا حلَّ في أعماق أرواحهم وأدَّى بهم الى هذا التحول.

فلنبذل قصارى جهدنا لتتلقَّى هذا الدرس من سيرة النبي الأكرم عليه السلام والأئمة الطاهرين عليهم السلام، ونجعلهم أسوة لنا وللآخرين، ونقوي في أنفسنا حسَّ البحث عن الشهادة، ونرؤج للاستعداد للموت في سبيل الله ليصبح غاية آمالنا، وحينئذ لن يتسلط علينا أيّ عدو أو طاغوت.

الهدف من نهضة عاشوراء (١)

اصلاح المفساد هدف اصليّ لنهضة الامام الحسين عليه السلام

مفهوم الاصلاح

تأثير النظام القيميّ في تعريف الاصلاح

الاصلاح من وجهة نظر المنافقين

الاصلاح المطلوب

طرحنا في الفصول السابقة أسئلة تدور حول موضوع عاشوراء ونهضة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وقد أجبنا عليها بمقدار ما سمح به معلوماتنا وحجم هذا الكتاب. ومن جملة الأسئلة المهمة التي تُطرح في مجال هذه النهضة العظيمة التي لا نظير لها في التاريخ - وقد تكرر طرحه من قبل وأجيب عليه مراراً - هو السؤال عن هدف سيد الشهداء عليه السلام من هذه الحركة. وقد أُجيب عليه بأجوبة عامّة يعلمها الكثير، كقولهم: انّ نهضة الحسين عليه السلام كانت لاهياء الدين واصلاح الامة. ولكنّه في ظلّ هذا السؤال العامّ تخطر في أذهان كثير من شبابنا واليافعين عدّة أسئلة فرعيّة، منها:

أيّ اصلاح قد تمّ بهذه النهضة لسيد الشهداء عليه السلام؟

أيّ لون من ألوان الأمر بالمعروف تمثّله نهضة الامام الحسين عليه السلام بحيث كان لا بدّ ان تتمّ بهذه الصورة؟

وكيف يتيسّر إحياء الدين بهذه الطريقة؟

هل نجح سيّد الشهداء في هدفه واستطاع بنهضته اصلاح الحكومة والامة الاسلاميين والحيلولة دون وقوع المفاسد؟

انّ هذه الأسئلة تدور في أذهان الكثير من شبابنا، وفي بعض الأحيان يطرحونها باحثين لها عن أجوبة شافية.

لكي نعرف السبب وراء نهضة سيّد الشهداء عليه السلام نتأمّل - أولاً - في مجموعة من

عبارات الامام الحسين عليه السلام نقلها تبرّكاً وتيمناً بها ثم تقدّم بعض التوضيحات اللازمة في هذا المجال.

اصلاح المفاسد هدف أصليّ لنهضة الامام الحسين عليه السلام:

في وصيّة له عليه السلام موجّهة الى أخيه محمد بن الحنفية وردت جملة معروفة يقول فيها عليه السلام:

«أني لم اخرج أشراً ولا بطيراً ولا مفسداً ولا ظالماً وأنا خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي عليه السلام»^(١).

اذا تعمّقنا في عبارة «الطلب الاصلاح» وجدنا ملاحظة دقيقة. فالامام عليه السلام لم يقل «أنا خرجت للاصلاح» بل قال: «خرجت لطلب الاصلاح». ويشبه هذا التعبير ما ورد في حديث الامام عليه السلام للصفوة والعلماء حيث يقول عليه السلام:

«ولكن لنري المعالم من دينك ونُظهر الاصلاح في بلادك»^(٢)

وقد تحدّث عليه السلام بهذا الأمر قبل اعلان الخروج على يزيد والنضال ضده. فالامام عليه السلام يدعو في آخر هذه الخطبة ويخاطب الله تعالى بما معناه: أنك يا الهي تعلم انّ هدفنا من هذا النشاط السياسيّ ليس سوى ان نبين للناس معالم دينك والمعايير الاسلامية، اي نبين لهم ما هو الدين؟ وما هي علاماته؟ وبأيّ معيار يمكن التمييز بين الأفراد المتديّنين والذين لا دين لهم؟ وهدفنا هو ان «نظهر» الاصلاح في بلادك. ويمكن ان يكون هذا «اللاظهار» بأحد معنيين: الأول يعني ان نبين ما هو معنى الاصلاح. والثاني يعني ان نحقق الاصلاح ونجعله ظاهراً وغالباً على الفساد.

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩، الباب ٣٧، الرواية ٢.

٢. نفس المصدر السابق.

مفهوم الاصلاح:

لما كانت كلمة «الاصلاح» من الكلمات المستخدمة كثيراً في كتاباتنا السياسيّة وقد أشار اليها قائد الثورة الاسلاميّة حفظه الله في خطاباتة، لذا فنحن نولي هذه الكلمة أهميّة خاصّة ونوضّح أبعادها وجوانبها لكي نكون من المقتدين بالصالحين. نبدأ أولاً بذكر معنى هذه الكلمة ثمّ نستعرض موارد استعمالها في القرآن الكريم والروايات الشريفة، ثمّ نقدّم عرضاً للمواضيع التي نراها حسّاسة في ضوء هذه النصوص الشريفة.

«الاصلاح» كلمة مأخوذة من هذا الجذر وهو «ص ل ح» وله أحد معنيين، اولهما مأخوذ من مادّة (الصّلح)، والثاني مأخوذ من مادّة (الصّلاح). فالاصلاح من مادّة الصّلح يعني رفع الاختلاف والشجار بين فردين أو بين فئتين. وقد وردت كلمة الاصلاح بهذا المعنى في القرآن الكريم في مجال رفع الخلاف بين الزوجين حيث يقول تعالى:

«... فابْتَغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا...»^(١)

اي اذا حدث الاختلاف والشجار بين المرأة وزوجها فإنّه يتمّ اختيار حَكَمٍ من قبل أهل الزوج وحكم آخر من قبل أهل امرأته، فان كانت المرأة وزوجها طالبين للاصلاح واقعاً فإنّ الله سبحانه سوف يُصلح بينهما. وفي آية اخرى يقول تعالى:

«وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ»^(٢)

وهناك تعبير آخر في هذا المجال وهو شائع بين الناس ووارد في القرآن الكريم

ايضاً وهو اصلاح ذات البين الذي يعني ايجاد السلام والعلاقة الحسنة بين شخصين أو فئتين مختلفتين. يقول القرآن الكريم:

«وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ»^(١)

وقد ذكرت الروايات الشريفة ثواباً عظيماً لإصلاح ذات البين، فاذا كان هناك مؤمنان أو عائلتان أو فئتان بينهما اختلاف ونزاع فلا بد من المبادرة إلى اصلاح الوضع بينهما، ويترتب على هذا الاصلاح ثواب يفوق ثواب الصلاة المستحبة والصوم المستحب.^(٢) ويتسع مجال اصلاح ذات البين ليشمل هذه الحالة وهي ما اذا حدث نزاع مسلح بين فئتين منتسبتين إلى المجتمع الاسلامي وتقاتلتا، يقول تعالى:

«وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...»^(٣)

فالحل الأول الذي تطرحه الآية الكريمة هو الإصلاح برفع الاختلاف سلمياً، ثم تتعرض الآية بعد ذلك لموضوع الجهاد بعد فشل الحل السلمي وهو خارج عن بحثنا الحاضر.

اذن كلمة الاصلاح في هذه الموارد تعني ايجاد السلام ورفع الاختلاف بين فردين أو فئتين من الناس.

أمّا الاستعمال الآخر لكلمة الاصلاح فهو مأخوذ من مادة الصلاح وهو في مقابل الفساد، فالعمل الصالح والشخص الصالح هو غير الفاسد. والاصلاح بهذا المعنى يكون في مقابل الافساد، ويعني القيام بالعمل الصالح أو رفع الفساد. ويطلق اسم «المصلح» على الشخص الذي يقوم بأعمال صالحة تماماً ويرفع ألوان الفساد والنقص والعيب من الوسط الاجتماعي. ويكون في مقابله اسم «المفسد» الذي

١. سورة الأنفال، الآية ١.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٢، الباب ١٢٧، الرواية ٥١ و٥٨؛ ج ٧٥، الباب ٣٤، الرواية ٣؛ ج ٧٦، الباب ١٠١، الرواية ٤؛ ج

٣. سورة الحجرات، الآية ٩.

٧٨، الباب ١٨، الرواية ٢.

يطلق على من يوجد الفساد ويروج له في الوسط الاجتماعي. وبهذا المعنى جاء اصطلاح «المفسد في الأرض». وهذا المعنى للاصلاح يختلف عن الاصلاح بمعنى رفع الاختلاف بين فردين أو فئتين. فالذي يحاول ان يرفع فساداً أو يعمل عملاً صالحاً لا يواجه فرداً معيناً. وبناءً على هذا فالاصلاح المأخوذ من مادة الصلاح له مصداقان. أحدهما بمعنى القيام بالعمل الصالح، والثاني بمعنى رفع الفساد أو الحيلولة دون وقوعه. وكلا المصداقين قد استعمل في القرآن الكريم، قال تعالى:

«إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأُصْلَحُوا»^(١)

أي أنهم عملوا عملاً صالحاً بعد توبتهم بدل تلك الأعمال الخاطئة والذنوب التي كانوا قد ارتكبوها.

والاصلاح الذي يتميز بالبعد الاجتماعي وهو مطروح في أحاديث أبي عبدالله الحسين عليه السلام وفي الدراسات السياسيّة والاجتماعيّة المعاصرة هو الاصلاح في مقابل الافساد، ويعني اصلاح المفاسد.

التي هنا اتضح مفهوم الاصلاح كما جاء في اللغة العربيّة وكما هو مستعمل في القرآن الكريم والدراسات الدينيّة.

أما مفهوم الاصلاح في الجوّ السياسيّ المعاصر فقد اكتسب خصوصيّة معيّنة في المصطلحات السياسيّة فهو يستعمل بمعنى «رِفْرُم»^(٢)، وفي مقابل مفهوم الانقلاب والثورة.

يقولون أنّ التغييرات التي تحدث في المجتمع تارةً تتم بصورة تدريجيّة وبطيئة وبهدوء وتأنّ، فيُطلق عليها عندئذ اسم «رِفْرُم»، ويُطلق على الذين يقومون بهذه

١. سورة البقرة، الآية ١٦٠ سورة النساء، الآية ١٤٦.

التغييرات في المجتمع اسم «رُفُرميست»^(١). واللفظ المتداول اطلاقه عليهم في العالم السياسي اليوم هو اسم «الإصلاحيين».

وفي مقابل هؤلاء يوجد أشخاص يريدون تغيير الأوضاع دفعةً وهم الانقلابيون أو الثوريون. فالثورة تعني التغيير الاجتماعي المفاجئ والسريع الذي يرافقه العنف أحياناً، مثل الثورة الاسلامية في ايران.

انّ هذا الاصطلاح لإصلاح هو اصطلاح سياسي في مقابل الثورة، ويستعمل بالمعنى الأخص للإصلاح، ولا علاقة له بالمعنى اللغوي ولا بالاصطلاح الديني للكلمة، وأنما هو اصطلاح سياسي حديث، يستعملون فيه «الإصلاح» بمعنى مقابل للثورة.

ومن الواضح انّ هذا المصطلح حديث ولم تُستعمل هذه الكلمة بهذا المعنى لا في القرآن الكريم ولا في الروايات الشريفة. فاذا قال سيّد الشهداء عليه السلام: «أنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدّي» فإنه لا يقصد هذا المعنى الخاص للكلمة، حيث انّ نهضته المباركة لم تكن تحركاً تدريجياً هادئاً ومن دون عنف، بل كانت حرباً وفتناً وتضحية بعشرات الشرفاء في سبيل ذلك الهدف الرفيع.

وقد أشار قائد الثورة الاسلامية في خطابه الى هذه الملاحظة فأكد على أنّنا عندما ننادي بالإصلاح فنحن لا نقصد به معناه الخاص المتداول اليوم في العالم السياسي، وأنما نقصد به كلّ لون من ألوان النضال ضدّ الفساد ولرفع المفاسد، سواء أكان ذلك يتمّ بصورة تدريجية أم بصورة دفعية وثورية. ولهذا أعلن سماحته انّ الثورة الاسلامية في ايران كانت أعظم اصلاح في هذا القرن، مع أنّه لا يُطلق عليها مفهوم «الإصلاح» بالمعنى السياسي المتداول اليوم.



ويقصد سماحته أننا عندما نتحدث عن الإصلاح بالمعنى الوارد في القرآن الكريم والروايات الشريفة فنحن نقصد معناه الأعم الذي يشمل الإصلاح الذي يتم بصورة تدريجية والإصلاح الذي يتم بصورة دفعية وثورية وبسرعة وعجلة. ولهذا اعتُبرت الثورة الإسلامية أكبر إصلاح في القرن العشرين، لأنها أدت إلى رفع مفاصد كثيرة، وإن كان هذا الإنجاز قد تم بصورة دفعية. صحيح أن مرحلة الثورة قد امتدت خمسة عشر عاماً حتى انتصرت، لكن انتصار الثورة على النظام السابق قد تم بصورة دفعية، فتغيرت أجهزة البلد ومؤسساته وسياساته السابقة بصورة مفاجئة ووضع دستور جديد، وحدثت في البلاد تحولات أساسية شملت جميع الأبعاد المهمة.

تأثير النظام القيمي في تعريف الإصلاح:

قلنا: إن كلمة «الإصلاح» في القرآن الكريم إما أن تكون مأخوذة من مادة «الصلح» وإما أن تكون مأخوذة من مادة «الصلاح» ونحن نعتمد في بحثنا هذا على الإصلاح المأخوذ من مادة «الصلاح» الذي هو في مقابل «الفساد». والصلاح والفساد في القرآن هما من أعم المفاهيم القيمية. ولما كان بعض شبابنا لا يتمتع بالاحاطة العلمية الكافية بمعاني هذه المصطلحات لذا نجد أنفسنا ملزمين بتقديم توضيح مختصر للمفاهيم القيمية.

فالمفاهيم التي نستخدمها تارةً نتحدث عن الأشياء الموجودة في الخارج، وتارةً أخرى نتحدث عن الأشياء التي ينبغي أن توجد أو لا ينبغي أن توجد. والمفاهيم التي تستبطن معنى «ينبغي» و«لا ينبغي» تُسمى بـ «المفاهيم القيمية».

ما هو الفعل الحسن؟ هو الفعل الذي «لا يبد» من القيام به.

ما هو الفعل القبيح؟ هو الفعل الذي «لا ينبغي» القيام به.

ما هو «الصلاح»؟ هو ذلك الشيء الذي «لا يبد» من البحث عنه والحرص عليه.

ما هو «الفساد»؟ هو ذلك الشيء الذي «لا ينبغي» فعله، أو «لابد» من الحيلولة دون وقوعه.

فالصلاح والفساد مفهومان قيميان، أي عندما نقوم بتحليلهما فأنهما يستبطنان معنى «ينبغي» و«لا ينبغي».

والمفاهيم القيمة تارة تكون محدودة وتُستعمل في مورد خاص، وتارة أخرى تكون واسعة بحيث تشمل جميع الأفعال الحسنة أو جميع الأفعال القبيحة. والمفاهيم التي تشمل جميع الأفعال الحسنة أو جميع الأفعال القبيحة تُسمى بالمفاهيم القيمة العامة.

ونلاحظ في القرآن الكريم وجود عدّة مفاهيم قيمة عامة ومن جعلتها مفهوم «الصلاح» ومفهوم «الفساد».

ومن جعلتها أيضاً مفهوم «المعروف» ومفهوم «المنكر»، فالمعروف هو كلّ فعل حسن، والمنكر هو كلّ فعل قبيح.

و«الخير» و«الشر» يعتبران أيضاً من جملة المفاهيم القيمة العامة الواردة في القرآن الكريم.

من ميزات المفاهيم القيمة أنها لا تخضع للمعايير التجريبية العينية. فإذا قلنا «الجوّ ساخن» أو «هذا المكان مضيء» فنحن نستطيع ان نثبت ذلك بالتجربة العينية، مثلاً اذا كان الطقس بشكل يؤدي الى تصبّب العرق من أجسامنا ونشعر بعدم الارتياح فإنّ الجوّ ساخن، وأمّا اذا كنّا نرتجف فإنّ الجوّ بارد. وبنفس الطريقة نستطيع ان نتأكد من أنّ هذا المصباح يضيء واذا ضغطنا على الزرّ المتعلق به فأنّه ينطفئ. اذن صحّة أو خطأ هذه الموارد يمكن اثباتها بالتجربة الحسية والعينية بحيث يمكن التأكد من صحّة أو خطأ هذه الجمل القائلة: «الجوّ ساخن» أو «هذا المكان مضيء» أو «الجوّ بارد».

لكن المفاهيم القيمة ليست بهذه الصورة. فبأيّ حثّ يمكننا تجربة حسن أو قبح فعل من الأفعال؟

ولهذا يقولون إنّ «الحسن والقبح» و«الصلاح والفساد» و«المعروف والمنكر» كلّها تابعة للنظام القيميّ. فالأفراد والفئات والمجتمعات تتمتع بنظام قيميّ، بمعنى أنّها تعتبر مجموعة من الأفعال حسنة وقيمة، ومجموعة أخرى من الأفعال قبيحة وسيئة. وقد يكون أحد الأفعال حسناً في نظام قيميّ، وهو نفسه يُعتبر قبيحاً في نظام قيميّ آخر. مثلاً في مجتمع ما يُؤدّي الاحترام للآخرين بشكل معيّن ويعتبر هذا حسناً، بينما نفس هذا الفعل يُعتبر قبيحاً وسيئاً في مجتمع آخر.

وبناءً على هذا ف«الصلاح» و«الفساد» يتفاوتان بشكل يتناسب مع الأنظمة القيمة المختلفة، فليس الأمر بهذه الصورة وهي أنّ الناس مجمعون على اعتبار شيء ما حسناً وشيء آخر قبيحاً.

وبالالتفات إلى كون «الصلاح والفساد» و«الاصلاح والافساد» من المفاهيم القيمة، فإذا استعملت في مجال معيّن فانه يُطرح هذا السؤال وهو: حسب أيّ نظام قيميّ يكون هذا «الاصلاح»؟ هل المقصود به هو الاصلاح الأمريكيّ أم الاصلاح الاسلاميّ؟

لماذا قال قائد الثورة الاسلامية: إنّ الاصلاح الاسلاميّ اليماني الثوريّ هو مورد قبول جميع الناس في مجتمعنا، أمّا الاصلاح الامريكّي فهو مرفوض من قبل الجميع فيه؟ ما الفرق بين الاصلاح الأمريكيّ والاصلاح الاسلاميّ؟

الجواب هو: إنّ اعتبار شيء ما اصلاحاً تابع للنظام القيميّ والثقافيّ الذي تُستعمل فيه هذه الكلمة، فلا بدّ من التأكد من هذا الأمر وهو: أيّ فعل يعتبرونه حسناً وأيّ فعل يعتبرونه قبيحاً؟ وما هو معيارهم في تشخيص الحسن والقبح وفي تمييز اللائق من غير اللائق؟

اذن لكي نعرف أيّ فعل حسن وأيّ فعل قبيح لا بدّ أن نبيّن معيارنا في البداية. بمعنى ان نبيّن أيّ نظام قيميّ نحن نعتنقه، هل نحن نؤمن بالنظام القيميّ الاسلاميّ ونريد القيام بـ«الاصلاح» حسب هذا النظام القيميّ، اي أننا نريد ان ننقذ كلّ ما يقول الاسلام أنّه حسن، ونريد ان نقاوم كل ما يقول الاسلام أنّه قبيح؟ أم أننا نريد القيام بكلّ ما يقول الامريكيتون أنّه حسن وان كان مضاداً للاسلام، ونريد مقاومة كلّ ما يقول الامريكيتون أنّه قبيح وان كان الاسلام يأمر بفعله؟ هل هذا أمر ممكن؟ نعم أنّه ممكن.

توضيح ذلك: انّ جميع الناس مع اختلاف ثقافتهم وتنوع ظروفهم يعرفون قبح بعض الأشياء ويسلمون بذلك. مثلاً اذا ضرب شخص شخصاً آخر من دون ذنب أو وجه له كلمات نابية، أو قام شخص باغتتيال شخص آخر بصورة مخالفة للقانون ومن دون ان يكون ظالماً، وكذا اذا اغتصب شخص أموال شخص آخر من دون مبرر، أو اعتدى على عرضه بشكل عنيف، فانّ الناس في جميع هذه الموارد يقولون أنّه قد فعل شيئاً قبيحاً.

والواقع انّ الجميع يعرفون أمثال هذه المصاديق من الظلم، وهي تُعدّ قبيحة في جميع الثقافات.

ومن جهة اخرى توجد هناك أعمال تُعدّ حسنة عند جميع الناس، مثل القيام بخدمات تؤدى الى سلامة الناس، من قبيل اكتشاف دواء وجعله تحت تصرّفهم، أو سائر الخدمات الصحيّة، والكلّ يقول أنّها أعمال حسنة، ولا خلاف على ذلك.

إلاّ انّ جميع موارد الحسن والقبح ليست بهذه الصورة، فبعض الموارد التي نحن بأمس الحاجة اليها اليوم يُنظر اليها بأشكال مختلفة في المجتمعات المتنوعة. فقد طرق سمعكم قطعاً ما يُشاع اليوم من انّ الثقافة لا بدّ ان تصبح عالمية، أو انّ امريكا تحاول فرض ثقافتها بالقوة على جميع أرجاء العالم. انّ الدعوة الى وحدة الثقافة أو

عولمة الثقافة الغربية هي بسبب أنّ هؤلاء يعتبرون بعض الامور حسنة وبعض الامور الاخرى قبيحة، ويقولون للآخرين تعالوا فكروا كما نحن نفكر ولا بدّ لكم من اعتناق القيم التي نحن نعتقها. ونحن لا نذكر بعض الأمثلة لذلك لأنّها ممّا يُستقبح التصريح به، ولكنّ هناك بعض المصاديق لهذا الموضوع بيّنة وواضحة. مثلاً يعتقد هؤلاء أنّ العقوبات الشديدة - من قبيح الجلد وقطع اليد والإعدام وأمثالها - قبيحة وسيئة، ولهذا جاء في منشور حقوق الانسان أنّ جميع الدول مكلفة بإلغاء العقوبات العنيفة. ويزعم هؤلاء أنّ قانون العقوبات الاسلامي الذي يتضمّن الجلد وقطع اليد والإعدام وبعض صور الحدود الاخرى هي عقوبات تميّز بالعنف والخشونة، ويطعن منشور حقوق الانسان أنّ جميع دول العالم لا بدّ لها من السعي لإلغاء مثل هذه العقوبات، وهذا يعني أنّ وجود هذه العقوبات فساد لا بدّ من اصلاحه. كيف يتمّ هذا الاصلاح؟ لا بدّ من الغاء هذه القوانين!

أمّا نحن ماذا نقول؟ نحن على أساس الثقافة الاسلامية نقول: إنّ ماجاء به القرآن الكريم لا بدّ من تنفيذه، واذا لم يتمّ تنفيذه فأنّه فساد. فالفساد هو ترك الحدود الالهية وتعطيلها وليس تنفيذ الحدود الالهية.

اولئك يقولون إنّ تنفيذ الحدود الاسلامية أمر قبيح لا بدّ من مقاومته ويجب الغاء القوانين المتعلقة بها ويتعيّن الحيلولة دون العمل بها، وعندئذ يتحقّق الاصلاح. إنّ هذا هو الاصلاح القائم على أساس الثقافة الغربية، وهو الوارد في منشور حقوق الانسان.

وعندما يصرّحون بأنهم يناضلون ضدّ العنف فمقصودهم هو هذا. وإلاّ فإنّ موارد العنف العاديّ يسلم الجميع بأنّها قبيحة، مثل اطلاق الكلمات البذيئة على الناس وسوء الخلق معهم.

الخلافاً على شيء آخر وهو: كيف يُنظر الى قطع يد السارق واعداد القتاتل

المتعمد ومعاقبة المحارب والمخلّ بالأمن الاجتماعي؟ هؤلاء يقولون: إنّ هذه ألوان من الفساد وهي قبيحة، والعالم المتحضّر اليوم يرفض مثل هذه الممارسات ويدينها. فلا بدّ من تركها ومقاومتها حتّى يتمّ الاصلاح. اذا وجدنا مثل هذه الأحكام في مجموعة ما من القوانين، فإنّ تلك المجموعة من القوانين لا تنسجم مع الحياة الغربية المتحضّرة، اذن لا بدّ من اصلاحها.

أمّا الاصلاح الذي ندعو اليه نحن فهو عكس هذه النظرية تماماً، اذا كانت الحدود الالهية معطلّة في مجال معين فلا بدّ من تنفيذها لكي يتمّ الاصلاح، واذا لاحظنا قانونا مخالفاً للقانون الاسلامي فلا بدّ من تغييره ليتمّ الاصلاح. موافقة القانون للاسلام هو «الاصلاح»، ومخالفة القانون للاسلام هو «الافساد».

الاصلاح من وجهة نظر المنافقين:

منذ اّ زمان موعلة في القدم أسي استغلال مثل هذه الكلمات واستخدمت بشكل غير صحيح وتمت المغالطة فيها، وقد تميّز المنافقون بمثل هذه الأساليب. فالمنافقون لهم وجهان وهم دائماً يتحدّثون بشكلٍ يمكن تبريره بالنسبة للطرفين. النفاق يعني الظهور بوجهين، أنّهم يتحرّكون بين الحقّ والباطل، لا يظهر الحقّ الخالص على ألسنتهم ولا الباطل المحض، وذلك من أجل استغلال الموقف اللاحق، فان كانت النتيجة لصالح أهل الحقّ فإنّهم يعلنون انفسهم جزءاً من معسكر الحقّ قائلين: «ألم نكن معكم؟» فنحن مؤمنون. واما اذا كانت النتيجة لصالح أهل الباطل فإنّهم يقولون: لقد نصحنّا هؤلاء منذ البداية وحدّرناهم من هذه الأفعال ولكن لم تكن لهم أذن صاغية. قلنا لهم: مادتم قد استرجعتم مدينة «خرمشهر» من أيدي الجيش العراقي في السنين الأولى من الحرب فاتركوا القتال وكفّوا عن الحرب، ولكنّهم لم يصغوا الى النصيحة!

انَّ من الأساليب الثابتة للمناققين هو التحرك على الحدِّ الفاصل بين الحقِّ والباطل، كما يقول تعالى:

«مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لِإِلَى هُوَلاءِ وَ لِإِلَى هُوَلاءِ»^(١).

انهم انتهازيون، وهم في الواقع لا يعترفون بهذا الطرف ولا بذلك الطرف، وأنما هم باحثون عن مصالحهم الخاصة. فان هبَّت الريح من هذا الجانب فهم ثوريون، واذا أمسكت بزمام الامور فنةً اخرى أصبحوا اصلاحيين ومتممين الى الطرف الآخر. في كلِّ يوم تتغير فيهم الألوان، ويبدلون أفتعهم بما يتناسب مع الظروف. هذه هي من أبرز ميزات النفاق.

ومن الخصائص الاخرى للنفاق انَّ المنافقين يعتبرون أنفسهم مصلحين دائماً، يقول الله تعالى:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يُخَدَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِن لَّا يَشْعُرُونَ»^(٢)

بعض الناس يدعي أنه من جملة المتدينين ولكنه كاذب في هذا الادعاء، ويقوم بالافساد فيخالف القانون ويتهم الناس بدون دليل ويغتال الشخصيات بلامبرر ثم يقول انا وجماعتي «انما نحن مصلحون». يقول الله تعالى: اذا نصحهم ناصح بان «لا تفسدوا في الأرض» (هذا الافساد بحسب النظام القيمي الاسلامي) فانهم لا يقبلون هذه النصحية لانهم لا يؤمنون بالنظام القيمي الالهي القرآني بل يؤمنون بنظام قيمي آخر لا يعتبر هذا فساداً.

ويمكننا ان نجسم هذا النظام الذي هو مطمح أنظارهم - في عصرنا الحاضر - في النظام القيمي الأمريكي أو الغربي. وقد كان في عصر النبي الأكرم ﷺ نظام قيمي إلحادي يقف في مقابل ما جاء به النبي ﷺ من نظام قيمي اسلامي. لا فرق بين هذا وذلك فكل ما هو مضافاً للإسلام فهو كفر وإلحاد سواء أكان نظاماً أمريكياً أم انجليزياً أم منتسباً لقوم آخرين، فاذا لم يكن النظام اسلامياً فان «الكفر ملّة واحدة». واذا قال القرآن: «لا تفسدوا في الأرض» فإنه ينهى عن القيام بأعمال تعدّ فساداً بحسب النظام القيمي الاسلامي.

لكن هؤلاء يقولون «أنا نحن مصلحون» ولسنا مفسدين. سرّ هذا الاختلاف أنّ هؤلاء ينظرون إلى الامور بمنظار يختلف في المبنى والأساس عن المنظار القرآني. فالله تعالى يعتبر شيئاً ما اصلاحاً بينما هؤلاء يعتبرون شيئاً آخر اصلاحاً. والله سبحانه يعتبر شيئاً معيناً افساداً بينما هؤلاء يعتبرون شيئاً آخر افساداً. ثم يؤكد الله تعالى على أمر مهم فيقول: «ألا أنهم هم المفسدون» باستعمال ضمير الفصل و«الالف واللام» مما يفيد الحصر، أي أنّ المفسدين الحقيقيين هم هؤلاء المنافقون الذين يدعون أنهم مصلحون، وهم في الواقع كاذبون. أنهم يدعون الايمان وهم كاذبون، ويقولون أنهم متقفون مستنبرون في الدين، وهم لا يعرفون من الدين إلا القليل. فاذا جرى الحديث عن الوحي قالوا: إنّ الوحي تجربة شخصية! فالشخص يعيش في بعض الأحيان حالة روحية معينة ويتصور أنّ الله يكلمه! وهذا التصور يصبح وحيّاً بالنسبة اليه! وعندما يجري الحديث عن الدين فهم يقولون: إنّ الدين متعلق بالامور الشخصية فحسب، ولا علاقة للدين بالاقتصاد ولا بالشؤون السياسية ولا بالامور الاجتماعية ولا حتى بالقيم الأخلاقية! فالقيم أيضاً ليست جزءاً من الدين! لأن القيم متغيرة، ولا بدّ ان تتغير في كل عصر حسب أذواق الأشخاص! فما هو الدين إذن؟ أنه مجموعة من المناسك والآداب والقواعد

الاعتبارية التي تُقدّم بعنوان أنها عبادة لشيء يتصوّر الشخص أنّه ربّه وإلهه! ومن الممكن ان يُصَبّ هذا المفهوم في قالب عبادة الأصنام أو عبادة الله! وقد يعبد الشخص إلهين أو ثلاثة آلهة. هذا هو الدين! كلّ هذه لا يختلف بعضها عن بعض. هذا صراط مستقيم وذاك أيضاً صراط مستقيم آخر! عبادة الصنم المصنوع من الحجارة صراط مستقيم وعبادة الله التي يقول بها الاسلام ويُقصد بها وجه الله الذي هو الكمال المطلق المنزّه عن الجسم والجسمانيّات هي دين وصرّاط مستقيم آخر! ولا فرق بينهما!

كيف يمكن ان لا يكون بينهما فرق؟

لأنّ أياً منهما - من وجهة نظر هؤلاء - ليس له واقع. هذا كاذب وذاك كاذب، ولا فرق بينهما من هذه الجهة!

انّ أمثال هؤلاء يدّعون التدين، ولا تقتصر المصيبة على هذا، بل يدّعون أنّهم قادة وهادون يهدون الآخرين ويعلمونهم الدين!

وهم يزعمون أيضاً أنّهم مصلحون! الاصلاح حسب أيّ نظام قيميّ؟

أنّهم يصرّحون بأنّه لا يوجد نظام قيميّ ثابت في العالم، ولا يمكن ان يكون ثابتاً. واذا جرى الحديث عن أحكام الاسلام فلنكي يخذعوا الآخرين فهم يقولون نعم انّ هذا حكم اسلاميّ ولكنّه قد وضع لظروف كانت سائدة قبل ألف واربعمئة عام! أمّا اليوم فقد تغيّرت الظروف، والاسلام دين حرّكيّ وهو متغيّر الشكل في كلّ عصر.

نحن مسلمون وقد قمنا بثورة اسلامية ونلخّ في تطبيق النظام الاسلاميّ. لكن أيّ اسلام نحن نطالب به؟ أهو الاسلام الذي نزل من الله تعالى على النبي الأكرم ﷺ قبل الف واربعمئة عام أم الاسلام الذي جاء به هؤلاء من أمريكا؟

الذين قدّموا مئات الآلاف من الشهداء لكي يحكم هذا البلد نظاماً اسلاميّ هل هم يقصدون الاسلام القادم من أمريكا؟ هذا الكفر الذي جعل عليه اسم الاسلام ظلماً

وعدواناً؟ هذا الافساد الذي أُطلق عليه اسم الاصلاح؟ الى اي اصلاح يهدف هؤلاء؟ الى كشف الحجاب وحضور النساء في مجالس الرجال عاريات؟ الى حرية بيع الخمر وشربها؟ الى حضور الشباب الفتيات في الشوارع والرقص معاً؟ وكذا احياء سنن الكفار التي تعود الى ما قبل ألفين وخمسمائة عام!

هذه هي من موارد الاصلاح التي يهدف اليها الاصلاحيون.

انها في الواقع تعطيل للأحكام الالهية وتغيير للقوانين القرآنية! ولكنهم يطلقون عليها اسم «الاصلاح»!

صدق الله العلي العظيم اذ يقول:

«وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ»

الاصلاح المطلوب:

و الآن نساءل: لماذا نهض سيّد الشهداء عليه السلام؟

هل كانت نهضته تهدف الى أن يسود الناس نظام «مبتكر» «متغير»؟

هل كان هذا هو مضمون «الاصلاح» الذي جاء به؟

أم أنه صرّح بكل وضوح: يجب عليكم ان تتفدوا نفس الأحكام التي جاء بها جدي رسول الله صلى الله عليه وآله؟

عندما رأى عليه السلام من يدعي الخلافة يعاقر الخمر ويصلي بالناس وهو سكران هل رحّب بهذه الحالة واعتبرها اصلاحاً؟ أم أطلق صرخة مدوية قائلاً: لابد من اجراء الحدّ على شارب الخمر؟

ثم نلقي نظرة على سلوك مدّعي الاصلاح في بلادنا - خلال الفترة الأخيرة - حيث يعطون الضوء الأخضر لشاربي الخمر، وفي بعض الموارد تقول بعض



المؤسسات الرسمية لهذا البلد الاسلامي للضيوف الأجانب: اذا كنتم بحاجة الى «البيرة» فسوف نحضرها لكم! ويعتبرون هذا لونا من الاصلاح!

لماذا؟ يقولون: ان الناس تشددوا كثيراً في أوائل الثورة، وقد منع هذا التشدد الضيوف الأجانب من المجيء الى بلادنا، أما نحن فنحاول اصلاح الوضع لكي نجذب الضيوف الأجانب الى بلادنا ونتنفع من وجودهم بين اظهرنا! فنحن نرحب بالضيوف الأجانب وهم يحملون أمتعتهم التي تحتوي على المسكرات وأشياء اخرى لا أحب ان اخوض فيها!

ماذا يقصد سيد الشهداء عليه السلام بـ «الاصلاح» حينما قال:

«أما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي؟»

ونضم الى هذا النص نصاً آخر وهو جزء من خطاب له عليه السلام ألقاه أثناء مسيره نحو كربلاء، لعله يساعدنا على توضيح الموضوع اكثر. يقول عليه السلام: «ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ثم لم يغير بفعل ولا قول كان حقيقاً على الله ان يدخله مدخله. وقد علمتم ان هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الله واطهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفئ وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله واتي أحق بهذا الأمر»^(١)

كل من يرى حاكماً قد تسلط على الآخرين بالقوة وهو ناكث لعهد الله، ما هو عهد الله؟ انه عهد العبودية الوارد في قوله تعالى:

«أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. وَإِنْ اعْبُدُونِي

هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»^(٢)

١. بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٨٢، الباب ٣٧، الرواية ٢.

٢. سورة بقره، الآيتان ٦٠-٦١.

كل من يرى حاكماً يستغل قدرته للتحلّل من عبوديّة الله، ويسير بشكل مخالف لسنة رسول الله ﷺ حيث لا يعمل بأقواله ﷺ، ويتّسم سلوكه مع الناس بالانتم والعدوان، من رأى سلطاناً بهذه الصفات ثمّ لم يغيّر عليه بفعل ولا قول، أي لم يعمل عملاً ولم يقل قولاً يدفع هذا الشخص للعودة الى المسير الصحيح، فإنّ من حقّ الله سبحانه ان يدخله جهنّم مع ذلك الظالم. ذلك الحاكم قام بعمل خاطئ، وهذا الشخص قد سكت عن هذا الخطأ، ويعتبر السكوت إمضاءً لعمل مرتكب الخطأ ويؤدّي الى ان يصبح الشخص جليساً للمخطئ.

ثم يشير ﷺ الى القوم الذين يواجههم - وهم بنو امية - فيؤكد على أنّهم قد عملوا على عكس عهد الله المبيّن في قوله تعالى: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ». فهم «قد لزموا طاعة الشيطان وتولّوا عن طاعة الله».

ويواصل ﷺ خطابه فيقول: «و أظهروا الفساد» وهو موضع شاهدنا في هذا البحث، حيث أظهروا الفساد في المجتمع. ماذا فعلوا؟ يقول ﷺ في عطف تفسير على العبارة السابقة: «و عطلوا الحدود» الالهية، ففي المورد الذي لا بدّ ان تُقطع فيه يد السارق فإنهم لا يقطعونها، وفي المورد الذي لا بدّ ان يُجلد فيه الزاني والزانية فإنهم لا يجلدونهما، وفي المجال الذي لا بدّ ان تُنفذ فيه سائر الأحكام الالهية فإنهم لا يتقدّونها. هذا هو الفساد في ثقافة الامام الحسين ﷺ.

ويضيف الامام ﷺ توضيحاً فيقول: «و استأثروا بالفئ»، بيت المال الذي يجب ان يُنفق على جميع المسلمين والامكانيات التي لا بدّ ان توضع تحت تصرّف الجميع بشكل مساوٍ، استأثروا بها وقصروها على أنفسهم ومن يدور في فلکهم.

«و احلّوا حرام الله» هناك امور لا يشكّ مؤمن في ان الله قد حرّمها، لكنّ هؤلاء يقولون: ان القليل منها لا يضرّ! أو أنّها لا اشكال فيها الآن لانّ الاسلام سيّال! ونحن نؤمن

بالفقه الحركي! كانت هذه الامور حراماً في الأمس البعيد، وقد أصبحت اليوم حلالاً! لقد عبثوا بكل شيء، حتى ان بعض الشباب المتدين يسأل: متى يصبح الرقص حلالاً؟ أما آن الأوان لكي تفتوا بحليته؟ متى يصبح من الجائز ان يتخذ الشاب صديقة له، وان تتخذ الفتاة صديقاً لها؟

ونجيب: بأن هذه الامور لا يمكن ان تصبح حلالاً، لان الله تعالى حرّمها، وما حرّمه الله سبحانه يبقى حراماً الى يوم القيامة. يقولون: كلاً، هناك أمور كثيرة كانت حراماً، واليوم قد أحلت! فمتى تُضاف هذه الامور الى قائمة المحللات؟

أنهم صادقون في تساؤلهم! لان اولئك قد عرفوا الفقه الحركي بشكل يتضمّن تغيير أحكام الله.

من الذي يقوم بتغيير أحكام الله؟

الحاكم المتسلط!

يقول الامام عليه السلام اذا أصبح الوضع بهذا الشكل فقد قال رسول الله ﷺ من لم يتعرض على هذا السلوك ولم يغيّر بفعل ولا قول فسيغدو جليس الحكّام الظلمة في نار جهنّم، ومن أولى منّي بالنهوض لتغيير هذا الوضع المنحرف؟ اذن تحرّكي بهدف الى اصلاح هذه الموارد.

ما هو معنى «خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدّي»^(١)؟

معناه «اصلاح» هذه الامور: لا بدّ من العودة لتطبيق الحدود الالهية، ويجب ان يوضع بيت مال المسلمين تحت تصرف الجميع بصورة متساوية، ولا بدّ ان يستفيع الناس بشكل متساوٍ من التسهيلات الاقتصادية والإدارية والقانونية، لا أن ينحصر

الانتفاع منها على فئة معينة مع أقاربهم وبطانتهم والمشاركين لهم في الحزب أو الجبهة. فهذا هو من أوضح مصاديق الفساد، ولا بدّ من النهوض لمقاومته. فالحسين عليه السلام نهض ليسقط ألوان الفساد هذه. اذا كان المقصود من «الاصلاح» هو هذا فكلنا «اصلاحيون» - كما قال قائد الثورة الاسلامية - ولا يجزئ أحد أن يخالف هذا إلا اذا كان غير مسلم. نعم هناك من يعارض مثل هذا الاصلاح، وهم في الواقع الذين لا ايمان لهم بالله وأحكامه يدعون الاسلام كذباً لكي نتخدع بهم أنا وأنت.

الاصلاح أمر عظيم ولكنّه الاصلاح القائم على أساس النظام القيمي الاسلامي، وليس الاصلاح الذي تسعى اليه أمريكا أو سائر الكفار. ولا يختلف الأمر بالنسبة اليها فأمریکا وغيرها شيء واحد، ولكن لما كان اصرار أمريكا أكثر فقد جعلناها رمزاً للآخرين، وإلا فإن أي كافر هو مثلها في الحكم. كل من يعادي القيم الاسلامية فنحن نعاديها. نحن نريد تطبيق القيم الاسلامية، نطالب بتنفيذ أحكام الله، واذا قالوا ان هذه الأحكام مخالفة لمنشور حقوق الانسان، قلنا لهم خذوا هذا المنشور لأنفسكم، فنحن نوافق على ذلك المنشور بالمقدار الذي ينسجم فيه مع الثقافة الاسلامية. و«الحسن» عندنا هو مايقول الاسلام أنه حسن، و«القيح» عندنا هو مايقول الاسلام أنه قبيح أيضاً، لا ما يقوله البرلمان الاوربي ولا ما تقوله المؤسسات الأمريكية. ان أقوال هؤلاء ليست حجة عندنا. القول الحجة عندنا هو قول مراجعنا الكرام، قول القرآن الكريم، قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله.

وهناك قول آخر للامام الحسين عليه السلام يشبه هذا القول:

«ان هؤلاء القوم لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان واطهروا الفساد في الأرض وابطلوا الحدود وشربوا الخمر».

ان تعطيل الحدود شيء وابطال الحدود شيء آخر أهم وأشدّ. فتارةً يقولون ان الظروف في العصر الحاضر لا تسمح لنا بتنفيذ الحدود الالهية، ولكنهم يقولون

أحياناً أنّ هذا الحكم لا معنى له وهو مخالف للقيم الانسانية، كما قالت الجهة الوطنية بالنسبة الى لائحة القصاص^(١)، وكما يقول ذلك أتباعهم اليوم بصورة أوضح ويذهبون الى مؤتمر برلين ويهاجمون هناك رسمياً الأحكام الاسلامية مطالبين بضرورة تغييرها^(٢).

ومع الأسف فإنّ بعض المترين بزّي علماء الدين قد ساهموا في هذه الفضائح! ونحن نطالب الذين يعتبرون أنفسهم مدافعين عن الدستور الاسلامي ان يجروا هؤلاء الذين لا دين لهم الى المحكمة، فقد أنكروا ضروريات الاسلام، وأخلّوا بسمعة الاسلام في الدول الأجنبية. ألا يقتضي الدفاع عن الدستور مثل هذا الموقف؟ أهو يقتضي فقط ترك حبل الصحف على غاربها لتكتب ما تشاء من سفاسف؟ وان تنشر ما يحلو لها من اهانات للمقدّسات؟ أهذا هو دفاعكم عن الدستور؟ أين ذهب الانصاف والشرف؟

يقول الامام الحسين: «أنا أولى بنصرة دين الله واعزاز شرعه» حيث أنّ الحكام الظلمة قد عزلوا شريعة الله عن الحياة الاجتماعية واذلّوها، وانا ابن رسول الله ﷺ أولى باعادة العزّ اليها.

«و الجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا»، فالحسين ﷺ يعدّ تحرّكه جهاداً في سبيل الله، والهدف هو أن يصبح كلام الله هو الأعلى، وهذا يعني ان لا يتحدّث أحد بكلام مخالف لكلام الله عزّ وجلّ، فاذا جاء «كلام الله» فالكلّ خاضع. لا أن يقول القائل: هذا كلام الله ولكنّه مناسب لزمان مرّ عليه ألف واربعمئة عام! أمّا اليوم فنحن نفهم الامور بشكل أفضل من الله!

١. صحيفة ميزان، شتاء ١٣٥٩ و ربيع ١٣٦٠ هـ.ش.

٢. صحيفة كيهان، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ١/١٣٧٩ هـ.ش، التقرير المتعلّق بمؤتمر برلين.

انّ الهدف الذي أعلنه الامام الحسين عليه السلام في وصيته لأخيه هو: «أنا خرجتُ لطلب الاصلاح في أمة جدّي»، ولعلّ في التعبير بـ «طلب الاصلاح» اشارة الى أنّه عليه السلام لا يريد القول بأنّه سوف يفعل هذا الأمر ويحلّ جميع المشاكل ويرفع كلّ ألوان الفساد، وأنما يؤكد عليه السلام على أنّه سوف يحاول ويبدل قصارى جهده ليتحقّق هذا الأمر، فاذا أعان الناس وقاموا بما يجب عليهم فسوف يتحقّق المطلوب ويتمّ اصلاح المفاسد، وأمّا اذا تقاعس الناس وتخلّوا عن واجباتهم فأنّني أقوم بواجبي، وهدفي هو «طلب الاصلاح»، وقد تحقّق هذا الهدف على أفضل وجه.

هل يستطيع انسان أو مجموعة صغيرة من الناس أن يحقّقوا أكثر من هذا التحول؟ التحول الذي يثير مثل هذا الحماس في الناس بعد مرور أكثر من ألف وثلاثمائة عام، حيث يبكون على الحسين عليه السلام من شرق العالم وغربه، وينهضون في اقامة الذكرى للحسين عليه السلام بهدف احياء دين الله. وتعتبر الثورة الاسلاميّة في ايران احدى ثمرات هذه الذكرى المباركة. ومثل هذه الثمرات في تاريخ الاسلام ليست قليلة، وان لم تصل الى عظمة الثورة الاسلاميّة في ايران. وهذا هو مقتضى الامور الطبيعيّة. لانّ التجربة عندما تتكرّر فإنّ الناس يأخذون العبر من الماضي وينتبهون أكثر للمفاسد التي تصدر من الأجهزة المعادية للاسلام.

أتلاحظون اقامة العزاء في هذا العام هو بشكل أوسع وأفضل من السنين السابقة. لماذا؟ لانّ هؤلاء الحمقاء اعداء الحسين عليه السلام قد كشفوا أنفسهم، ولم يكن الناس في الماضي يصدّقون أنّ هؤلاء اعداء للحسين عليه السلام. واذا تحدّث خبير عن أهداف هؤلاء الواقعيّة فإنّ احداً لم يكن يصدّق، فكان الناس يقولون أنّ هذه الموارد نادرة، أو أنّ هذه الرؤية متشائمة. لكنكم تلاحظون اليوم كيف انكشفت الحقائق. في ايران

الاسلامية وفي ليلة التاسع والعاشر من المحرم هاجموا هيئات العزاء^(١)، كما حدث في مدينة «رشت» ومدينة «خرم آباد».

صحيح أنهم كانوا أشخاصاً معدودين لكنهم يقومون بهذه الحركات المحدودة ليجزوا الآخرين ويخلوا بقدسية سيد الشهداء عليه السلام وبأمن ونظام هيئات العزاء. أنها خطوات محسوب حسابها ومخططة. ووسائل الإعلام المعادية كانت تشير من قبل الى أنه في هذا العام سوف يحدث اخلال بالأمن في ايران. كل محاولاتهم السابقة في القيام بانقلاب عسكري باءت بالفشل، فأدركوا أنهم لا يستطيعون ان يسطادوا إلا في الماء العكر، لهذا خططوا للقيام بهذه الأعمال الدنيئة في هذا العام. يُصدرون منشورات تحت على إثارة الضوضاء. وفي مدينة رشت وخرم آباد يعتدون على هيئات العزاء، وفي بعض الحالات يوجهون اهانات لشخصيات المعصومين عليهم السلام ليكسروا هذه الهيبة.

هل هذه الأعمال هي مضمون «الاصلاح» الذي جاءوا به؟

وهل إعداد الأرضية لمثل هذه التحركات المشبوهة هو ما يهدف اليه

«الاصلاحيون»؟

وهل هذا «اصلاح» أم «افساد»؟

وهل هؤلاء «مصلحون» أم «مفسدون» حسب منطق القرآن الكريم؟

أهم مؤمنون أم منافقون؟

«أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ»^(٢)

١. صحيفة كيهان، بتاريخ ١٣٧٩/١/٢٨ هـ ش؛ صحيفة الجمهورية الاسلامية، بتاريخ ١٣٧٩/١/٢٢ هـ ش، ص ٢.

٢. سورة بقره، الآية ١٢.

الهدف من نهضة عاشوراء (٢)

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
واجب المسلمين إزاء المنكرات
عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تحدّثنا في الفصول السابقة عن مواضيع تتعلّق بعاشوراء ونهضة ابي عبد الله الحسين عليه السلام. وحاولنا ان نقدّم أجوبة واضحة لأسئلة تخطر على بال الشباب واليافين.

ومن جعلتها سؤال تعرّضنا له في الفصل السابق حول ما يسمع به الناس من انّ نهضة الامام الحسين عليه السلام كانت من أجل احياء الإسلام. فهذا عنوان عام، وليس واضحاً كيف يمكن ان تكون نهضته عليه السلام من أجل احياء الاسلام؟ وهل تحقّق الهدف الذي نهض من أجله أم لا؟ في الجواب على هذا السؤال تعرّضنا في الفصل الماضي لوصيّة الامام الحسين عليه السلام الى أخيه محمد بن الحنفية وحاولنا شرح هذه الفقرة منها: «انّما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدّي»^(١).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

و يواصل الامام الحسين عليه السلام وصيّته لأخيه فيقول:

«و أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

وقد طرق أسماعتنا كثيراً تعبير «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وكذا القول بأنّ «نهضة عاشوراء كانت من أجل الأمر بالمعروف»، ولكنّه يوجد في هذا المجال

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩، الباب ٣٧، الرواية ٢.

إبهام ويُطرح سؤال وهو: ما الفرق بين الأمر بالمعروف الذي سمعنا به كثيراً وقد بحثه العلماء وذكروا له شروطاً خاصة والأمر بالمعروف الذي بيّنه الامام الحسين عليه السلام وعمل به؟ فتحن به؟ نسمع بمثل هذا الأمر بالمعروف الذي يُضطرّ فيه الانسان ليُمسك بأيدي نسائه وأولاده ويأتي بهم الى صحراء لا ماء فيها ولا عشب ليقاتل مجموعة لم تهتمّ بأمره لها بالمعروف، وتنتهي القضية بنيله الشهادة مع خيرة أصحابه وأهل بيته. أيّ لون هذا من ألوان الأمر بالمعروف؟

ومن ناحية أخرى فقد سمعنا أنّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروطاً معيّنة، ويقولون أنّ من جعلتها هذا الشرط وهو أن لا يخاف الانسان من حصول الضرر له بسبب ذلك. مع أنّ الامام الحسين عليه السلام قد أقدم على الأمر بالمعروف هنا مع يقينه بحصول الضرر له. فكيف ينسجم فعله عليه السلام مع ما نعرفه من أحكام تتعلّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

قال البعض أنّ هذا اللون من الأمر بالمعروف هو حكم مختصّ بسيد الشهداء عليه السلام نزل من السماء في حقّه فقط.

وقال البعض أنّ لكلّ واحد من الأئمة الطاهرين عليهم السلام واجباً مختصّاً به قد عُيّن له من قبل الله عزّ وجلّ، وهذه الأعمال ليس لها ملاك عامّ وهي غير قابلة للسراية الى الآخرين.

فهل هذا الجواب صحيح ومقنع؟

وهل هذا اللون من الأمر بالمعروف مختصّ بسيد الشهداء عليه السلام وكان عليه فقط أن يقوم به بهذه الصورة؟ أم لا، فمن الممكن أن يأتي يوم يجب فيه على أفراد آخرين أن يقوموا بنفس هذا العمل؟

إنّها أسئلة تُطرح وقد يخطر على البال - ابتداءً - أجوبة ايجابية أو سلبية، لكنّه يتحتّم علينا أن نهتمّ بالسؤال أكثر وأن نحاول تقديم جواب له واضح ومقنع.

وقبل البدء بتوضيح الجواب على هذه الأسئلة يحسن بنا أن نشير إلى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وجهة نظر القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام.

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من الشائع في مجتمعنا الاسلامي أن يتمّ تعليم الأطفال - في الوسط العائلي والمدرسي - اصول الدين وفروعه، وتعتبر هذه من جملة المسائل الأولية. والفرع السابع والفرع الثامن من فروع الدين هما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذا يعني أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان مثل الصلاة والصيام تماماً.

اذن وجوب هذين الأمرين واضح للجميع، والكلّ يعلم أنّه من ضروريات الدين، ولا مجال لهذه الشبهة وهي ان يدّعي أحد أنّ له «قراءة» اخرى بالنسبة لهذين العنوانين تقول بعدم وجوبهما في الاسلام. وحتى من لم يتعلّم في المدارس فأنّه يعلم أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من ضروريات الدين الاسلامي.

وهناك آيات كثيرة ومتنوعة تتحدّث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث لا تدع أيّ مجال للشبهة والإيهام في هذا المضمار. والروايات أيضاً متضافرة في هذا المجال. وأنقل هنا بعض الروايات الشريفة - كنموذج فقط - لمعرفة الثقافة المسيطرة على أذهان المسلمين والمتديّنين فيما يتعلّق بهذين الأمرين.

يروى الشيخ الطوسي رحمته الله في كتاب التهذيب والمرحوم الكليني في اصول الكافي: «... عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيه قوم مراؤون، يتقرّؤون ويتنسّكون، حدباء سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير...»^(١)

١. تهذيب الاصول، ج ٦، ص ١٨٠، الباب ٢٢، الرواية ٢٢١؛ اصول الكافي، ج ٥، ص ٥٥، الرواية ١.

يتحدّث الامام الباقر عليه السلام لجابر في هذه الرواية الشريفة عن قوم في آخر الزمان سوف يتبعون فئة معيّنة في أقوالهم وأفعالهم (و تلك الفئة التي هي مورد اعتماد الناس لا بدّ أنها من العلماء والوجهاء المسموعة كلمتهم). وتذكر الرواية الشريفة بعض الصفات لهؤلاء المتبوعين منها أنّهم «يتقرّؤون ويتنسّكون». يتقرّؤون مأخوذة من مادّة القراءة. ففي صدر الاسلام كان يتولّى أكبر العلماء - وهم العارفون جيّداً بالقرآن والعلوم القرآنية - تعليم الآخرين هذه العلوم. ويُطلق عليهم اسم «القراء». فاذا أرادوا ارسال مبلغ لمدينة أو دولة أو مجموعة حديثه الاسلام فإنهم يختارون من بين هؤلاء «القراء» من يرسلونه ليقرأ لهم القرآن ويفسّره ويعلمهم أحكامه ليهدوا به. ومن هنا فقد اشتهر «القراء» بعنوان كونهم أكبر العلماء في صدر الاسلام. لكنّه كان هناك أيضاً من يرتدي زيّ هؤلاء القراء، والواقع انه لا يتمتّع بالأهليّة للقيام بهذه المهمة ولكنّه يتظاهر بذلك. فالامام الباقر عليه السلام يقول بان الناس في آخر الزمان سوف يتبعون المتظاهرين بأنهم من علماء الدين ومن «القراء».

ثمّ يذكر عليه السلام صفة ثانية لهؤلاء وهي أنّهم «يتنسّكون» من مادّة «النسك» أي العبادة وهم المتظاهرون بالتعبّد. وهم في الحقيقة ليسوا من أهل العبادة ولكنهم يتظاهرون أمام الناس بما يوحي لهم أنّهم متعبّدون.

ويصفهم الامام عليه السلام بأنهم «حدثاء سفهاء» بمعنى أنّهم حديثوا العهد بالجوّ الدينيّ وهم سطحيّون لا يتميّزون بالعمق: «لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلاّ اذا أمنوا الضرر»، بمعنى أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كانا يؤدّيان الى مشكلة بالنسبة لهم فإنهم يفتنون بعدم وجوبهما ويعفون أنفسهم والناس من القيام بهما. «يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير»، إنّ هؤلاء المتظاهرين بالتقوى يباحثون عن الذرائع ليفرّوا من التكليف الشرعي، لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستتبعان - شئنا أم أئينا - بعض التبعات والصعوبات، فالذين يُنهَوْنَ عن المنكر -

مثلاً - لا يروق لهم ذلك فلا يحبون من ينهاهم عنه ويحجبون عنه احترامهم ودعمهم المادي ويتفرقون عنه. فاذا اعترض الخائف من الله سبحانه على قيام الناس ببعض المنكرات كأن ينهاهم عن معاملة ربوية أو عن إقامة لون خاص من حفلات الزواج أو عن الحضور في مجالس اللهو والطرب أو مجالس الرقص والمعصية وماشابه ذلك من منكرات فأنهم سوف يتفرقون عنه.

أما بعض ضعفاء الايمان فأنهم يحاولون أن لا يطرحوا مثل هذه المواضيع حتى لا يفقدوا مكانتهم الاجتماعية، وهم يبحثون عن بعض الذرائع ليفرّوا من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وينسجموا مع الناس ويحافظوا على تأييدهم لهم.

هؤلاء المتظاهرون بالعلم والتقوى لا يتمتعون بالأهلية لقيادة الناس وهدايتهم إلا أنهم يحاولون إبعاد العلماء الحقيقيين عن الساحة الاجتماعية ليحلّوا محلّهم. كيف يبعدون العلماء الواقعيين عن ساحتهم؟ لا بدّ ان يقوموا بعمل يسقطهم من عيون الناس، ولهذا فأنهم يحاولون أن يلصقوا بهم أموراً وأن يجدوا فيهم نقاط ضعف. وأبسط ما يمكن أن يقوم به هؤلاء هو أن يضعوا أصابعهم على أخطاء في كلام أو سلوك العلماء الحقيقيين ثم يقومون بتضخيمها وتعظيمها. ومن الواضح ان العلماء الواقعيين ليسوا معصومين ولهذا فقد يرتكبون خطأ، كأن ينقلوا احصائية بشكل خاطئ أو يقرأوا آية شريفة بصورة خاطئة أو يخطئوا في جملة اثناء خطاباتهم، فيمسك بها المفرضون قائلين انّ هذا لا يعرف كيف يقرأ القرآن أو لا يعرف الخطابة. ولكنّ هؤلاء لوجزّبوا الخطابة لمدة عشر دقائق فقط لعرفوا الصعوبات التي تعترض الخطيب.

وعلى أيّ حال فالمتظاهرون بالعلم يبحثون عن نقاط الضعف في الآخرين ليجعلوها تحت المجهر ويشهّروا بصاحبها. ومن المعروف انّ العالم مهما كان ضليعاً في العلم ورفيع الدرجة في التقوى فإنّ له بعض نقاط الضعف، وعلى أقلّ تقدير فأنه يخطئ لأنّه غير معصوم عن الخطأ، فقد يصدر منه عمل غير لائق، أو قد يقوم بعمل

يتصور أنّه واجب عليه ثمّ يكتشف أنّه غير واجب وقد كان مخطئاً في ذلك. اذن من الممكن ان توجد بعض نقاط الضعف حتّى في أفضل العلماء وأهمّ الشخصيات. ويجلس المتظاهرون بالعلم منتظرين لمثل هذه النقاط من الضعف. فاذا صدرت من العلماء الحقيقيين فإنّهم يكبرونها أضعافاً مضاعفة ويبدلون قصارى جهدهم ليسقطوا العلماء الحقيقيين في أعين الناس، أي أنّهم يغالون شخصياتهم ليتفرّق الناس من حولهم ويتحلّقوا حول اولئك المتظاهرين بالعلم.

وليس هذا كلامي وأنما هو مضمون الرواية الشريفة التي يخاطب فيها الامام الباقر عليه السلام واحداً من أصحاب سرّه وهو جابر فيقول عليه السلام:
«يتبعون زلّات العلماء وفساد علمهم».

ويواصل عليه السلام فيقول: «يُقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلمهم في نفس ولا مال»، فهم حريصون على القيام بما لا يسبّب لهم ضرراً على أنفسهم وأموالهم. بينما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعود بالضرر على نفس الانسان وماله، فعلى أقلّ التقادير تنقطع عن الأمر بالمعروف المساعدات التي تصله من الآخرين. إنّ أصحاب الأموال وأصحاب القدرة هم المؤهلون أكثر لارتكاب المعاصي بسبب ما عندهم من قدرة وثروة. فلو حاول المتظاهرون بالعلم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاصطدموا بأصحاب القوّة والثروة، والاصطدام بهؤلاء يؤدّي الى الحاق الضرر بمصالحهم، ولهذا فإنّهم يتّجهون الى عبادة وعمل «لا يكلمهم في نفس ولا مال».

ويستمرّ الامام عليه السلام في تصويره لهذا الجوّ فيقول:

«ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أتمّ

الفرائض وأشرفها»^(١)

١. وقد جاء النص في الكافي بأنّه «أسمى الفرائض».

لأن ملائكتهم في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الضرر، فهم يخافون من إلحاق الضرر بأموالهم وأنفسهم ولهذا يتخيلون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإذا أصبحت الصلاة مؤدية إلى إلحاق الضرر بأموالهم وأنفسهم فأنهم يتركونها بحسب نفس ذلك الملاك: «كما رفضوا أتمّ الفرائض وأشرفها». أنهم على استعداد لترك أي شيء يؤدي إلى الإضرار بمصالحهم.

فهو ﷺ يعتبر الأمر بالمعروف «أتمّ الفرائض وأشرفها» فهو أرفع حتى من الصلاة: «إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة» ليست هيّة «بها تُقام الفرائض». فإذا أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنّ سائر الواجبات لن تبقى حيّة في المجتمع. اذن بقاء الدين وأحكامه متوقّف على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإن لم يتمّ العمل بهذين الواجبين فإنّ سائر الواجبات سوف تُترك.

اذن من أهمّ ميزات المتظاهرين بالعلم والتعبّد أنّهم لا يهتمّون بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا في الموارد التي لا تستتبع أيّ ضرر بالنسبة إليهم. ثمّ يستنتج ﷺ عاقبة هذا الوضع فيقول:

«هنالك يتمّ غضب الله عليهم فيعمّم بعقابه. ويهلك الأبرار في دار الفجّار. والصغار في دار الكبار».

إذا أتبع الناس مثل هؤلاء المتظاهرين بالعلم والعبادة فإنّ العقاب الإلهي سوف يعمّ الجميع. المستقيم والمنحرف. الأخضر واليابس، الصغار والكبار. يومئذ سوف ينزل بلاء عامٌّ لا يُستثنى منه أحد.

ويعود الامام ﷺ مرّة أخرى ليذكر بأهميّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول:

«إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء» فمن أراد أن يسلك سبيل الأنبياء فليعمل بهما. وأمّا من أهملهما فهو غير سالك سبيل الأنبياء. «و منهاج

الصالحين، فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض وتأمين المذاهب» أي بواسطتها تؤمن الطرق، «و تحلّ المكاسب» فإذا أحبّ الناس أن تصبح تجارتهم وكسبهم حلالاً فلا بدّ أن يبذلوا جهدهم في اقامة هذه الفريضة، وإلاّ شاع الربا تدريجياً، فإن لم ينه الناس عنه اختلط الحلال بالحرام وتعذّر عليهم التمييز بينهما. «و تُردّ المظالم» فان أضع شخص حقاً لشخص آخر فانّ انتشار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع يؤدي إلى عودة الحقّ إلى صاحبه. «و تعمر الأرض» فاذا اتسع نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فسوف يقف في وجه النفعيين ليمنعهم من تخريب البيئة الحيويّة من أجل الحصول على قدرة أكبر أو ربح أكثر. مثلاً أصحاب المصانع الذين لا يهتمون بالشؤون الصحيّة فيلوثون البيئة الحيويّة، لماذا يلاحظ فيهم هذا الأمر؟ لأنهم يبحثون عن ربح أكبر. اذن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُحال دون هذه الممارسات فتصبح الأرض عامرة والبيئة سليمة.

«و يتّصف من الأعداء»، أي اذا شاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمع بحيث شمل أصحاب القدرة فيه فانّ الأعداء لا يجروون على الاعتداء عليه. لا أن تقتصر هذه الحالة على شخص أو أفراد قلائل يقومون بهذا الواجب المقدّس بهدف إتمام الحجّة على الناس.

«و يستقيم الأمر» وهذا هو الاصلاح حيث تُرفع المفاصد.

فالامام عليه السلام يحذّر من انه في آخر الزمان سوف يتهاون الناس في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا في الحالات التي لا ضرر فيها عليهم، اذا حدث هذا فليحذروا من عذاب الله النازل عليهم حيث يحرق الأخضر واليابس ويطال الصغير والكبير. ثم يوصي الامام الباقر عليه السلام أتباعه بالاستماع إلى نصائحه حتّى لا يبتلوا بتلك النتائج المرّة.



واجب المسلمين إزاء المنكرات:

«فأنكروا بقلوبكم» هذه هي الخطوة الاولى في القيام بهذا الواجب، فاذا لاحظتم حدوث منكر في المجتمع فلا بدّ من الشعور بالاشمئزاز والنفور منه في القلب. اذا وجدتم معصية تُرتكب في المجتمع فلا تقولوا: صحيح أنها معصيته ولكنها شيء بسيط وأمر هين. نعم أنهم يقيمون مراكز ثقافية اليوم ولكن الأطفال يتسلّون بها! ويتعلّمون شيئاً من الرقص! وشيئاً من الألحان اللطيفة! لأنّه في هذا العصر لا يمكن تربية الأطفال من دون اللجوء الى «الفن»! وما شابه ذلك من تبريرات.

كلاً، إنّ هذه المواقف الانهزامية لا تعالج الانحراف، بل لا بدّ من التصدي للانحراف، وأوّل خطوة في هذا المجال هي الشعور بالغضب من الذنب في أعماق القلب. ومن لم يشعر في قلبه بالغضب على حدوث المعصية فإنّ هذه هي المرحلة الاولى من النفاق، أي أنّه غير راضٍ بتطبيق حكم الله ولهذا يفرج قلبه بحدوث المعصية.

لماذا تقوم امرأة بحركات موزونة - كما يقولون - لمدّة ساعة بالقرب من مصلى مدينة قم المقدّسة، المركز العالمي للإسلام ومدينة العلم والثورة؟ ألم يكن هناك رجل ليقوم بهذا العرض؟! ألم يكن هناك فنّ آخر؟ هل انحصر الأمر في أن تقوم امرأة بالرقص وأن يجلس المؤمنون يتفرّجون ولا ينطق أحد منهم حتّى بكلمة؟! ولعلّ البعض يقول في نفسه: نحن لم نشاهد هذا من قبل فهذه فرصة لتجربة ما لم نعرفه سابقاً!

أو ان يقف البعض في دور طويل على دور السينما التي تعرض أفلاماً لا ينبغي للمؤمنين أن يحضروها!

إذن أوّل فعل ينبغي القيام به اذا شاهدنا المعصية هو «الانكار بالقلب» اي أن نشعر بالألم والنفور في قلوبنا على حدوث الانحراف.

وفي المرحلة الثانية «و الفظوا بألسنتكم» أي قوموا بالاعتراض القولي. ولعلّ

القول اللين الذي يؤدي بحنان وشفقة هو الأفضل في البداية، ولكنه اذا لم ينفذ ذلك في الهداية وواجه المذنب الناصح بالامبالاة قائلاً: أنا حرّ فيما أفعل! وقلبي يميل الى هذا الفعل!

فلامجال حينئذ للطف والليونة، بل لا بدّ من موقف آخر حيث يقول الامام عليه السلام: «وصكّوا بهاجباهم» أي تكلموا معهم بقوة، صارحوا مرتكب المعصية قائلين: أنا أقصدك بالكلام، لماذا تفعل الذنب؟!

ومن الواضح انّ مثل هذا الموقف قد يستتبع خطورة على الأمر بالمعروف ولاسيما في ظلّ ثقافة التساهل والتسامح التي أشيعت في مجتمعنا خلال الفترة الأخيرة، تبدأ من الاتّهام للأمر بالمعروف بأنّه من أصحاب العنف! وبعيد عن التحضّر! ثمّ تمتدّ الى الايذاء والضرب وتنتهي بالقتل كما حدث في بعض المدن! وبعض الناس عندما يرى مثل هذه المواقف مع الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر المرخصين رسمياً للقيام بهذه المهمة من قبل الأجهزة القضائية فأنّه يستولي عليه الخوف من القيام بهذا الواجب الشرعيّ.

لكنّ الامام عليه السلام يقول اذا واجهتم اللوم على اعتراضكم واتهمكم بالعنف حتّى من قبل بعض أصدقاكم فليس أمامكم إلاّ الصمود على الموقف الحقّ «و لا تخافوا في الله لومة لائم» لتلاّ يأتي اليوم الذي ينزل فيه البلاء عليكم فيحرق الأخضر واليابس. اذن في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بدّ ان نلجأ في البداية الى الكلام اللطيف والموعظة الحسنة للطرف المقابل، فان لاحظنا انّ هذا اللون من التعامل لم ينفذ معه ولم يؤثر فيه اضطررنا الى الكلام العنيف والاسلوب الخشن وأن لانهاب أحداً حتّى لو عرّضنا أنفسنا للخطر. فان وجدنا انّ هذا أيضاً لم ينفذ فما العمل حينئذ؟ لو كان الأمر في البداية كما في أوائل وفاة النبي عليه السلام حيث كان الناس لا يزالون يحتفظون بقوة ايمانهم وثورتهم، فأنّه لو تمّ الوقوف في وجه الخطر لكان

الأمر سهلاً. ولكنه قد نظراً ظروف لا يكون الوضع فيها سهلاً وإنما يقف المذنبُ أمام الأمر بالمعروف بكلِّ وقاحة ويمطره بكلمات ملؤها التحدي والتهديد فما هو الموقف عندئذ؟

عندما يقوم المؤمن بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن ردَّ فعل الشخص المذنب إزاء ذلك لا يخلو من إحدى حالتين؛ فهو إما أن يتأثر بهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقلع عما فعل، وإما أن يظهر العناد ويتحدى الأمر بالمعروف ويوجه إليه كلمات مهينة وقد تتعدى الاهانة لتشمل المقدسات الدينية. فان تأثر بالأمر بالمعروف وأقلع عن عمله السيئ وعاد إلى الطريق المستقيم فلا حجة لنا عليه بل لا بدَّ من التلطّف معه والشفقة عليه: «فان اتّعظوا وإليّ الحقّ رجعوا فلا سبيل عليهم» لان المطلوب قد حصل، يقول الله تعالى:

«إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^(١)

واما اذا لم يتأثر بالأمر بالمعروف وأصرَّ على ظلمه وانحرفه فسوف يتغيّر التكليف الشرعي ويتعدى حدود الكلام واللوم والغضب «هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وابعضوهم بقلوبكم». ان هؤلاء الذين تمرّدوا على أحكام الاسلام علناً وتعدّوا على مقدّساته لا بدّ ان نشعر بالنفور منهم في أعماق قلوبنا ويجب علينا مقاومتهم والنضال ضدّهم. لا أن نقول انّ الاسلام دين المحبّة والرأفة! فاتركوا حبل هؤلاء على غاربهم يفعلون مايشاؤون.

نعم انه دين الرأفة والرحمة ولكن في محلّها وهو أيضاً دين يأمر بالعنف والخشونة حينما يقتضي الموقف ذلك.

«ابغضوهم بقلوبكم» وكونوا حذرين جداً فحينما تقررون النضال ضد هؤلاء الأشخاص فإنه يتعين عليكم ان تستبطنوا تياتكم وأن تتأكدوا من سلامتها، لأنّ الشيطان مترصد للمؤمن ولاسيما في مثل هذه الحالات. فالشيطان لا يتصدى لتارك الصلاة حتّى يرغبه في الرياء، لأنّ هذا الانسان لا صلاة له حتّى يراني فيها. اما اذا دخل المؤمن في الصلاة ولاسيما اذا كان في المسجد وأمام الناس فإنّ الشيطان يوسوس له حتّى يزيد في مدّ قوله تعالى «و لا الضالّين» ليشير اعجاب الناس بقراءته! وكذا الأمر بالنسبة لمن لا يشارك في حضور مجالس العزاء وأنما يذهب الى دور السينما والمسرح وغيرها فالشيطان لا غرض له معه حالياً لأنّه بنفسه سالك سبيل الباطل وسائر نحو جهنّم. اما اذا جاء الى مجلس العزاء فالشيطان يوسوس له بان يتظاهر بالبكاء حتّى يخيل للآخرين أنّه حزين ومخلص، وليعجب الناس به على أساس أنّه من أهل الولاية!

انّ الشيطان يتحرّك نحو الانسان حينما يكون سائراً في طريق الحقّ.

مادام الانسان غير منتسب الى أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنّ الشيطان لا غرض له في الوسوسة له لأنّه رفيقه فهو شيطان آخر. لكنّه عند ما ينوي القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنّ طريقه قد انفصل عن طريق الشيطان ولهذا يتّجه الشيطان للوسوسة له. كالشخص الذي يذهب للقتال في سبيل الله فالشيطان يوسوس له بان يمهد لنفسه حتّى يظفر بالقدرة فينال غداً منصباً. أنّه يحدّث نفسه: الى متى أنا باقي في النشاطات الجهاديّة! وحينما أعود الى الحياة الاجتماعيّة أجد الأفراد الذين لا أهليّة لهم قد احتلّوا المناصب المهمّة فأبقى دائماً الى الورا. مادامت القضية أداراً فليكن الدور في هذه المرّة لي. هناك الكثير من الناس قام بعمليات التهريب للسلع الممنوعة! وحصلوا على أرباح طائلة! فلأجرب هذا الطريق أيّاماً لعلّ وضعي المعاشي يتحسن!



اذن عندما نعقد العزم على النضال لا بد لنا من اخلاص النيّة وان لا نفكر بالحصول على القدرة، وان لا ننوي الحصول على الثروة والمنصب من خلال الجهاد، وكذا الأمر في الحصول على الشهرة عند الناس، وإلا فأتنا فقدنا أرواحنا ولم نكسب الثواب والأجر، لأننا قد قمنا بأعمالنا بدوافع نفسانيّة وشيطانيّة ولا ثواب لمثل هذا العمل.

والعبادة تصبح ذات قيمة اذا كانت خالصة لله تعالى، لذا قال ﷺ «وابغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً ولا مریدين بالظلم ظفرًا» فالظفر والنصر أمر مطلوب ولكنه اذا كان عن طريق صحيح ومشروع، لا أن يتم الحصول عليه من أيّ طريق كان.

وفي الأجواء السياسيّة لا مجال لمثل هذه التأمّلات، لأنّ الغاية تبرّر الوسيلة، والهدف هو أن ينتصر حزبنا وليكن ما يكون، المهمّ هو ان نتصر في الانتخابات وليحدث ما يحدث.

أمّا في الاسلام فعندنا يوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى حدّ المخاطرة بالروح فانه يوصينا أيضاً بالحدز من الشيطان حتّى نحمي أنفسنا من وسوسته، وحتّى لا تندفع للحصول على النصر وان كان من طريق غير مشروع. بل لا بد لنا في كلّ الأحوال من المحافظة على الأحكام الالهية وحدودها بدقّة وان نهتمّ كثيراً باخلاص النيّة حتّى نأمر بالمعروف من أجل الله تعالى.

وهنا نتساءل: ما هو الهدف من وراء الجهاد مع أفراد يعارضون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

يقول ﷺ قوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واذا انجبر الأمر الى القتال فجاهدوهم «حتّى يفيثوا الى أمر الله» أي حتّى يكفوا عن طاعة الشيطان ويعودوا الى أحكام الله «و يمضوا على طاعته». لا يطيعون خطط الشيطان الأكبر

ولا ينفذون مؤامراته، وإنما يتحرّكون على أساس طاعة الله تعالى ومرضاته.

عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وفي آخر هذه الرواية الشريفة يُتحفنا الامام الباقر عليه السلام بموعظة اخري حتى لا نتهاون في القيام بهذا الواجب المهمّ وليكون لنا دافعاً للنهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فينقل لنا عليه السلام قصة:

«قال ابو جعفر عليه السلام أوحى الله الى شعيب النبي عليه السلام: أتني لمعذب من قومك مائة الف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم. فقال: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟» انّ الاشرار مستحقون للعذاب، فلماذا تعذب الأخيار؟ «فأوحى الله عزّ وجلّ اليه: أنّهم داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي». ما هو معنى المداهنة؟ أنّها مأخوذة من مادة «الدهن»، فهناك - مثلاً - قطع في السيارة تُطلق بالدهن حتى لا يحدث بينها احتكاك. وكذا الأمر في العلاقات الاجتماعية، فلكي لا يحدث احتكاك بين الأفراد المتنازعة فإنهم يداهون أي يكفون عن نقد بعضهم البعض ولا يقول كلّ طرف إلا ما يرضي الطرف الآخر، ولا يهتمّ ان ترتكب الأطراف المختلفة الذنوب والمعاصي.

اذن ذنب الستين ألفاً الذين عرضهم الله سبحانه للعذاب هو أنّهم داهنوا أهل المعصية ولم يأمرهم بالمعروف ولم ينههم عن المنكر «ولم يغضبوا لغضبي»، فالغضب واجب أيضاً، واذ لم يغضب الانسان في بعض الموارد فإنّ الله سوف يعذبه. لماذا؟ أليس الاسلام دين المحبّة والرأفة والرحمة؟

أجل أنّه كذلك ولكنّه مع ذلك يقول: انّ الله يعذب ستين ألفاً لأنهم لم يغضبوا لغضب الله. ويُعلم من هذا أنّه لا بدّ ان تغضب في بعض الموارد، لا أن تتعامل دائماً بالمجاملات والابتسامات. ففي بعض الأحيان لا بدّ من العنف «صكّوا بها جباههم»

تكلموا معهم بقوة. واللين ليس دائماً هو الحل الأمثل.

وهناك رواية اخرى منقولة عن الامام الصادق عليه السلام تتحدث عن هذا الموضوع نفسه:

«عن ابي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أدنى الانكار أن يُلقي أهل

المعاصي بوجوه مكفهره»^(١).

اذا لم يستطع المؤمن القيام بأي عمل في مجال النهي عن المنكر فعلى أقل تقدير يستطيع ان يعبس في وجه المذنب، فهذا الواجب ليس ساقطاً عن أي أحد، إلا ان يستخدم الرأفة والتودد وسيلة لهداية المعاصي. فمع أنه يعلم بكونه قد عصى الله تعالى لكنه يأمل فيه الهداية والتوبة، ولهذا فهو يدعو إلى بيته ويتلطّف به، ولعلّه يقدّم له مساعدة مألّية. اذا كان الأمر بهذا الهدف فإن له حساباً خاصاً.

اذن لا بدّ من اللجوء إلى العنف في الكلام مع من يقدم على المعصية متجرّئاً ويقول بكلّ وقاحة: أنا حرّ أفعل ما أشاء، وهذا الأمر يتعلّق بي ولا علاقة لأيّ شخص آخر به!

وتوجد رواية اخرى عن الامام الصادق عليه السلام نختم بها هذا الفصل: «عن ابي عبدالله عليه السلام انّ الله عزّ وجلّ بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها، فلما انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله ويتضرّع، فقال أحد الملكين لصاحبه: أما ترى هذا الداعي؟ فقال قد رأيتُه ولكن امضي لما أمر به ربّي، فقال: لا، ولكن لا احدث شيئاً حتّى اراجع ربّي، فعاد إلى الله تبارك وتعالى فقال: يا رب انّني انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك ويتضرّع إليك، فقال: امض بما أمرتك به فإنّ ذا رجل لم يتمرّ وجهه غيظاً لي قطّ»^(٢).

١. تهذيب الاصول، ج ٦، ص ١٧٦، الباب ٢٢، الرواية ٥.

٢. اصول الكافي، ج ٥، ص ٥٨، الرواية ٨.

لقد أرسل الله هذين الملكين ليقلبا هذه المدينة على أهلها لأن أهلها مصرّون على معصية الله ومتجاهرون بالفسق، وليس هناك قرنية تشير إلى أنهم مستعدّون للتوبة. وعندما دخلا إلى المدينة ووجدوا ذلك العابد المتضرّع قال أحد الملكين: أنا لا أجرؤ على أن أعدّب هذا العابد، فلنرجع ولنسأل الله مرةً أخرى. فقال الملك الآخر علينا أن ننفذ أمر ربنا. فالملك الأول احتمل تغيير الأمر الإلهي، فلعل الأمر الإلهي قد صدر حينما لم يكن هذا العابد قد أظهر توبته بعد، فكان الأمر بانزال العذاب على هذه المدينة، أمّا بعد توبته فقد يكون الأمر الإلهي قد تغير فلا بدّ من الرجوع إلى الله وسؤاله من جديد. ولما عاد وسأل أجابه الله سبحانه بأنّ التكليف السابق باقٍ على حالته. ويبيّن الله تعالى السبب في ذلك فيقول: صحيح أنّ هذا الشخص يعبد ويدعو ولكنّه لم يغضب من أجل الله، فهو قد شاهد أهل هذه المدينة يذنبون ويعصون ولكنّه لم يتغيّر لون وجهه غضباً على المعصية، ومادام لم يغضب فإنه يضمّ إلى سائر الأفراد العاصين ليشملهم العذاب جميعاً.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (1)

- نموذج آخر لعاقبة ترك الأمر بالمعروف
- سعة معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- سعة معنى الجهاد

في الفصل الماضي طرحنا بعض الأسئلة التي تدور حول عاشوراء ونهضة الامام الحسين عليه السلام فقلنا؛ لما كان هدف هذه النهضة هو طلب الاصلاح في امة الرسول عليه السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهل الاسلوب الذي اتخذه سيد الشهداء عليه السلام - مما أدى به الى الظفر بالشهادة - هو مصداق للاصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أم لا؟ وهل ان الامام عليه السلام قد حصل على هدفه من هذه النهضة أم لا؟

حاولنا في الفصل الماضي ان نتعرف على مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال الآيات الكريمة والروايات الشريفة. ونقلنا بعض الروايات تيمناً وتبركاً وقدّمنا بعض التوضيحات لها بالمقدار الذي وفقنا الله اليه. وانطلاقاً من معرفتنا لمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآيات والروايات نحاول - بعون الله وتوفيقه - ان نطرح في هذا الفصل بحثاً تحليلياً فنياً لهذا الموضوع. ولعلّ فيه صعوبة بالنسبة لبعض القراء، ولكننا نعتد على الوعي العلمي المتنامي بين الناس بحيث أصبح الكثير منهم مؤهلاً لاستيعاب التحليل العلمي، ونحاول - مهما استطعنا - ان نقدّم للموضوع التوضيحات اللازمة، ونرجو من القراء الكرام ان يعذرونا اذا استخدمنا بعض الاصطلاحات العلمية.

نحن نعلم ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ذكر في الرسائل العملية بعنوان انه تكليف عام، ويذكر الخطباء والمبلفون والشارحون للأحكام ان لهذا الواجب شروطاً ومراتب. وبالنظر الى هذه الشروط والمراتب يطرح هذا السؤال وهو:

كيف يمكن عدّ ما قام به سيّد الشهداء عليه السلام من قبيل الأمر بالمعروف مع أنّه لا يتطابق مع الأمر بالمعروف الذي نعرفه؟ لقد ذُكر في الرسائل العمليّة أنّ الأمر بالمعروف إذا كان يؤدّي إلى الضّرر - وحتّى الخوف من الضّرر - فالتكليف ساقط. أمّا بالنسبة إلى سيّد الشهداء عليه السلام فمع أنّه كان متيقّناً من الضرر فقد أقدم على هذه النهضة، فكيف يمكننا ان نعدها أمراً بالمعروف؟

لكي بتعمّق أكثر في مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموارد استعماله في الروايات نصل إلى هذه النتيجة، وهي أنّ الأمر بالمعروف يعنى دفع الآخرين للقيام بالأعمال الحسنة، فإن كان القيام بذلك العمل الحسن واجباً فإنّ الأمر يصبح واجباً أيضاً، وإن كان العمل الحسن مستحبّاً فإنّ الأمر به مستحبّ أيضاً. فالأمر بالمعروف بعنوان انه «واجب شرعي» لا يكون إلّا في مجال «التكليف الواجبة»، ومعناه دفع الآخرين ليقوموا بتكليفهم الواجبة. وهذا الدفع له مراتب ودرجات. فإذا أردنا ان نحمل شخصاً على القيام بعمل معيّن فلا بدّ لنا من قطع هذه المراحل المختلفة لهذا الأمر.

وأول مورد قد يواجهنا في هذا المضمار هو موضوع الشباب الذين وصلوا حديثاً إلى سنّ البلوغ والتكليف. فنحن - مثلاً - نريد أن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر شخصاً قد وصل توّاً إلى سنّ التكليف، فنقوم بتعليمه الصلاة لأنّه لا يعرف كيف يصلّي بشكل صحيح. إنّ هذا يعتبر لوناً من الأمر بالمعروف، ويطلق عليه اسم «تعليم الجاهل».

أمّا إذا تعلّم الصلاة ولكنّه في بعض الأحيان يتكاسل فلا ينهض من النوم صباحاً إلّا متأخراً فيفوت بعض الصلوات ولا يؤدّيها في أوقاتها الشرعيّة فتصبح قضاءً عليه، ونحن نريد أن نرغبه ليؤدّي الصلاة في وقتها المحدّد فإنّ هذا لونا آخر من الأمر بالمعروف.



اذن فالأمر بالمعروف له مصداقان واضحان: أولهما يتعلّق بالشخص الذي لا علم له ويراد تعليمه، سواء أكان لا يعلم الحكم أم لا يعلم موضوعه، فهو لا يعلم أنّ الصلاة واجبة أم لا يعلم كيف يصلي. والتمثيل بالصلاة ليس دقيقاً لأنّ الجميع يعلم بوجودها، لكنّه توجد واجبات اخرى ليس الكلّ عالماً بوجودها، إذن تعليم المسائل والأحكام لون من ألوان الأمر بالمعروف.

إلا أنّ اصطلاح الأمر بالمعروف لا يشمل - بذاته - تعليم الجاهل، وإذا توسّعنا فيه بحيث يشمل تعليم الجاهل فإنّ ذلك اعتماداً على سعة ملاكته، بمعنى أنّ الملاك الذي أوجب الله تعالى الأمر بالمعروف على أساسه شامل للشخص الذي لا علم له ولا بدّ من تعليمه. ومن الواضح أنّ هذا ليس هو المفهوم الأصليّ للأمر بالمعروف.

ومن ناحية اخرى نلاحظ - مثلاً - وجود شخص يعلم بوجود الصلاة وهو مطلع على مسائلها وكيفية ادائها، وهو يعيش في جوّ اجتماعي ينظر الى الصلاة بعنوان كونها قيمة اجتماعية رفيعة ويعدّ تركها ذنباً عظيماً وأمرأ مضافاً للقيم، ولهذا اذا وصف شخص بأنّه تارك للصلاة فإنّه يُعتبر هجاءً جارحاً وشتماً لا ذمّاً. أتذكر في طفولتي أنّ الجوّ الاجتماعيّ كان بهذا الشكل، فاذا قيل لشخص أنّه تارك للصلاة فإنّه يطأطئ برأسه ويخجل من أنّه كيف عرف الناس ذلك، ويعتذر بأنّه قد نسي أو كان له عذر في ذلك. والحاصل أنّ القول يؤثّر فيه ويعتبر نصيحة له وموعظة، وهو أيضاً يتعظّ به. وقد ورد في بعض الروايات: «أما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظّ أو جاهل فيتعلّم».^(١)

ولكنّه أحياناً تغدو الظروف بشكل آخر، فلا يكون الجوّ الثقافيّ السائد في المجتمع اسلامياً، فالشيء الواجب الذي نريد الأمر به لا يُعتبر قيمة أصلاً ولا يُعدّ

تركه شيئاً مضاداً للقيم. فالجوّ السائد هو بحيث اذا قيل لشخص لماذا تقوم بهذا الفعل فإنه يجيبك فوراً: أنا لا أحب ذلك! وما علاقتك بما أفعل وما لا أفعل! وهل أنت متطّقل!

وإذا قلت له: إنّ هذا مخالف للشريعة الاسلامية، وقد جاءت الثورة الاسلامية لكي تُنفذ أحكام الشريعة، وقد قدّم الناس مئات الآلاف من الشهداء من أجل ان تُطبق أحكام الاسلام، فإنه يجيبك: كان بإمكانهم ان لا يقدموا الشهداء! وأنا لأحب أن اقوم بهذا الفعل! وإذا قمت بالاصرار عليه قليلاً فإنه يهاجم الاسلام بشكل صريح ويسخر من اطروحة الجمهورية الاسلامية! فالجوّ الثقافي السائد لا ينظر الى التظاهر بمخالفة الاسلام بما أنه أمر قبيح، فالبعض - على الأقل - لا يستحي من أن يتجاهر بمخالفة الاسلام، ويوجد ما هو أشد من هذا ولكني لا أحب تفصيل ذلك.

على أي حال في مثل هذا الموقف ماذا يجب علينا أن نفعل؟

لقد كان الجوّ السائد في المجتمع في عصر سيّد الشهداء عليه السلام يشبه الجوّ الذي شرحناه آنفاً، حيث كانت الأحكام اليقينية للاسلام متروكةً والحدود الالهية معطّلة والشخص المرشّح للخلافة مشهوراً بشرب الخمر، حيث كان معاوية يخطّط ويمهد الطريق ليُمسي يزيد ابنه خليفة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهذا يعني أنه سوف يصبح الشخصية التي تأتي بعد النبي صلى الله عليه وآله في المجتمع الاسلامي، وهو من يعرف الناس أنه شارب للخمر، ولم يكن قد ارتكب هذه المعصية مرّة أو مرتين فحسب وإنما كان مدمناً على شرب الخمر. ولم يكن هذا الموضوع مخفياً عن الناس بل كان علنياً. وسائر الأحكام الاسلامية ما كان حالها أحسن من هذا، حيث كان التشكيك يتم فيها واحداً بعد الآخر ثم يتم انكارها وطردها بعيداً عن الحياة الاجتماعية. مثلاً سفك دماء المسلمين كان سهلاً، فكل من يخالف الحكم القائم فإنه يُقتل ببساطة، وكذا كثير من ألوان الفساد التي كانت رائجة في ذلك المجتمع. فلو أن سيّد

الشهداء عليهم السلام جاء إلى الناس - في ظلّ هذه الظروف - وقال لهم: أدوا الخمس والزكاة واحترموا الحدود الإلهية ولا تشربوا الخمر، فما هي الفائدة المترتبة على هذه الموعظة للمعروف بشرب الخمر؟ فالناس قد بايعوا يزيداً وهم يعلمون أنّه شارب للخمر. ولم تقتصر المصيبة على شرب الخمر بل كانت هناك أمور أخرى في حالة النمو والانتشار في المجتمع الإسلامي كالعيب مع القروء والكلاب!

هكذا كان يزيد وهو يريد أن يصبح الشخصية التي تحلّ محلّ النبي الأكرم عليه السلام فتصبح أوامره مثل أوامر النبي عليه السلام واجبة الطاعة، وتسمي أحكامه كأحكام الله عزّ وجلّ. وهذا هو الذي دفع الامام الحسين عليه السلام ليقول:

«فعلني الاسلام السلام اذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد»^(١) لانه سوف لن يبقى من الاسلام شيء..

وصحيح أنّه في أواخر زمان معاوية لم يكن قد بقي من الاسلام سوى بعض الظواهر المحدودة ولكنه على كلّ حال لم يكن الأفراد يتظاهرون بالفسق بسهولة بحيث يرضى الناس بذلك.

أما إذا تقرّر أن يصح «شارب الخمر» نفسه «خليفة للمسلمين» فهل من المتصوّر ان يُجري هذا الخليفة الحدّ الشرعيّ على شارب الخمر؟

ففي مثل هذا الجوّ اذا أراد شخص أن يأمر بالسرف فماذا ينبغي له أن يفعل؟ هل يمكننا أن نقول انّ الأمر بالمعروف معطل في مثل هذه الظروف ولا يوجد تكليف اطلاقاً في مثل هذه الموارد؟

من الواضح انّ الفعل المحرّم اذا وقع في المجتمع فإنّ جميع الناس مسؤولون لانّ الأمر بالمعروف واجب كفايّي، فاذا رأى عشرة أشخاص معصية ترتكب فإنّ العشرة

مكلفون جميعاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فان قام به ما يكفي فانه يسقط عن البقية، وان لم يقم به أحد منهم فالعشرة بأجمعهم مقصرون ومسؤولون. معنى هذا انه اذا ارتكبت معصية من الكبائر في المجتمع بصورة علنية فان كل من يطلع على ذلك مكلف بالأمر بالمعروف، وان لم يفعلوا فالكُل يذهب الى جهنم. هذا هو القدر المتيقن من المسألة. ولا تنطرق الآن الى حكم الأمر بالمعروف فيما اذا كان ارتكاب المعصية يتم في السر والخفاء.

نموذج آخر لعاقبة ترك الأمر بالمعروف:

نقلنا فيما مضى نصّ الرواية القائلة انه كان هناك أربعون الف مذنب من قوم شعيب عليه السلام لكن الله سبحانه قد أنزل العذاب على مائة ألف منهم، وقد اعتُبر عذاب الستين ألفاً منهم بسبب تركهم الأمر بالمعروف. ونظير هذا قد حدث لأقوام آخرين أيضاً، ومن جملتهم أصحاب السبت، ففي شريعة موسى عليه السلام كان الصيد محرماً في يوم السبت بالاضافة الى تكاليف صعبة اخرى، وحتى في عصرنا هذا يمتنع اليهود الملتزمون بدينهم عن الصيد في يوم السبت ولا يذبحون ولا يطبخون فيه. وقد امتحنهم الله سبحانه كما ينقل لنا القرآن الكريم:

«إِذْ تَأْتِيهِمْ جِبَانَتُهُمْ يَوْمَ سَبَقْتَهُمْ شُرْعاً وَ يَوْمَ لَا يُسَبِّتُونَ لِتَأْتِيهِمْ»^(١) وكانت مجموعة من اليهود تعيش قرب سواحل البحر أو النهر. وكانوا يشاهدون الأسماك تأتي الى الساحل في يوم السبت بحيث يسهل صيدها، بينما لم يكن الأمر بهذه الصورة في الأيام الاخرى. ومن جهة ثانية فقد حُرّم الصيد عليهم في يوم السبت. وبالتالي لم يستطع البعض الصبر على هذا الوضع، فلجأوا الى حيلة تصوّروا انها

تتقدمهم من حرج الموقف، فقاموا بحفر أحواض قرب الساحل، وفي يوم السبت يتركون السبل مفتوحة إلى هذه الأحواض فيدخل إليها الماء والأسماك ثم يغلّقون هذه السبل حتى لا تخرج الأسماك من الأحواض. فإذا حلّ يوم الأحد جاءوا إلى الأحواض واصطادوا الأسماك.

وقد عاقبهم الله تعالى على هذا الفعل فمسخهم، ولو لم يذكر القرآن الكريم وقوع هذا الأمر بصراحة كان الكثير قد يتردد في الاعتقاد به عن طريق الروايات. لكن قال الله تعالى:

«فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ»^(١).

حيث مسخهم الله إلى قردة. ولم يبق هؤلاء جميعاً بالصيد في يوم السبت مخالفين النهي الإلهي، فمجموعة من الذين ما كانوا يصطادون قد نزل بهم العذاب ومُسَخُوا أَيْضاً.

إن هؤلاء كانوا ثلاث فئات: الفئة الأولى هي التي كانت تقوم بالصيد في يوم السبت. الفئة الثانية ما كانت تصيد ولكنها أيضاً لم تنه الفئة الأولى عن فعلها. الفئة الثالثة لم تكتف بأنها ما كانت تصيد، وإنما كانت تنهى الآخرين عن الصيد في اليوم المخطور بعنوان أنه ارتكاب للذنوب.

والفئة الثانية التي ما كانت تصيد ولا تعترض أيضاً على الفئة الأولى كانت تقول للآمرين بالمعروف: ما الفائدة من نهيكم هؤلاء عن الصيد؟ أي لا تقوموا بالأمر بالمعروف لأنه لا تأثير له، اتركوهم لحالهم، يقول الله تعالى:

«وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ»^(٢).

٢. سورة الأعراف، الآية ١٦٤.

١. سورة الأعراف، الآية ١٦٦.

مجموعة منهم تعرض على الواعظين بأنه ما الفائدة من موعظتكم هذه؟ فيجيب الواعظون: أننا نقوم بالوعظ لأمرين: الأول ان يكون لنا عذر عند الله تعالى. الثاني لسنا على يقين من أن موعظتنا لا تؤثر فيهم فلعل بين هؤلاء من يتأثر بها. وخالصة القول ان من بين هذه الفئات الثلاث فئة ناجية وهي التي قامت بالنهاي عن المنكر وان لم يؤثر هذا النهي كثيراً في المذنبين، وأما الفئتان الاخريان فقد ابتليتا بالعذاب ومُسختا الى قردة خاسئين^(١).

سعة معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ان الله تعالى يضيفي قيمة كبيرة على هذه المسؤولية الاجتماعية. وقد نقلنا فيما سبق بعض الروايات الشريفة التي تتحدث عن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقوله ﷺ: «فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض»^(٢)، وقوله ﷺ: «أتمّ الفرائض وأشرفها وأفضلها»^(٣).

وعلى كل حال فالسؤال المهم هو اذا لم يكن الأمر بالمعروف مؤثراً في أحد الموارد فهل يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جارياً في هذا المورد أيضاً أم لا؟

وأسوء الحالات هي الحالة التي لا يقتصر فيها الوضع على عدم قبول الأمر بالمعروف وإنما يعادون الأمر بالمعروف ويؤذونه ويضربونه بل وحتى أنهم يقتلونه، يقول الله تعالى:

«يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ»^(٤)

١. بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٤٩، الباب ٤، الرواية ٣٤.

٢. اصول الكافي، ج ٥، ص ٥٥، الرواية ١، تهذيب الاصول، ج ٦، ص ١٨١، الرواية ٢١.

٣. نفس المصدر السابق.

٤. سورة آل عمران، الآية ٢١.

والسؤال هو: ماذا يجب علينا أن نعمل مع أناس يقتلون الأمرين بالمعروف؟
لقد نقلنا فيما مضى رواية شريفة تبين واجب المؤمنين في مثل هذه الحالات
حيث يقول عليه السلام:

«هنالك فجاهدوهم بأبدانكم... حتّى يفيئوا إلى أمر الله»^(١)

و بهذا يُعلم سعة نطاق الأمر بالمعروف بحيث يشمل - من ناحية - تعليم الجاهل
أيضاً، فمن أراد تعليم أولاده الصلاة فإنّ هذا يدخل تحت عنوان تعليم الجاهل في
نطاق الأمر بالمعروف، وان لم يُطلق عليه ذلك بحسب الاصطلاح، ولكنّه وارد في
الروايات أنّ هذا لون من ألوان الأمر بالمعروف، فالموعظة والنصيحة بالكلام اللين
تُعتبر من المصاديق الواضحة للأمر بالمعروف حسب استعمال الآيات الكريمة
والروايات الشريفة. وان كان بعض الفقهاء يرى أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر لا بدّ أن يكون «عن علو أو استعلاء»، فهو يأمر ولا يرجو ولا يتوسّل، لأنّه
بهذه الطريقة سوف يخرج عن مجال الأمر بالمعروف.

ومن ناحية اخرى يتسع نطاق الأمر بالمعروف ليمسي الجهاد أيضاً من مصاديق
الأمر بالمعروف.

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال هو ان كثيراً من كتب الحديث عندنا لم يكن
فيها كتاب مستقلّ باسم الأمر بالمعروف وأنما كان فيها كتاب الجهاد ويُعقد في آخره
باب يُسمّى باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والنموذج البارز لهذه الكتب هو
كتاب تهذيب الاصول للمرحوم الشيخ الطوسي عليه السلام الذي نقلنا منه سابقاً بعض
الروايات. فكتاب تهذيب الاصول ليس فيه كتاب الأمر بالمعروف وأنما يوجد فيه
كتاب الجهاد وقد خُصّص في آخره باب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذا

١. اصول الكافي، ج ٥، ص ٥٥، الرواية ١١ تهذيب الاصول، ج ٦، ص ١٨١، الرواية ٢٦.

يعني انّ هناك استعمالين لمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحدهما اصطلاح خاصّ، وهو المستخدم في الرسائل العمليّة، وبهذا الاصطلاح لا يكون شاملاً للجهاد، لأنّه لا يوجد جهاد يخلو من خوف الضرر. الجهاد وحمل السلاح يتضمّن «يقتلون ويقتلون»، ولا معنى لان نقول لشخص جاهد عندما لا تخاف الضرر، ففي ساحة القتال لا تُوزّع الحلويّات! بل الجهاد لا يتحقّق إلاّ في حالة احتمال الضرر، بل في بعض الأحيان يكون اليقين بالضرر.

وبناءً على هذا فهناك لون من الأمر بالمعروف - الذي مصداقه الجهاد - لا يكون إلاّ في مجال احتمال الضرر بل الاطمئنان به بل اليقين به أحياناً، كاليقين بالقتل. وهناك مصداق آخر له أيضاً قد اختلف في اطلاق عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه، فهناك نقاش بين الفقهاء حول تعليم الجاهل هل أنّه جزء من الأمر بالمعروف أم هو من باب آخر؟

يقول بعض الفقهاء انّ الآية الكريمة:

«يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ»^(١)

تشمل تعليم الجاهل لأنّه دعوة إلى الخير. فالأمر بالمعروف يتعلّق بمن يعلم، أمّا من لا يعلم أصلاً فإنّ هدايته لا تسمّى أمراً بالمعروف.

فلأمر بالمعروف اصطلاح مشهور وهو المتعلّق بالامور العاديّة. حيث تكون القيم الاسلاميّة هي السائدة في المجتمع، وتكون الحكومة الاسلاميّة مقتدرة ومبسوطة اليد، واذا قيل لشخص لماذا ارتكبت هذا العمل القبيح فإنّ الخجل يستولي عليه بحيث يطرق برأسه ويطلب العذر، أو يقول بأنّي لم أفعله وأنتم مشتبهون في نسبة هذا الفعل إليّ. في مثل هذا المجتمع الاسلامي الذي يمرّ بهذه

الظروف يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأمر بالمعروف العادي،
وشروطه هي المذكورة في الرسائل العملية.

إلا أن هناك مراتب للأمر بالمعروف ليست بهذا الشكل. وقد أشرنا فيما مضى إلى
أن الإمام الخميني رحمته الله هو من أبرز من صرح بهذا المعنى في عصرنا قائلاً: إن التقية
غير جائزة في بعض مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو بلغ ما بلغ. أي
حتى لو أدى إلى قتل مئات الآلاف من الناس فإنه لا بد من القيام بالأمر بالمعروف.
وبناءً على هذا فإذا أخذنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه العام فإنه
يشمل تعليم الجاهل من ناحية، ويمتد إلى المراحل النهائية من الجهاد من ناحية
أخرى. لأن الجهاد يؤدي: «لتكون كلمة الله هي العليا»^(١). وهذان مفهومان
مختلفان.

فاذا قال سيّد الشهداء عليه السلام:

«أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»^(٢)

فإنه لا يقصد معناه الخاص والمحدود المتبادر إلى أذهاننا والذي من جملة شروطه
عدم احتمال الضرر، وإنما يقصد به معناه العام، ولهذا ورد في بعض كلام
المعصومين عليهم السلام:

«و من أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا»^(٣).

إذن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحان: أحدهما خاص وهو
المذكور في الرسائل العملية وله شروطه وأحكامه العادية. إلا أن هناك ظروفاً
استثنائية تتعلق بالأمور المهمة - كما يقول الإمام الخميني رحمته الله - وعندئذ تلغى تلك

١. بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٦٠٨، الباب ١٢، الرواية ٤٨٠.

٢. بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٦٠٨، الباب ١٢، الرواية ٤٨٠.

٣. نفس المصدر السابق.



الشروط عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فاذا سُئِلنا: أيّ لون من ألوان الأمر بالمعروف كان ذلك الذي خاطر به سيّد الشهداء عليه السلام وأقدم فيه على القتل؟ ولاسيّما بالنسبة لمن يؤمن بآته عليه السلام كان عالماً بالشهادة ونحن من جملة هؤلاء؟ وحتى لو فرضنا أنه لم يكن عالماً بذلك فعلى أقلّ تقدير أنه كان يحتمل الشهادة. وقد نصحه الكثيرون أن لا يذهب إلى العراق، وقالوا له: لقد رأيت في الماضي ماذا فعل أهل الكوفة بأبيك وأخيك! وإذا ذهبت إليهم فسوف تُقتل.

ونصحه أخوه وأبناء عمومته فأجابهم الامام عليه السلام بالدعاء لهم بالخير على نصيحتهم، وأكد لهم أنّ عليه واجباً شرعياً لا بدّ له من العمل به. فهؤلاء كانوا يحتملون القتل، فهل من المعقول أن لا يكون عليه السلام نفسه محتملاً للقتل؟ اذن ان لم يكن هناك علم بالضرر فعلى أقلّ تقدير كان لديه عليه السلام خوف من الضرر والقتل.

فاذا جاء السؤال: أيّ لون من ألوان الأمر بالمعروف هذا؟ كان الجواب: أنه لون من الأمر بالمعروف بمعناه العام وهو غير المعنى المتبادر اليوم إلى أذهاننا والمصطلح في رسائلنا العملية.

سعة معنى الجهاد:

و نظير هذا البحث يجري في موضوع الجهاد أيضاً. فأيّ معنى للجهاد نحن نفهمه الآن؟

إنّ الكتب الفقهيّة تقول: الجهاد ثلاثة أقسام: الجهاد الابتدائي، والجهاد الدفاعي، و جهاد البُغاة (قتال أهل البغي).

فالقسم الاول يتمّ بأمر من الامام المعصوم عليه السلام، وذلك لإزالة موانع الهداية من



طريق وليّ الله حتّى تتمكّن الحكومة الاسلاميّة من نشر الاسلام في مختلف أرجاء العالم، وليس الهدف منه اجبار الكفّار على ان يسلموا، وأنما لفتح أبواب الهداية أمامهم: «فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ»^(١)، هذا هو الجهاد الابتدائيّ. القسم الآخر من الجهاد هو فيما اذا تعرّض المسلمون الى هجوم فأنهم يتصدّون للدفاع عن أنفسهم.

والقسم الثالث من الجهاد هو فيما اذا نشب القتال بين فئتين مسلمتين في الظاهر ولم يكن الاصلاح بينهما فهنا لابدّ من الوقوف الى جانب المظلومين وقاتل أهل البغي، أو ان يأمر الحاكم الشرعيّ بقتال أهل البغي.

هذه الأقسام الثلاثة للجهاد يعلم بها الجميع.

وهنا نساءل عن قول ابي عبدالله عليه السلام أتّي نهضت اجاهد في سبيل الله «لتكون

كلمة الله هي العليا»^(٢)

تحت أيّ قسم من أقسام الجهاد الثلاثة يندرج ما قام به الامام عليه السلام في كربلاء؟

لم يكن من قبيل الجهاد الابتدائيّ مع الكفّار، ولا يندرج تحت عنوان الجهاد الدفاعيّ. لأنّ الجهاد الدفاعيّ يعني جهاد المسلمين دفاعاً عن أنفسهم في مقابل هجوم الكفّار. وهناك أيضاً دفاع شخصيّ عن النفس، ولا يطلق عليه اسم الجهاد. وليس هو أيضاً من قبيل قتال أهل البغي، لأنّه في قتال أهل البغي يقوم الحاكم الاسلاميّ بقتال المخلّين بالنظام والأمن الاجتماعيّ، كما حدث في حرب الجمل.

اذن أيّ لون من ألوان الجهاد هذا الذي يخرج فيه الانسان مع نسائه وأطفاله الى

كربلاء ويصمد في القتال حتّى يُقتل طفله الرضيع أيضاً؟

الجواب هو: انّ لـ «الجهاد» أيضاً اصطلاحاتٍ مختلفةً، فهناك معنى واسع للجهاد

- من جهة - بحيث يشمل الجهاد بالمال وانفاقه في سبيل نشر الاسلام والنضال ضدّ

الكفّار والحيلولة دون الهجوم الثقافيّ للأعداء كما في قوله تعالى:

«وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١)

فحسب هذا الاصطلاح يغدو انفاق المال لوناً من ألوان الجهاد، وهو يعتبر توسعاً في مفهوم الجهاد.

ومن الواضح أنّ المعنى اللغويّ للجهاد شامل لجميع هذه الموارد، لأنّ الجهاد يعني بذل الجهد. ومن يتأمل في معناه يعرف أنّ الجهاد يعني بذل الجهد في مقابل عدوّ أو مانع. ولم يؤخذ في معناه اللغويّ ان يكون حتماً من قبيل السيف، بل قد يكون المانع عدوّاً اقتصادياً أو ثقافياً، فالجهاد صادق في هذا المجال أيضاً.

إنّ الجهاد بالمال أو سائر النشاطات الاجتماعيّة الاخرى - بما يتناسب مع جهود العدو - هو جهاد أيضاً، يقول الله تعالى:

«فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً»^(٢)

والنوع الآخر منه هو الجهاد بالنفس، وهو يعني تعريض النفس للقتل في سبيل الله. والقسم الآخر منه هو جهاد النفس، وهو يعني جهاد الانسان ضدّ نفسه، ويُسمّى به «الجهاد الأكبر».

ولهذا فإنّ الشيخ الحرّ العامليّ رحمته الله صاحب كتاب وسائل الشيعة بعد أن طرح مسائل الجهاد في كتاب الجهاد قام بطرح موضوع جهاد النفس والمسائل الاخلاقيّة تبعاً لذلك.

اذن مفهوم الجهاد يتّسع - من ناحية - ليشمل الجهاد بالمال والجهاد بالكلمة والجهاد باللسان وبالقلم وحتىّ جهاد الانسان ضدّ نفسه، بل يُطلق على هذا اسم «الجهاد الأكبر»، ويُعتبر هذا توسعاً في مفهوم الجهاد.

أما الجهاد الذي تتناوله بالبحث كتب الأحكام الشرعية والرسائل العمليّة فأنّه لا يشمل العمل الذي قام به الامام الحسين عليه السلام، بل يشمل الأقسام الثلاثة التي ذكرناها فحسب.

كان هذان نموذجين لبيان أنّ المفاهيم قديكون لها أحياناً معنيان، معنى عام ومعنى خاصّ. فالمعنى الخاصّ هو مفهوم اصطلاحيّ معيّن في جوّ محدّد ومجتمع خاصّ. وأمّا المعنى العام فقد يكون هو نفس معناه اللغويّ أو أنّه قد اتّسع نتيجةً للتحوّلات الاجتماعية فأصبحت له مصاديق جديدة.

فان أخذنا بعين الاعتبار المعنى العامّ للجهاد - وهو بذل الجهد في سبيل الله ضدّ العدو - فإنّ كثيراً من موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدخل تحت عنوان الجهاد.

ومن ناحية اخرى إذا أخذنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه العام فإنّ جميع مصاديق الجهاد تقريباً - عدا جهاد النفس - سوف تدخل في نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لأنّ أحدهما يعني أمر الآخرين بانجاز الفعل الحسن، والآخر يعني الكفّ عن الفعل القبيح. ولهذا يتداخل هذان المفهومان. ويصف طلابّ الحوزة العلميّة مثل هذه المفاهيم بقولهم: «إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا»، أي إذا ذكرنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى جانب الجهاد، كما إذا قلنا إنّ فروع الدين عشرة... السادس هو الجهاد، والسابع هو الأمر بالمعروف، فمعنى ذلك أنّ الأمر بالمعروف هو غير الجهاد. فقد اختلف معنى هذين المفهومين لأنهما قد ذكرا معاً، وعندئذ لا يكون الجهاد شاملاً للأمر بالمعروف، ولا يكون الأمر بالمعروف شاملاً للجهاد. وأمّا إذا استعمل كلّ واحد منهما وحده فأنّه سوف يكون شاملاً للآخر، أي أنّ الأمر بالمعروف يشمل الجهاد، والجهاد أيضاً يشمل الأمر بالمعروف. وهذه القاعدة يمكن أن تنفعنا في كثير من الموارد، فإذا قال الامام الحسين عليه السلام

انّي خرجت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن قوله ﷺ لا يُحمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعنى المحدود المقيد بمجموعة من الشروط التي من جملتها أن لا يكون هناك خوف من الضرر، وإنما يُحمل على المعنى الأعم الذي ينسجم مع العلم بالخطر، وحتى أعلى درجات الخطر حيث يعرض الانسان نفسه للقتل. فحتى هذا المورد أيضاً يغدو مصداقاً لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. غاية الأمر أنه بالاصطلاح الأعم وهو غير اصطلاح المستخدم في الرسائل العمليّة والشائع بين الناس.

ونظير هذا يجري في موضوع الجهاد أيضاً.

ويؤكد الامام الخميني ﷺ في رسالته المخصصة لموضوع التقيّة على أنّ بعض مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحرم فيها التقيّة ولو بلغ الأمر ما بلغ، فالتقيّة في الامور المهمّة. ويضرب عدّة أمثلة للتوضيح، من جملتها: انّ العدو اذا حاول هدم الكعبة الشريفة، فهنا لا مجال للحديث عن الامتناع عن الأمر بالمعروف بسبب احتمال وجود الخطر، وإنما لا بدّ من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف في وجه العدو وان كان ذلك يؤدّي بالانسان الى القتل، فالمحافظة على الكعبة ليست مثل أيّ واجب عاديّ آخر. وكذا اذا تعرّض النبيّ او الامام للخطر - كما لو ألقى الأعداء القبض على النبيّ أو الامام ويريدون قتله - فهنا لا يحقّ للمؤمنين أن يقولوا نحن لا ننهي عن هذا المنكر لأننا نخاف الضرر، فليقتلوا النبيّ ولنسلم نحن! انّ من له أدنى معرفة بالأحكام الاسلاميّة يعلم أنّه يجب انقاذ النبيّ حتى لو قُتل آلاف الناس.

وبعد ذكر عدّة أمثلة اخرى يقول الامام الخميني ﷺ بشكل عام أنّه في أيّ مورد يتعرّض فيه كيان الاسلام وأساسه للخطر فالتقيّة حرام ويجب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ونكرّر عتابنا هنا لأصدقائنا من أصحاب التحقيق والاجتهاد حيث إنهم لم يتابعوا ما قام به الامام عليه السلام ولم يبينوا بدقّة مصاديق هذه الامور المهمّة وحدودها. فقد ذكر الامام عليه السلام عدّة أمثلة منها، ولا بدّ من البحث عن سائر الموارد وتوضيحها حسب الأوضاع الاجتماعيّة التي نمرّ بها اليوم. فقتل النبيّ أو الامام اليوم لا يتمّ فقط بذبحهما بالسيف، وأنما يقوم الأعداء المعاصرون بقتل نبوّته أو امامته أو ولايته. فهناك شخص يحظى باحترام الشخصيّات من الدرجة الاولى في الجمهوريّة الاسلاميّة يكتب رأيه صراحة فيقول:

«أنّه بموت النبيّ عليه السلام قد انتفت الولاية أيضاً»^(١)

فلا ولاية بعد موت النبيّ! ثمّ يدعى هذا القائل ليحاضر لطلاب الجامعة واساتذتها في ليلة العاشر من المحرمّ بعنوان انه خطيب اسلامي، وقد تكرّرت الدعوة له حتّى في هذا العام!^(٢)

أنّه نفس الشخص الذي يقول انّ الوحي أمر شخصيّ ونحن لا نستطيع ان نثبت في الواقع انّ شخصاً ما نبيّ أم لا!

وهو نفسه الذي يقول: انّ النبيّ يخطئ - مثل سائر الناس - حتّى في فهم الوحي! هل هذا أسوء أم قتل النبيّ عليه السلام؟

لو قتل النبيّ عليه السلام فإنّ هدفه سيترسخ أكثر، كما حدث عند قتل الامام الحسين عليه السلام فقد حفظ دمه هدفه.

أمّا اذا تمّ قتل النبوة فماذا سيبقى بعدئذ؟

ففي مقابل هذا الوضع الخطير هل يصحّ القول: أنّي اخاف أن أهان؟ أخاف أن

١. عبدالكريم سروش، تحت عنوان «بسط تجربة نبوي»، ص ٢٧ و ١٣٣.

٢. ليرجع من شاء الى صحيفة «عصر آزدگان» بتاريخ ١٣٧٩/١/٢٨ هـ ش، ص ٣؛ في تقرير عن محاضرة عبدالكريم سروش في مراسم العزاء التي أقامها «دفتر تحكيم وحدت».



أضرب؟ أخاف ان يُشكّل لي ملف في الدائرة الفلانيّة؟

هل تصلح هذه الذرائع ان تكون عذراً؟

وهل انّ المسؤولين الدينيين والحكوميين عندنا لا يعلمون بهذه الامور؟ ولا

يشعرون بالأخطار التي تتّجه من هؤلاء الأشخاص؟

أم أنّهم لا يعيرون أهميّة لهذه الامور؟

من الذي لا يعلم انّ الدين سالك طريق الضعف في مجتمعنا خلال هذه السنين

الأخيرة؟

يشهد الله أنّي عندما أذهب الى الدول الأجنبية فأنّي لا أملك جواباً للمسلمين

الذين يعيشون في انكلترا أو امريكا أو غيرها. يقولون لقد ذهبنا الى ايران في العام

الماضي وذهبنا اليها في هذا العام فلم نصدّق بأنّ ايران اليوم هي ايران العام الماضي!

هل يصدّق أحد بأنّ مستوى الدين في مجتمعنا باقٍ على ما كان عليه في العام

الماضي؟!

مَنْ هو السبب في هذا الانحطاط الديني؟

وما هي العلة في ذلك؟

لماذا أصبحت الأوضاع اليوم بهذا الشكل؟

اذا درست الأسباب لهذا الأمر فسوف تصلون الى فئتين من العوامل: الفئة الاولى

هي المطبوعات والنشريات والكتب المضلّلة، ومن الواضح انّ وزارة الارشاد هي

المسؤولة عنها.

والفئة الثانية هي الأعمال التي تتم في هذا البلد ممّا يذهب بقبح المعاصي ويزيد

في الوقاحة. ويتمّ ترغيب الناس في المعصية، وتُفتح أمامهم سبلها، وبذريعة أنّهم

يهتمّون بشؤون الشباب يعطونهم الضوء الاخضر للاقدام على الذنب. ليس فقط

الذنب السري الخفي، بل وحتىّ الذنب الذي يُرتكب علناً في الوسط الاجتماعي؟

وهناك عامل آخر وهو قنوات التلفزيون الأجنبية في المجالات التي يتيسر فيها استلامها كالمناطق الحدودية أو الذين يملكون - بصورة غير قانونية - أجهزه استلام البث من الأقمار الصناعية، أو أفلام الفيديو الاباحية التي تدخل البلد بصورة غير مشروعة، وقد يكون بعضها باجازه من وزارة الارشاد!

وقد يتحمل بعض الوزر أشخاص في وزارات اخرى، ولكن المسؤولية الضخمة تقع على عاتق وزارة الارشاد، مثل تشكيل دور للثقافة يتم فيها تعليم الذنوب أو الترغيب فيها. وكذلك نشر مسرحيات مضادة للاسلام مائة بالمائة كما يقول قائد الثورة الاسلامية حفظه الله. وامور اخرى من هذا القبيل.

من المسؤول عن هذه الأعمال؟

ان بعض الناس يقول لنا: اذا كنتم تعدون هذه الحكومة حكومة اسلامية فلماذا تخالفون وزيراً من وزرائها؟

انها حقاً مغالطة عجيبة! لان كون النظام اسلامياً هو بالقيادة. ولهذا السبب تهاجم بعض الصحف والمجلات مقام ولاية الفقيه والحكومة الاسلامية القائمة على أساس ولاية الفقيه بل وشخص القائد الكريم، وهي تتقدم في هذا المجال يوماً بعد يوم بصورة أكثر وقاحة. لماذا؟ لان هؤلاء لا يريدون الاسلام. وقد قالوها بصراحة في مؤتمر برلين حيث أعلنوا فيه ان الاسلام لا يستطيع أن يكتف نفسه مع الديمقراطية المعاصرة، وهذه هي مشكلة الاسلام، وان مجلس الشورى السادس سوف يضع حلاً لهذه المعضلة⁽¹⁾. ولم يتعرض لهم أحدا!

مثل هؤلاء الوزراء ومساعدتهم ومشاورهم هل يمكننا ان نعدّهم واجبي الطاعة؟ ألا اذا كانت طاعة الشيطان واجبة!

1. صحيفة «كبهان»، بتاريخ 23 و 24 و 25/1/1379 هـ ش؛ ضمن تقارير متعلقة بمؤتمر برلين.

والكل يعلم أنه «لاطاعة لمخلوق في معصيته الخالق»^(١)، فهل من المعقول أن يجيز الله تعالى الطاعة لمن يدعو إلى المعصية وإلى طريق الشيطان؟ إن هؤلاء يؤيدون شيوع المعاصي ويمهدون السبل لها، ويعطون التسهيلات لمن يرتكبون المعاصي ويقدمون لهم الجوائز ويفرشون الموائد الضخمة للذين كرسوا جهودهم خلال عشرين عاماً ضد النظام الإسلامي.

وقد واجه الامام الحسين عليه السلام أيضاً اناساً يتحدثون عن الاسلام ويعتبرون أنفسهم خلفاء النبي صلى الله عليه وآله ولم يكونوا منكرين للاسلام في الظاهر. لو لم يكن قائد الثورة الاسلامية على رأس هذا النظام فإن هذه الحكومة لن تكون اسلامية. ونحن نحترم اولئك المسؤولين في هذا النظام ممن يحظون بتأييد القائد الكريم. وقد تكرر ذكر هذا الموضوع في كلام الامام الخميني رحمته الله وفي وصيته، حيث أكد على أن النظام اذا لم يكن قائماً على أساس إذن الولي الفقيه أو تنصيب الولي الفقيه فإنه طاغوت^(٢)، وقد صرح رحمته الله بأن رئيس الجمهورية اذا لم يتم تنصيبه من قبل الولي الفقيه فهو طاغوت. لماذا يقوم هؤلاء بالتشكيك بالأفكار الأصلية في المجتمع؟

لكي يهدموا ويمحوا هذه المواضيع.

لماذا يكثر هؤلاء من الحديث عن الشعبية والديمقراطية؟

من أجل أنه اذا قال أكثر الناس في المستقبل أننا لا نريد الاسلام فإنهم يقولون إن كلام الناس هو المعيار وليس كلام الامام عليه السلام. وبالتالي لماذا قال هؤلاء في مؤتمر برلين: إن الخميني قد ذهب إلى متحف التاريخ؟!

إن المسؤولين الأمريكيين صرّحوا بأن الدورة السادسة من مجلس الشورى اذا استطاعت أن تحل مشكلة ولاية الفقيه فقد نجحت في تسهيل الامور علينا وسوف تحل مشكلتنا مع ايران. أنهم يعلقون الآمال الكبيرة على أن يأتي يوم تُزال فيه ولاية

٢. نقلاً من «صحيفة نور»، ج ٩، ص ٢٥٣.

١. نهج البلاغة، الكلمات القصار، ١٦٥.

الفقيه من النظام عن طريق الانتخابات، وهم الآن منهمكون في توفير المقدمات وإعداد الأرضية الثقافية لذلك.

لعنة الله على من يوقر لهم هذه الأرضية! أنهم يخونون دماء الامام الحسين عليه السلام ومئات الآلاف من الشهداء.

ما هي وسيلتهم في ذلك؟

هذه الصحف الكذائية التي تُدار وتُدعم بواسطة التموين الخارجي. قد يسأل

سائل: ما هو الهدف من وراء كلامي هذا؟

إن المشكلة الأساسية في كل مجتمع هي قلة الوعي. إذا استطاع هؤلاء أن يصلوا ويجولوا في هذه السنين الأخيرة فذلك بسبب أننا لم نكن عالمين بواجباتنا، فالبعض منا قد خُدع بمقولة التساهل والتسامح، وقد انخدع الناس بالذمّ الموجّه للعنف ووصفه بأنه مضاذّ للقيم، فقد خاف الناس من أن يُتهموا بالعنف حينما يتكلمون! وهناك فئة من الناس متديّنة ومستقيمة ولكنها كانت تخاف إذا تكلمت أن يكون كلامها ضدّ مصلحة النظام الاسلامي وخلاف ما يُرضي القائد. وهذه الفئة ليست قليلة. ولا بدّ أن نكون مصغين لما يقوله القائد المحنك، ولكنه يجب علينا أن نكون على أهبة الاستعداد الكامل حتّى إذا صدر - في يوم ما - الأمر بالجهاد والنضال فإننا سوف نصمد ونقاوم الى آخر قطرة من دمائنا. إن توفير هذا الاستعداد لا يكون في «لحظة»، فاذا صدر الأمر فإنه لا يمكن الاستعداد سريعاً بل لا بدّ من توفير الاستعداد الروحي في الانسان قبل ذلك بعشرات السنين.

فالامام الخميني عليه السلام عانى الأمرين خلال خمسة عشر عاماً حتّى اعدّ الأرضية الثقافية للثورة الاسلامية. لقد دخل السجن ونُفي من الوطن واستشهد ابنه الأكبر في هذا السبيل في ظروف غامضة مشبوهة وتحمل المشاكل الضخمة خلال سنين طويلة حتّى توفّرت الأرضية الاجتماعية لهذه الحركة العظيمة. ولو كانت هذه

الأرضية متوقفة منذ البداية فان الثورة لم تكن لتتأخر خمسة عشر عاماً. اذن قام الامام عليه السلام بتوفير هذه الأرضية خلال خمسة عشر عاماً ثم سقى هذه الشجرة بالدماء الطاهرة للشهداء خلال عشرة أعوام. واليوم يحاول الأعداء ان ينتزعوا منا بسهولة ثمرة هذه الجهود المباركة. بأي شيء؟ بأعداء واهية من قبيل أننا نخاف أن نفعل شيئاً ويكون عنفاً! أو خلاف التساهل والتسامح! بمثل هذا السحر يريدون ان يلتقموا ويبتلعوا ثمرة نشاط وجهود كل الأنبياء والأولياء ودماء سيد الشهداء عليه السلام وآلاف الشهداء الأوفياء وكذا مجالس العزاء خلال ألف وثلاثمائة عام التي انتجت هذه الثورة الاسلامية المباركة.

أنهم يريدون ان يقتلعوا هذه الشجرة ويتلفوا هذه الثمرة بسحر التساهل والتسامح! من أين جاء هذا المفهوم؟ ومن أين نزل هذا الواجب الذي يقضي على كل أحكام الشريعة المقدسة وينسخ جميع احكام الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أنه أمر صادر من العالم الغربي يفرض علينا التساهل والتسامح! لابد لنا من الحذر الشديد، وأن لا نتصور أنها مسألة تخوض فيها الصحف، حيث يكتب أحدهم شيئاً والآخر يجيبه أو يمتنع عن جوابه.

لاحظوا آثار هذا الموضوع في المجتمع! انظروا كيف يدفعون كثيراً من الشباب الى الانحراف بواسطة هذه الأعمال! أنها آثار هذه الجهود الحثيثة. أنها السياسة الثقافية الخبيثة التي تنتج مثل هذه الثمرات المرّة. لو كنا قد وقفنا ضد هذه النشاطات منذ البداية لما ابتلينا بهذا الفساد، والآن أيضاً ليس الوقت متأخراً للقيام بما يحجمها. ليعلم الناس ان العدو يتآمر ويخطط ويحاول بطرح بعض الأقوال والشعارات أن يقضي على جهود المذهب الشيعي خلال ألف وأربعمائة عام! أنهم يقولون صراحة أنه بموت النبي عليه السلام فقد ذهب الولاية أيضاً! ويقولون بأنه لا يوجد يقين بنبوّة النبي عليه السلام! ويقولون بان وجود الله أساساً ليس قابلاً للاثبات العقلي!



قالوا كل هذا وغيره ولم يفهم الكثير منا لأي شيء يخطط هؤلاء.

إنهم بهذه الأقوال وبهذا السحر يحاولون أن يقضوا على دين وإيمان الشباب الذين يمرّون بمرحلة الثانوية أو الجامعة وليسوا مزوّدين بالمعارف الإسلامية كما ينبغي ولم تستقو بعد بنيتهم الإيمانية كما يجب!

لقد نبّه قائد الثورة الإسلامية على أنّ الأعداء قد وجّهوا سهامهم إلى دين الناس وإيمانهم. وقد حدّر الناس كثيراً من الهجوم الثقافي والغارات الثقافية! وقد تساءل: ماذا فعل المسؤولون الثقافيون في مواجهة هذا الهجوم؟

وبدوري احذّر المسؤولين في البلد وأنصحهم بأنّ السبيل الذي انتهجتموه ليس في مصلحتكم. فالناس قد أثبتوا - مرّات عديدة - بأنهم إذا عرفوا أنّ دينهم يواجه خطراً فلن تكون للأرواح قيمة عندهم. ويحاول المسؤولون المعتمدون بالله تعالى والنبّي ﷺ أن يبعثوا هؤلاء الشياطين عنهم وأن يطردوهم من الأجهزة الحكومية ولاسيما الأجهزة صاحبة القرار الأساسي. وليهتموا بنصائح الامام ﷺ وليجعلوها نصب أعينهم. وان لم يفعلوا ذلك فلا يستبعدوا أن يأتي يوم يتّجه فيه نفس تكليف سيد الشهداء ﷺ إلى نائب الامام المعصوم ﷺ وينهض الآلاف لنصرته ممّن ينتظرون الشهادة وممّن يزورون الامام الحسين ﷺ كلّ يوم ويخاطبونه:

«ياليتني كنت معكم فأفوز معكم».(١)

ليحذر هؤلاء من ذلك اليوم وليصحّحوا أخطاءهم وليتوبوا إلى الله تعالى ان كانوا قد ارتكبوا ذنباً وليعتذروا لسيد الشهداء ﷺ وللأمة الإسلامية.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢)

- مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعنى العام

تعليم الجاهل

تذكرة وموعظة

التصدي الاجتماعي للمؤامرات

المواجهة للهجوم الثقافي

الجهاد والحرص على الشهادة من أجل إيقاظ المجتمع

نواصل حديثنا في هذا الفصل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد ذكرنا أنه يعتبر واحداً من أهداف نهضة سيّد الشهداء عليه السلام. ثمّ تساءلنا عمّا قام به الامام الحسين عليه السلام في هذه النهضة لماذا لا يتطابق مع الموازين التي نعرفها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبعبارة اخرى: ما هو نوع هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا نعرف له مثيلاً في التاريخ ولا نعرف أحكامه؟

تحدّثنا فيما مضى - كمقدّمة للبحث - عن بعض المفاهيم التي تستعمل في بعض الأحيان بمعناها العامّ وفي أحيان اخرى بمعناها الخاصّ.

وعلى هذا الأساس وبالالتفات الى موارد استعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم والروايات الشريفة انتهينا الى هذه النتيجة وهي انّ للأمر بالمعروف أيضاً اصطلاحين ومعنيين، أحدهما خاص والآخر عام. فالمعنى الخاصّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو نفس المعنى المصطلح والمستخدم في الرسائل العمليّة، وقد ذُكرت له هناك شروط معيّنة، ومن جملة شروط العمل بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أن لا يكون فيه خوف الضرر.

لكنّه يوجد أيضاً معنى أوسع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث يشمل أحكاماً وعناوين اخرى، وحتّى أنّه في بعض الموارد يشمل الجهاد أيضاً.

وقد ذكرنا بعض الأمثلة التي تعكس الاستعمال الواسع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ونحاول - بعون الله - في هذا الفصل أن نبوّب هذه المواضيع وأن نذكر الأحكام المتعلقة بكل قسم بالمقدار الميسور لنا.

مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعنى العام:

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه العام يعني بذل الانسان أيّ جهد يهدف التأثير على انسان آخر بحيث يحمله على القيام بالعمل الواجب أو يكفّه عن العمل المحرّم. وقد يتحقّق بذل هذا الجهد بطرق مختلفة مثل تعليم حكم العمل المقصود أو موضوعه، بمعنى ان يتمّ تعليمه بأنّ الأمر الكذائي واجب في الاسلام أو تعليمه كيفة القيام بذلك الواجب. ولعلّ «التعليم» هو أهمّ مصادق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه العام. ومن جهة اخرى فإنّ مثل نهضة سيّد الشهداء عليه السلام التي انتهت باستشهاده تعتبر أيضاً من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه العام. والحاصل أنّه من ناحية المصاديق يمكن الأخذ بعين الاعتبار ثلاث فئات من المصاديق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تعليم الجاهل:

إنّ أوّل مصادق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من قبيل التعليم. فقد نواجه انسانا لم يكن باستطاعته في السابق ان يتعلّم أحكام الاسلام لأسباب مختلفة، مثل كونه قد وصل الى سنّ البلوغ والتكليف حديثاً، أو أنّ ظروفه والبيئة التي كان يعيش فيها غير مؤهّلة لذلك، كما لو كان يعيش في منطقة بعيدة عن مركز الاسلام أو كانت تحت سلطة الكفّار. ويصطلح على هذا الفرد بأنّه جاهل قاصر بالنسبة الى أحكام الاسلام، اي أنّه لم يرتكب تقصيراً في مجال عدم علمه بالحكم أو كيفة تنفيذه. فهو لم تتوفّر له ظروف تعلّم أحكام الاسلام ولم يتهاون في هذا المضمار. إنّ تعليم

احكام الاسلام بالنسبة لأمثال هذا الفرد أمر واجب.

لكنّ تعليم مثل هؤلاء على من هو واجب؟ وكم هي ألوان هذا التعليم؟ وهل يتعيّن ان يكون هذا التعليم فردياً أم اجتماعياً؟ بصورة رسميّة أم غير رسميّة؟... هذه وغيرها أسئلة حسّاسة ولكنّ الجواب عليها يستدعي اتّساع البحث وهو لا يتناسب مع هذا الكتاب.

وعلى الاجمال فإنّ هذا الموضوع يُعتبر من المسلّمات وهو انّ تعليم الجاهل القاصر واجب. ولا بدّ ان يتمّ هذا التعليم بحنان ولين، لأنّ المتعلّم لم يكن مقصراً في جهله. ويتعيّن البحث عن أفضل الأساليب التعليميّة واستخدامها بما يتناسب مع عمر المتعلّم وظروف حياته ودرجة استعداده وفهمه حتّى يتعلّم بصورة أحسن وأسرع. فمثلاً بالنسبة للشباب الذي وصل تواء إلى سنّ البلوغ لا يصحّ استخدام نفس الاسلوب التعليمي الذي يستخدم عادةً لكبار السنّ. وهكذا فان اسلوب التعليم يختلف بحسب درجات استعداد الأفراد ومستواهم العلميّ.

هذا هو قسم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا ينبغي لأحد أن يُشكل علينا بأننا لم نسمع من قبل بمثل هذا الأمر بالمعروف، لأنّ المفروض أنّنا بصدد دراسة مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه العامّ، وهو شامل لتعليم الجاهل أيضاً.

القسم الآخر هو أن يكون الجاهل مقصراً، بمعنى أنّه كان يتمتّع بالقدرة على التعلّم ولكنّه تكاسل وأهمل في هذا المجال. وفي هذه الصورة اذا طالب الجاهل المقصّر بالتعليم فأنّه يجب تعليمه. أمّا اذا لم يطلب ذلك ونحن نعلم انّ هذا الجاهل المقصّر لا يعلم واجبه ولا يعلم أنّه قد قصّر في التعلّم فهنا يجب تعليمه ويجب أيضاً اللجوء إلى اسلوب في تعليمه بحيث ينجذب إلى هذا التعليم.

ف«الجاهل القاصر» يتمتّع - بذاته - بدافع للتعلّم إلا ان ظروف التعلّم لم تيسّر له

ولهذا لم يستطع ان يتعلّم. أمّا بالنسبة الى «الجاهل المقصّر» فإنّ ظروف التعلّم ميسورة له فكان باستطاعته ان يتعلّم ولكنه تهاون وتكاسل. ولهذا لا بدّ من ايجاد الدافع في نفسه لكي يستمع ويهتمّ حتّى يتعلّم. وهذا يعني أنّه لا بدّ من استخدام اسلوب تعليميّ أشدّ تعقيداً في هذا المجال حتّى يوجد الاستعداد في الجاهل المقصّر ليطلب التعليم بنفسه. وفي غير هذه الصورة اذا قيل له - لإقامة الحجّة عليه فقط - تعال لتعلّمك المسائل، وهو يجيب بأنني لا احبّ أن أتعلّمها، فإنّ التكليف لا يسقط عنّا في هذه الحالة.

اذن اسلوب العمل في مجال الأمر بالمعروف بالنسبة للجاهل المقصّر يكون أكثر تعقيداً. وحسب اختلاف الظروف فإنّ التكليف قد يقع على عاتق فرد معيّن أو قد يوضع على عاتق مؤسّسة مثل مؤسّسة التربية والتعليم.

القسم الثالث من الأمر بالمعروف الذي هو من قبيل التعليم يأتي في حالة الشخص الذي يتصوّر أنّه قد تعلّم الحكم وأنّه يعرف كيفيّة تنفيذه.

ولكنّه في الحقيقة مشتبه في ذلك. مثلاً في الشؤون الفرديّة هناك أشخاص تكون قراءتهم خاطئة في الصلاة ولكنهم يتصوّرون أنّهم يقرأون بشكل صحيح. أو هناك مؤمن يتخيّل انه قد نهض بواجبه الاجتماعيّ بصورة صحيحة، لكنّه مخطئ في هذا التخيل. مثلاً في عصر الطاغوت (زمان شاه ايران السابق) حيث كانت الظروف الثقافيّة والدينيّة لمجتمعنا تختلف كثيراً عمّا هي عليه اليوم، ولعلّها تكون متشابهة في بعض الموارد، فإنّ بعض الناس كان يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة عنيفة، وفي بعض الأحيان كان يتمّ بصورة مهينة للآخرين فيقول له: لماذا تفعل هذا الفعل القبيح؟ ويتخيّل هذا الانسان أنّه قام بواجبه على أحسن وجه، ولكنّه في الواقع يرتكب ذنباً - من دون التفات منه - أثناء ادائه واجب الأمر بالمعروف، وهو عبارة عن توجيه الاهانة لمؤمن حتّى لو كان هذا المؤمن عاصياً.

فهنا يُعدّ هذا الانسان جاهلاً من لون الجهل المركّب، بمعنى أنّه لا يعلم ويظنّ انه يعلم. مثل هذا الشخص لابدّ من تعليمه، إلا أنّ اسلوب تعليم أمثال هذا يكون أشدّ تعقيداً من الاسلوبين السابقين. أيّ لابدّ من التحدّث معه بشكل لئِن حتّى يصبح مستعدّاً للتغيير، أي ينبغي ان نعمل شيئاً يجعله يحتمل أنّه مخطئ في كَيْفِيَّة القيام بالواجب، لأنّه كما ذكرنا يعتقد أنّه يؤدّي واجبه بشكل صحيح، ولهذا فمن الصعوبة بمكان ان يسلمّ بانه مخطئ في عمله. ثمّ بعد ذلك نعلّمه الشيء الصحيح.

فالكثير منّا قد سمع بقصّة الامام الحسن عليه السلام والامام الحسين عليه السلام في طفولتهما، فقد نُقل أنّهما في يوم من الأيام شاهدا شيخاً يتوضأ ولكنّه كان مخطئاً في كَيْفِيَّة الوضوء. وعقدا العزم على تعليمه الطريقة الصحيحة للوضوء. وهما يعرفان جيّداً ان الادب الاسلامي يقتضي احترام الطاعنين في السنّ أكثر من غيرهم، فحاولا تعليمه مع المحافظة على كرامته، فذهب الحسنان عليه السلام اليه وسلّما عليه وقالا له: نحن أخوان ونريد أن نتوضأ أمامك فانظر أيّنا يتوضأ أفضل من الآخر. لم يقولا له: أنّك تتوضأ بصورة خاطئة، ولماذا لم تتعلّم كَيْفِيَّة الوضوء؟ وأنما احترما كبر سنّه وسلّما عليه ثمّ عرضا عليه أن يتوضأ أمامه ليحكم بينهما أيّهما أفضل وضوءاً. فتأمّل الشيخ في كَيْفِيَّة وضوءيهما متعجباً وعرف أنّهما يحاولان بهذا الاسلوب ان يعلماه الطريقة الصحيحة للوضوء. وراح الشيخ يغدّي الحسنين بأبويه قائلاً لهما: إنكما تتوضآن بشكل جيّد وأنا المخطئ في وضوئي.

انّ الموارد الثلاثة، وهي الجاهل القاصر والجاهل المقصّر والجاهل المركّب، تحتاج الى تعليم، ولابدّ من تعليم هؤلاء، ولكن يجب ان يتمّ ذلك التعليم بأساليب تربوية تتناسب مع عمر الأفراد واستعدادهم ومكانتهم الاجتماعية حتّى ينجح الانسان في قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا يكفي ان يقول الانسان شيئاً كيفما اتفق من باب «اقامة الحجّة» على الغير.

ففي مجتمعنا الاسلامي لا بد ان يتصدى أفراد أو مؤسسات لعملية التعليم بأساليب محببة ومؤثرة ومناسبة من جميع الجهات. وتختلف الشروط من مورد الى آخر. من الذي يتصدى للتعليم؟ من هم الذين يتلقون التعليم؟ من الذي يصبح مديراً للمؤسسة التعليمية؟ كيف يدير المعلم الصف؟

لا بد من البحث عن أفضل الأساليب حتى يتعلم جيداً من يحب التعلم. فالهدف هو تعليم الجاهل، وليس الهدف هو إلقاء كلمات كيفما كانت لتتم الحجة على السامعين.

هذه أقسام ثلاثة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي تدخل جميعاً تحت عنوان «تعليم الجاهل».

ومن الجدير بالذكر أننا في هذه المجالات الثلاثة: الجاهل القاصر والجاهل المقصر والجاهل المركب، لسنا بحاجة الى استخدام العنف، وإنما لا بد من تعليم الجاهل في كل هذه الموارد، ولا بد أن نبذل غاية وسعنا لكي يتعلم بصورة أحسن.

تذكرة وموعظة:

و هناك قسم آخر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر مصداقاً للموعظة والنصيحة. ولهذا القسم عدة صور ايضاً تختلف مصاديقها. مثلاً اذا عرفنا ان شخصاً يرتكب الذنب عالماً عامداً على الرغم من أنه يعرف الحكم ويعرف ان هذا الفعل معصية. ولهذا الفرض نفسه عدة حالات، فتارة يرتكب هذا الشخص الذنب وحده وفي حالة الخلوة ولكننا صدفةً اطلعنا عليه وهو لا يحب اطلاقاً ان يطلع عليه احد، وحتى اذا علم أننا قد عرفنا بما جرى فان الخجل يستولي عليه. ففي هذه الحالة يجب علينا ان نأمره بالمعروف وننهاه عن المنكر، إلا ان هذا الأمر والنهي يجب ان يتنا بشكل بحيث لا يصاب بالخجل، لان فعل ما يخجل الآخرين يكون مصداقاً

لا يذء المؤمن، واذاؤه حرام. لا بد من التحدّث معه بصورة لا يلتفت فيها الى أنّنا عالمون بالقضية. فمثلاً تقدّم له الموعدة بذكر الامور العامة. ولا يجوز اطلاقاً افشاء سرّه للآخرين، بمعنى اخبار الآخرين بمعصيته، لأنّ هذا الافشاء هو بذاته من الذنوب الكبيرة. فقد يرتكب شخص ذنباً بسيطاً في الخفاء، ثم نتحدّث به نحن للآخرين تحت عنوان النهي عن المنكر! فهو أولاً يُصاب بالخجل وهذا ذنب ارتكبناه. ثانياً اذا عرف الآخرون بذنبه البسيط عن طريقنا فنحن قد ارتكبنا بهذا احد الذنوب الكبيرة. أنّه ارتكب ذنباً من الذنوب الصغيرة، ونحن ارتكبنا ذنباً من الذنوب الكبيرة أثناء محاولتنا للقيام بالتكليف!

وبناءً على هذا اذا ارتكب شخص ذنباً في الخفاء، حتّى لو كان هذا الذنب من الكبائر فانه لا يجوز لنا افشاء سرّه ويحرم التحدّث به للآخرين حتّى لأبويه، لانه سوف يصاب بالخجل وتُهدر كرامته، وهو أمر محرّم.

نعم هناك مورد واحد مستثنى من هذا الحكم وهو أن ينحصر طريق اصلاح هذا الفرد العاصي باخبار الآخرين بمعصيته، بمعنى أنّه غير مستعدّ اطلاقاً للكفّ عن معصيته، والطريق الوحيد الباقي للتأثير عليه هو أن نخبر شخصاً آخر يستطيع اصلاحه بهدوء، ففي هذه الحالة فقط يجوز التحدّث بذلك الى هذا الشخص. لكنّه مهما أمكن لا بد ان نحاول نحن اصلاحه والقيام بنهيه عن المنكر الذي ارتكبه بصورة لا يلتفت فيها الى أنّنا مطلعون على ذنبه حتّى لا تُهدر كرامة المؤمن. فالله سبحانه وتعالى سنّ العيوب ولا يرضى ان تهدر كرامة المؤمن بواسطة افشاء سرّه للآخرين.

وكثير من الناس غافل عن هذا الموضوع، ولهذا يتصوّر أنّ كل من يرتكب معصية ولاسيّما اذا كانت من الكبائر فلا بد من التشهير به واخبار الجهات المسؤولة عنه أو لا بد من تعزيره أو اقامة الحدّ عليه اذا كان لذلك الذنب حدّ شرعيّ معيّن.

بينما الواقع أنه حتىّ الذنب الموجب للحدّ لا يجوز افساؤه بسهولة، إلا إذا اجتمع أربعة أشخاص قد شاهدوا المعصية بأعينهم، عندئذ يجوز لهؤلاء الأربعة ان يتحدثوا بهذا الذنب الى الجهات المسؤولة. أما اذا جاء الى المحكمة ثلاثة مؤمنين وشهدوا على ارتكاب هذا الفرد عملاً موجباً للحدّ ولم يحضر للشهادة رابعهم فإنّ على القاضي ان يجري الحدّ على هؤلاء الثلاثة. فالاسلام حريص الى هذا الحدّ على عدم افساء اسرار الناس للمحافظة على كرامتهم.

نعم اذا وصلت الفضيحة الى هذا المستوى بحيث شاهد فيها المعصية اربعة من المؤمنين العدول بحيث لم يكن في ذلك شكّ ولا شبهة فانه عندئذ لا بدّ من تنفيذ الحدّ الالهيّ ولا ينبغي تعطيل الحدود الالهية.

القسم الآخر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجري في حالة ما اذا كان الشخص العاصي غير مبالٍ بالأمر. صحيح أنه قد ارتكب المعصية في الخلوة ولكنّه اذا عرف أنّ الآخرين قد علموا بما فعل فأنه لا يشعر بالخجل. في مثل هذا المورد لا يجب علينا حفظ سرّ هذا الانسان كما كان يجب علينا بالنسبة لمن يستحي من ذنبه. ولكنّه في نفس الوقت لا بدّ ان ننهاء عن المنكر بشكل لا يطلّع فيه الآخرون - من دون مبرّر - على معصيته. فننصحه بشكل سريّ ونمتنع عن ذلك امام الناس حتىّ لا يفشى سرّه. فهو وان كان غير مبالٍ بذلك ولكننا نحن لا ينبغي لنا أن نساهم في اشاعة الفحشاء.

وهذا يختلف عن المورد السابق الذي لا يحب فيه العاصي ان يطلّع الآخرون على ذنبه وهو غير متجاهر بالفسق وقد قام بمعصيته في الخلوة، ولهذا كان يجب علينا ان نحفظ سرّه، وفي نفس الوقت نبذل جهدنا في ايقاظه بشكل من الأشكال، بقراءة حديث شريف أو قصّة نافعة أو ارشاده الى مجلس موعظة بطريقة لا تهدر كرامته.



أما إذا كان الشخص متجاهراً بالفسق، بمعنى أنه يرتكب المعصية عملياً بحضور الآخرين ولا يشعر بأي حرج أو حياء فإن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر يصبح أشد من الآخرين. وللتعامل مع هذا الفرد مراحل محدّدة. فهنا لا وجود لموضوع المحافظة على السر، ولسنا ملزمين بالحديث معه في الخلوة بحيث لا يلتفت إلى أننا مطلعون على معصيته، لأنه يرتكب هذه المعصية أمام الناس، وبهذا يكون قد أهدر كرامته بنفسه، ونحن لا نضيف شيئاً جديداً في اهدار كرامته. أنه غير مبالٍ في ان يذنب علناً وأمام الناس. في هذا المجال ايضاً توجد مراحل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالمرحلة الاولى هي ان تقوم بموعظته بالقول اللين والادب والاحترام ونطلب منه ان يترك المعصية أو يؤدّي الواجب، وهذه هي النصيحة، ويمكننا الاستعانة بذكر الآثار الدنيوية والاخروية لهذا العمل حتى نرغبه في ترك الذنب. واذا كان من الميسور لنا ترغيبه بطرق اخرى غير الكلام فإنه مطلوب مثل ان ندعوه لتناول وجبة طعام او القيام بسفرة أو ما شابه ذلك. ويرتبط نوع هذا الترغيب بنوع الذنب المرتكب والمعلومات الواردة عن ذلك الشخص المذنب.

واذا لم تتفع فيه المرحلة الاولى فإن المرحلة الثانية تكون أشد قليلاً حيث اننا نعبر في وجهه، وقد لاحظنا التعبير الوارد في الرواية الشريفة القائلة: «لم يتمعر وجهه غيظاً لي قط»^(١) فهو لمثل هذه المرحلة، وكذا قوله ﷺ: «صكّوا بها جباههم»^(٢)

لابد من مواجهته بالقول الخشن واللهجة الآمرة، وهذا هو مصداق القدر المتيقن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فان لم ينفع معه هذا أيضاً أمكننا اللجوء إلى

١. اصل الكافي، ج ٥، ص ٥٨، الرواية ٨.

٢. تهذيب الاصول، ج ٦، ص ١٨١، الباب ٢٢، الرواية ٢١.

تهديده بنقل القضية إلى المسؤولين ان لم يكف عن عمله ليتصرفوا معه كما ينص القانون. وأحياناً يحق له ان يعزّره أو يحبسه، وهي امور يعيّنهما القانون. واذا لم ينفع معه هذا التهديد فأنه عندئذ يمكننا نقل الموضوع إلى الجهات المسؤولة.

لابد من رعاية هذا التدرّج في مراحل الأمر بالمعروف، ولا ينبغي لنا ان نواجه شخصاً بالشدة أو بعدم الاحترام من دون مبرّر. أمّا اذا وصل الأمر إلى حالة لا يؤثّر فيها الكلام اللطيف فانه يتعيّن استخدام الشدة والحدة.

وينبغي ان لا يغيب عن بالنا ان الافراط والتفريط في الأمر غير مستحسن. فكثير من مشاكلنا ناشئ من الافراط والتفريط. احياناً نلاحظ ان البعض يسلك طريق الافراط، والبعض الآخر يسلك طريق التفريط. في كثير من الحالات تجري احداث ليست هي إلا ردّ فعل لأعمال اخرى. ففي بعض الأحيان يؤدي التباطؤ إلى ان يعمل الآخرون بسرعة. كما ان التصرفات غير اللائقة من بعض الناس تؤدي إلى انكار أصل عمل معروف. لكنّ الاسلام قد جعل كلّ شيء في مجاله المحدّد، فمهما أمكن لابدّ من استخدام الاسلوب اللين، فان لم يؤثّر فأنه لا ينبغي التضحية بمصالح المجتمع من أجل ان الكلام المعقول لا يؤثّر في شخص عاصٍ، بل لابد من المحافظة على مصالح المجتمع. لا ينبغي للمجتمع الاسلامي ان يعيش بشكل يسقط فيه قبح المعصية، وأنما لابدّ فيه من المحافظة على الحرمات. ويجب ان يكون الجوّ في المجتمع الاسلامي بحيث اذا ارتكب شخص ذنباً فأنه يخجل من ذلك. وأمّا اذا لم يتمّ العمل بهذه القيم فعندئذ تظهر مشاكل اخرى تهدّد المجتمع الاسلامي.

وعلى آية حال فهذه كلها مصاديق للموعظة ماعدا المرحلة الأخيرة التي تتسم بالأمر فهي خارجة عن مجال الموعظة.

الموعظة هي ان نقوم بترغيب شخص بواسطة الكلام اللطيف حيث نذكر له فوائد العمل الحسن أو الأضرار المترتبة على تركه. وكذا الأمر في بيان الأضرار المترتبة

على فعل العمل القبيح. أنها موعظة بان يقوم الناصح بذكر النتائج الحسنة والسيئة للفعل حتى يوجد الدافع في الآخرين ليقوموا بالأعمال الحسنة.

فكل مسلم مكلف بان يأمر الفرد العاصي بالمعروف بمعنى ان يقول له: «أنتني أمرك بالقيام بهذا الفعل بعنوان كوني انساناً مسلماً أقوم بواجبي الديني في المجال الاجتماعي». واذا لم أقم أنا بهذا الأمر فسوف يقوم به مسلم آخر. ولا يعتبر هذا المجال من موارد الموعظة والنصيحة بل لا بدّ فيه من الأمر والالزام. ويُعدّ هذا مصداقاً يقينياً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يشترط فيه الكلام باستعلاء، أي ان يقول له من موضع عالٍ: لا بدّ لك من القيام بهذا الفعل.

فاذا استمرّ الشخص العاصي في القيام بمعصية بعد أداء هذه المراحل من الأمر بالمعروف فإنّ هناك مراتب وشروطاً أخرى له تُذكر في محلّها.

التصدي الاجتماعي للمؤامرات:

تارةً يكون ارتكاب المعصية - التي هي عبارة عن مخالفة للشريعة المقدسة ومخالفة لمصالح المجتمع الاسلامي - بصورة عمل بسيط وبدافع فرديّ وبجراة وعدم احترام من قبل المذنب. ولكنّه في بعض الأحيان لا تكون هذه المعصية عملاً فردياً ولا أمراً بسيطاً، وانما هو عمل معقد ومخطّط وهناك جهات قد خطّطت له بدقّة. فليس الأمر هو أنّ شخصاً منفلت الزمام قد ارتكب معصية امام الناس، وانما هناك خطة معدّة وراء الستار، وقد جعلها اشخاص لكي يوحوا للآخرين بانّ الاسلام والنظام الاسلامي مهزوم وقد فقد قدرته على السيطرة. فمثلاً يحثون الناس على ان يُكثروا من الأعمال القبيحة حتى تصبح عاديّة في الجو الاجتماعي.

انّها خطة معدّة من قبل وليست فسقاً علنيّاً فقط، فقد اعدّوا خططهم من قبل لكي يلحقوا ألواناً من الضرر بالمجتمع الاسلامي.

ومن الطبيعي أن يكون هؤلاء - الذين يقومون بمثل هذه الأعمال - غير راغبين في الاسلام أو أنهم منافقون لا يتمتعون بالايامن في أعماق قلوبهم أو أنّ الاموال قد اغدقت عليهم فأصبحوا مرتزقة للأجانب، وعلى كلّ حال فهم يريدون القضاء على حاكمية الاسلام في المجتمع.

وبهذه الصورة تتجه ألوان من الضرر وبأساليب متنوّعة للمجتمع الاسلامي، ولا بدّ لنا من مقاومتها والوقوف في وجهها.

وقد يتمّ إلحاق هذه الأضرار في اطار عمل ثقافي أو اقتصادي أو فني أو أخلاقي أو حتّى عسكري. وفي هذه الحالة يخرج الأمر عن كونه واجباً فردياً، ويخرج ايضاً عن اطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البسيط، وتستوجب هذه الحالة ألوانا من النضال ضدّ هذا الانحراف. ولا تعتبر هذه الحالة من الموارد المعروفة والمشهورة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا نجد ذكراً لأحكامها ومسائلها في الرسائل العمليّة. إنّ هذا اللون من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو نضال ضدّ هجوم واسع النطاق، ولا يمكن ان ينهض به شخص بمفرده ولا ينفع فيه الاسلوب البسيط الذي يستخدم عادةً مع الشخص العاصي حيث يقال له: «لا تفعل». إنّ هذا الهجوم عمل شيطانيّ معقّد ومخطّط مدروس، ولا بدّ في صدّه من اللجوء الى التخطيط والتفكير والتنظيم بحيث يتمّ إعداد مخطّط يتناسب مع حجم ذلك الهجوم ويحول دون تحقّق تلك الخيانة. وقد يُنقذ هذا الهجوم في إطار خطوة اقتصادية، وقد طرق سمعكم قصّة «التنباك» وفتوى الميرزا الشيرازي رحمته الله في تحريره، وهناك أمثلة عديدة في هذا المضمار، ويتميّز بعضها بتعقيد خاصّ بحيث يعجز غير اصحاب الفنّ عن كشف عمق المؤامرة. مثلاً من جملة المؤامرات التي يحاول أعداء الاسلام في هذا العصر أن يلحقوا بواسطتها الضرر الاقتصادي بالمسلمين هي مؤامرة خفض قيمة البترول. وليس هذا أمراً ساذجاً حتّى ندرك - أنا

وأنت - حجم الخيانة التي ترتكب في هذا المجال وكيفية التصدي لها. إن هذا منكر اجتماعي اقتصادي مخطئ ومدروس من قبل جهات عالمية ومنظمات دولية. وحتى إن أي دولة بمفردها لا تستطيع القيام بهذا المنكر، وإنما لابد أن يتعاون الشياطين المنبثون في الدول المختلفة ليتمكنوا من إلحاق مثل هذا الضرر بالمسلمين.

فلكي تنخفض قيمة البترول العائد للمسلمين من أكثر من ثلاثين دولاراً للبرميل الواحد إلى أقل من ثمانية دولارات قام الشياطين من الدول المختلفة بأعمال ليس هنا مجال تفصيلها! إن هذا المنكر «ضرر» يلحق بجميع الناس في هذا البلد المسلم بل بجميع المسلمين في العالم، ولا بد من التصدي له لاستعادة الحقوق المضاعة للمسلمين، لأن استمرار هذا المنكر يثبت سلطة الكفار على المسلمين وعلى أسواقهم، والله سبحانه وتعالى لا يسمح بتحكم الكفار في المسلمين ولو في المجال الاقتصادي بحيث يفرضون عليهم أهدافهم المنحرفة.

وفي مجال مثل هذه المنكرات لابد أن يتخذ المسلمون قرارهم بشكل جماعي، وينبغي أن لا يكون قراراً ساذجاً بل لابد أن يكون مدروساً ومخططاً بشكل علمي، فيتأملون في السبل الميسورة لمواجهة مؤامرة الأعداء هذه. وللظفر بطريق حل مناسب لابد أن يتوفر المتخصصون من الدرجة الأولى ويفكروا بعمق حتى يعدوا خطة مؤثرة في هذا المضمار. وعندما يظفرون بطريقة حل مناسبة لمواجهة هذا المنكر المعقد لابد أن يجتمع المسلمون على تنفيذ هذه الخطة والعمل بمضمونها. فقد يكون الحل أحياناً بمقاطعة اقتصادية لسلعة معينة، فمثلاً يؤكدون على عدم شراء البضاعة الأمريكية. وحينئذ يجب على جميع المسلمين الإذعان لهذا الأمر. ويصبح شراء البضاعة الأمريكية محرماً، حتى لو اضطررنا لشراء مثل تلك البضاعة من دولة أخرى بضعف قيمتها، ولكننا نتحمل ذلك من أجل التصدي لمؤامرات

الأعداء وخيانتهم مما يلحق الضرر بجميع المسلمين. ويكون العمل بهذه المقاطعة واجباً على جميع المسلمين بعنوان النهي عن المنكر. هكذا يتسع مجال النهي عن المنكر في المجتمع الاسلامي.

وسعة مجال النهي عن المنكر في الشؤون العسكرية هي أجلنى وأوضح، لأنّ العدو يتأمر ليتسلّل الى داخل الحدود أو يرسل عملاءه الى الداخل ليقوموا بالاعتقالات أو أنّه يحاول زرع عملائه في مجالات حساسة في الجيش ومراكز الأمن. وهناك عشرات من الامور الاجتماعية المعقّدة التي يتعيّن على المتخصّصين دراستها بعمق وروية.

اذن لا بدّ من المواجهة للمعضية في المجتمع، والطريق الوحيد لمواجهتها ليس هو بان أتخذ القرار بمفردي، وإنما يتعيّن على المتخصّصين - بالدرجة الأولى - ان يتشاوروا ويعدّوا مخطّطاً علمياً، ثمّ تأمر الحكومة الاسلامية الناس بتنفيذ هذه الخطة.

فيصبح من الواجب على جميع الناس عندئذ العمل بهذا المخطّط. ويعتبر وجوب العمل بهذا المخطّط ناشئاً من جهتين: الاولى من جهة انه نهى عن المنكر، والثانية من جهة أنّه طاعة للحكومة الاسلامية التي هي عبارة عن الطاعة لوليّ أمر المسلمين.

الفرض الآخر الذي يمكن تصوّره هو ان تجري المؤامرة الاقتصادية في بلد لا يخضع لحكم وليّ امر المسلمين أو الحكومة الاسلامية، أو ان الحكومة الاسلامية موجودة في ذلك البلد لكنها - لسبب من الأسباب - لا تستطيع ان تفعل شيئاً. في هذا الفرض الذي تكون فيه الحكومة الاسلامية موجودة لكنها لا تستطيع ان تقف في وجه المؤامرة الاقتصادية للعدوّ يصبح التكليف أصعب وأشدّ تعقيداً. فنحن نلاحظ في هذا البلد الاسلامي مجموعة من عبيد المال والثروة يسيطرون على

المراكز الاقتصادية والتجارية وغيرها ويحاولون تمرير مؤامراتهم من خلال الإعلام لكي يجعلوا الحكومة أمام الأمر الواقع. وحتى أنهم قد تسللوا إلى المناصب العليا في الدولة فهناك في مراكز القرار من لا يحترق قلبه للإسلام وإنما هو مهتم فقط بمصالحة الشخصية.

فاذا تحقق مثل هذا الوضع ولو حظ وجود تأمر على اقتصاد أو مصالح الدولة الإسلامية أو مصالح منطقة معينة، فإن كان الناس قادرين على التخطيط لإحباط مؤامرة العدو فإنه يجب عليهم فعل ذلك حيث يتخذ القرار للتصدي لهذه المؤامرة وإفشال خطة العدو، لأن المفروض هو أن الحكومة الإسلامية - لسبب ما - لا تستطيع القيام بإفشال هذه المؤامرة، إما لأنها لا علم لها بها وإما أنها تعلم ولكنها غير قادرة على عمل شيء.

وهناك صورة أخرى محتملة وهي ان تكون الحكومة الإسلامية عالمة بتأمر الأعداء ولها القدرة على مواجهته لكنها لا تفعل شيئاً. ففي هذه الحالة يجب على الناس ان يتصدوا لرفع هذا الخطر، حيث يهيئون خطة ثم ينفذونها. وقد تسبب هذه الخطوة ضرراً اقتصادياً للمجتمع بشكل مؤقت ولكنه يمكن ان يجبر هذا الضرر فيما بعد.

ونؤكد على دراسة مثل هذه الموارد والتعمق في أحكامها وان لا نكتفي بالشؤون الفردية السهلة.

إذن كلما أتجه خطر من قبل الأعداء في الخارج او الداخل الى أي بُعد من ابعاد الحياة الاجتماعية الإسلامية فإنه يجب على المسلمين أن يستنفروا علماءهم ومختصيهم وان ينتفعوا بعلمهم وتجاربهم وأن يضعوا خطة لمواجهة الخطر وإحباط خطط الأعداء.



المواجهة للهجوم الثقافي:

إن الهجوم الثقافي هو من أهم الأخطار إن لم يكن أهمها. والهجوم الثقافي ناشئ - إلى حد ما - من الضعف الثقافي الموجود فينا وفي مجتمعا. ونحن نعبر بالهجوم الثقافي لكي نكون قد تحدّثنا بلغة الآخرين. فماذا يعني الهجوم الثقافي؟ يعني الهجوم على الدين. فقد أكّد قائد الثورة الإسلامية على أن الاعداء قد وجّهوا سهامهم إلى إيمان الناس. وليس هذا مزاحاً وإنما هو تحليل من متخصص يفهم هذه الامور أكثر من غيره.

في مثل هذه الظروف اذ قلت أنا لا علاقة لي بهذه الامور وأني مشغول بعبادتي ودروسي! وقال الآخر انه لا علاقة له بها! والحكومة تعمل بشكل آخر! والناس مشغولون بأعمالهم! والفئات المختلفة مشغولة بالصراع فيما بينها! ولا احد يهتم بتأمر الاعداء! وكلّما صاح ولي امر المسلمين ان اهتموا بهذا الهجوم الثقافي واهتموا بشؤون الجامعات لان جامعاتنا لم تصبح اسلامية بعد فانه لا يجد أذنا صاغية، وصحيح ان الحكومة اسلامية ويقف على رأسها الولي الفقيه إلا أن الذين يتعيّن عليهم تنفيذ الأوامر لا يتفقدونها. فهل يصحّ للمسلمين في هذه الحالة ان يضعوا يداً على يد وان يبقوا متفرّجين على ما يحدث؟ وهل يجوز لهم ان لا يتكلّموا بشي خوفاً من أن يوصف عملهم بـ«العنف»؟ وهل ينبغي لهم أن يتّخذوا طريق التساهل والتسامح؟ وبعد أن أكّد قائد الثورة الإسلامية بأنّ هناك غارة ثقافية وأنّ العدو في حالة نهب لثقافتنا وديننا وآته استهدف إيمان شبابنا، فماذا يمكننا ان نضيف إلى ذلك؟ هل مع ذلك لا ينبغي ان نشعر بالواجب الملحق على عاتقنا؟

افرضوا أننا جالسون في بيوتنا وفجأة سمعنا مناديا في الشارع يصرخ بالناس انّ هناك مشكلة خطيرة في التيار الكهربائي فاحذروا ان تلمسوا الأزرار الكهربائيّة لانّ الدار سوف تلتهب ناراً. أو أنّ الأمطار قد هطلت بغزارة بحيث اندفعت السيول في

الشوارع ونحن نائمون في بيوتنا ثم انتبهنا على صراخ محذّر يقول: إنّ السيول قد تهدم بيوتكم فأخرجوا منها. ماذا سيكون موقفنا عندئذ؟ قد نستيقظ في البداية والنوم يخالط أعيننا فنقول: من الذي أزعجنا بصياحه وسط الليل؟ ثم نعاود النوم. لكنّه اذا تكرّر هذ النداء واستيقظنا بشكل كامل فوجدنا الماء يجري حولنا في كلّ مكان عندئذ سوف نأخذ الموضوع بجدّ ونقدّم الشكر لمن تنبهنا للخطر المحدق بنا، ونشعر بالامتنان له لأنّه لولا صراخه لانهدمت بيوتنا واختنق أطفالنا، أو أن النار التهمت بيوتنا وعوائلنا اذا كان الخطر الداهم الذي حدّرنا منه هو «الحريق». فهل من المعقول أن نعرض عليه لأنّه أيقظنا من نومنا العميق أم نشكره؟

لكننا بالنسبة للامور المعنويّة لسنا بهذا الشكل. نحن نفهم الامور الماديّة بشكل جيّد، واذا قام احد بتحذيرنا من خطر حدوث زلازل أو حرائق أو سيول أو قصف جويّ فاننا ندرك ذلك بوضوح، ويكون هذا التحذير ذا قيمة عندنا، ونشكر من قام بتحذيرنا.

أما اذا حدّرنا شخص في مجال الامور المعنويّة فمع أنّنا نعرف انه صديق ويحبّ الخير لنا وهو يصيح بنا لشفقته علينا لكننا لا نرحّب بتحذيره، بل قد نقول له: لماذا تستعمل «العنف» معنا! تكلمّ بهدوء!

في حالة حدوث الزلازل أو السيول اذا صرخ بنا شخص يحذّرنا منها فاننا لا نقول له تكلمّ بهدوء لأنّ الكلام الهادئ لا يوقظ النائم. وكذا الأمر في مجال الأخطار المعنويّة، فهناك من يحذّر دائماً ويكتب ونحن لا نلتفت ولا نهتمّ، ولكنّه اذا صرخ المخلص فأنّه يؤثر في البعض والآف نحن غير حسّاسين بالنسبة للأخطار المعنويّة. ولا أقصد بقولي «نحن» المؤمنين الملتزمين فحسب، وأنما الطبيعة البشريّة تأنس عادةً بالامور الحسيّة أكثر. أمّا ما هو أرفع من الحسيّات فانها لاتصدّق به سريعاً. فاذا قيل لنا أنّ الاعداء يشنون غارة على ديننا، فنحن نجيب: اين وكيف؟ لم ينهبوا

شيئاً! أما إذا نُهب مالنا الشخصي فنحن نشعر بذلك سريعاً. وإذا قيل لنا إن ديننا قد نُهب، نقول كلاً، فنحن نصلي ونصوم ولا صحّة لهذا الادّعاء.

ولكننا إذا تعمّقنا قليلاً فسوف نلاحظ أنّ الايمان في العام الماضي يختلف عن الايمان عندنا في هذا العام. في العام الماضي كنّا على يقين باللّٰه تعالى وبالنبى ﷺ، أمّا في هذا العام فنحن في شك مريب. في هذا العام يخطر في بالنا أحياناً أنّ أقوال علماء الدين قد لا تكون صحيحة! إنّ الذين يتحدّثون خلاف أقوال علماء الدين قد درسوا وتخرّجوا من جامعات لندن ولا بدّ أنّهم يفهمون ما يتحدّثون به ولعلّهم يفهمون أكثر من علماء الدين!

هكذا يفقد الدين رونقه بصورة تدريجيّة وفجأة ينتبه الانسان فيجد أنّ الدين لم يبق منه شيء يذكر.

ان الانسان اليقظ الحساس يشمّ الرائحة من بُعد، فاذا جاء العدوّ فأنه يفهم من بعيد لأيّ غرض قد جاء. فهو قادر على تقييم حركات العدوّ، ويستطيع ان يحدس الشيء الذي استهدفه العدوّ وما هو مشغول فيه الآن. أمّا الآخرون الغافلون عن مؤامرات العدوّ فهما قيل لهم بالحقائق فإنّهم لا يصدّقون.

وعلى كلّ حال فهذا لون من النهي عن المنكر، حيث توجد أخطار تهدّد المجتمع الاسلامي لا من قبل شخص واحد، وبالتالي فان دفعها لا يتيسّر بواسطة شخص واحد. إنّ هذه المنكرات تميّز بتخطيط معقّد وتشكّل خطراً كبيراً على المجتمع، والتصدي لها ومواجهتها تحتاج الى تخطيط دقيق، فلا بدّ أن يعيّن المتخصّصون أفضل الأساليب لمواجهتها، وأن يحسن الآخرون الظنّ بهم، وان يرحّبوا - عن حسن نيّة - بصراخ المخلصين وان يقبلوا منهم تحذيرهم.

وإذا لم يفعلوا ذلك فسوف يملأ الدخان المتصاعد من الحريق عيونهم وسوف يجدون أبناء هذا المجتمع غداً وقد أصبحوا من دون ايمان، وعندئذ سوف تترتب



على ذلك الآثار الأخلاقية السيئة، حيث يبتلون بالمخدرات ومرض الايدز وينضمون الى مجموعات الجريمة والتهرب، ويسود الانحطاط الثقافي:

«لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ»^(١)

من جملة ألوان العذاب الدنيوي هو انهيار الكيان العائلي والاختلاف الدائم بين الزوجين وسوء تربية الأبناء والعادات القبيحة كالإدمان على المخدرات وآلاف المشاكل التي تستصي على العلاج.

إذا رحل الايمان فسوف تحدث هذه المشاكل، فان كنتم حريصين على ان لا يواجه المجتمع هذا المصير فلا بد ان تحولوا دون اسبابه من البداية، يجب ان تكونوا حساسين بالنسبة للشؤون الثقافية، ولا تقولوا ان كل مشكلة يمكن حلها بواسطة الاقتصاد، لأن بعض الامراض تنشأ من الاقتصاد نفسه، فكثير من المفساد الاجتماعي تُنفذ بواسطة أصحاب الثروة. ان من يحرص على جمع الأموال ويكدس منها مايزيد على حاجته ويحبّ المزيد هو الذي يقوم بهذه الانحرافات. ليست كل المفساد ناشئة من الفقر، ويخطئ من يظن ان المعضلات الاجتماعية سوف ترتفع بحل المشاكل الاقتصادية. ومن الواضح انه لا بد من الاهتمام بالشؤون الاقتصادية، فالفقر الاقتصادي احياناً يعين على حدوث هذه الانحرافات، ولكنه ليس علّة تامّة لها. وطريق معالجتها ايضاً ليس منحصرأ في حل المشاكل الاقتصادية. وصحيح أننا نؤكد على ضرورة الاهتمام بحل المشاكل الاقتصادية وهو أمر واجب على المجتمع الاسلامي والحكومة الاسلامية، ولكنه ليس الواجب الوحيد عليها، وإنما الواجب الأول هو المحافظة على الدين والأخلاق والمعنويات والقيم الرفيعة. ثم تأتي بعد ذلك أهمية المحافظة على القيم الأخرى. ومن البديهي

أنتي لا اقصد التقدّم والتأخّر في الزمان وانما اقصد التقدّم والتأخّر من حيث الرتبة. منذ فترة من الزمن وهم يلقّنون أبناء مجتمعا - لأغراض معينة - بالبيانات والمقالات ووسائل الإعلام الاخرى بأن كل شيء سوف يصبح ممتازاً اذا تمّ حلّ المشاكل الاقتصادية!

كلّ ليست الحقيقة بهذه الصورة. انّ من يتحدّث بهذه الطريقة فهو يخدع نفسه، فلا ينبغي لنا ان نخدع بقوله. ان الرفاهية الاقتصادية ليست حلالة لكلّ المشاكل. فمن المعروف أنّ أكثر الدول رفاهيةً في العالم هي امريكا، فعائدها السنوي يفوق العائد السنوي لسائر دول العالم، ونموها الاقتصادي أكثر من نمو الآخرين. أو على أقلّ تقدير تعتبر امريكا احدى الدول المتقدمة اقتصادياً. فهل هذا البلد خالٍ من المشاكل الأخلاقية والاجتماعية؟ حسب ما تنقله نفس وسائل الإعلام الامريكية فانه في كل عدّة ثوان تحدث جريمة في امريكا. وأطفال المدارس فيها يُصطحبون بالمحافظين الى مدارسهم، وفي المدارس الثانوية الامريكية يوجد أفراد من الشرطة المسلحين. ومع هذا كلّه تحدث الجرائم باستمرار في أعماق المدارس! فهل يمكن حلّ هذه المشاكل الأخلاقية والاجتماعية بواسطة الأموال؟ هل هؤلاء فقراء؟

ولست انكر انّ كثيراً من المشاكل الاجتماعية ناشئ من الفقر، أو ان الفقر - على أقلّ تقدير - يزيد في حدتها، لكنّ هذا لا يعني ان مشكلة الفقر اذا تمّ حلها فسوف تحلّ جميع المشاكل الاخرى بصورة ذاتية. كلاً، ففي كثير من الأحيان تحدث مشاكل جديدة وعسيرة نتيجة لوفرة المال وكثرته.

الجهاد والحرص على الشهادة من أجل ايقاظ المجتمع:

اذن هذا هو لون من ألوان النهي عن المنكر، فان نهض به أفراد أو نهضت به الحكومة الاسلامية، أو حصل تعاون بين الحكومة والناس في هذا المجال، أو لم



تستطع الحكومة الاسلاميّة فعل شيء أو لم تكن هناك حكومة اسلاميّة لكنّ المسلمين نهضوا بذلك وقاوموا أعداء الاسلام وأفشلوا خططهم وحلّوا المشكلة فقد حصل المطلوب. أمّا اذا لم تحصل مواجهة كافية في هذا المضمار فعندئذ يجب على جميع المسلمين التصدي لهذه المنكرات.

لكن هل كان جميع المسلمين على مرّ التاريخ عارفين بواجباتهم؟ وهل من الممكن ان يقصّر المسلمون في القيام بواجباتهم الاسلاميّة؟ ألا يلاحظ في التاريخ وجود نماذج من عدم وفاء المسلمين؟ وهل يُعدّ من قبيل المستحيل ان تقصّر الاغليبيّة الساحقة من المسلمين في القيام بواجباتها الاسلاميّة؟

ان مصداق هذا الأمر يعرفه الجميع.

لقد امتدّت الفترة منذ استشهاد امير المؤمنين عليه السلام وحتى استشهاد الامام الحسين عليه السلام عشرين عاماً. فماذا كان يفعل سيّد الشهداء خلال هذه المدّة الطويلة في المدينة؟ وهل كان الحكّام حينذاك ينكرون وجود الله أو يعبدون الأصنام؟ وهل كانوا منكرين - في الظاهر - لنبوّة النبي صلى الله عليه وآله وأحكام دينه؟

كلّام يكن شيء من هذا، فهؤلاء كانوا يعتبرون أنفسهم خلفاء لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكانوا يؤدّون الصلاة ويؤمّون الناس في يوم الجمعة، غاية الأمر أنّهم كانوا في بعض الأحيان يصلّون صلاة الجمعة في يوم الأربعاء! وأحياناً يؤمّون الجماعة وهم سكارى! والقدر المتيقّن انهم كانوا يصلّون. وحتّى في يوم عاشوراء أقدم عمر بن سعد على اداء الصلاة اولاً ثمّ نادى:

«يا خيل الله اركبي وبالجنّة أبشري»^(١).

والناس الذين كانوا يعيشون في زمان سيّد الشهداء كانوا جميعاً يصلّون
 ويزعمون أنّهم مسلمون وأنّ حكومتهم اسلاميّة. إلّا أنّ الامام الحسين عليه السلام قد ذاق
 الأمرين خلال عشرين عاماً ولم يستطع ان يصرّح بانّ هذه الحكومة غير قائمة على
 الحقّ. ولم يقل ذلك إلّا لأفراد معدودين هنا وهناك وبصورة خاصّة وسريّة. وحتّى
 عندما وصل خبر موت معاوية فان الامام عليه السلام قام - في الظاهر - بتقديم التعازي الى
 حاكم المدينة.

هكذا كان الوضع يومئذ.

وكذا الأمر بالنسبة الى سائر الأئمة الطاهرين عليه السلام، فهل كان الامام الصادق عليه السلام أو
 الامام موسى بن جعفر عليه السلام أو غيرهما قادراً على ان يصرّح للناس بانّ هذه
 الحكومات باطلة؟ فلماذا سُجن هؤلاء الكرام؟ ولماذا استشهدوا؟ وهل كان الخلفاء
 يحكمون باسم الكفر؟ أم كانوا منكرين لوجود الله؟ وحتّى لو كانوا - في الواقع -
 منكرين لوجود الله فانهم لم يكونوا يظهرون ذلك بل كانوا يحكمون بعنوان أنّهم
 خلفاء لرسول الله ﷺ.

ولعلكم سمعتم بهذه القصة وهي أنّ هارون الرشيد لما قرّر ان يودع الامام موسى
 بن جعفر عليه السلام السجن فقد جاء الى مرقد النبي الأكرم عليه السلام معتذراً قائلاً اعذرني يا
 رسول الله ﷺ لأنّي أدخل ابنك السجن لكي أوّمن مصلحة المجتمع الاسلامي! لكي
 يسود الأمن في المجتمع! لكيلا يحصل اختلاف ونزاع في الجوّ الاسلامي! (١) فلم
 تكن جميع تلك الحكومات كافرة ومشرّكة.

اذن ما العمل في مثل هذه الظروف؟

تارة تكون الظروف بشكلي يمكن فيه حفظ الدين بواسطة التشايطات الشقاوية

السرية وغير المنظمة، تمهيداً ليوم يرتفع فيه مستوى وعي الناس وثقافتهم بحيث يستطيعون النهوض بأعمال أهمّ وأوسع.

ومثل هذا المنهج قد سار عليه الأئمة عليهم السلام منذ الامام السجاد عليه السلام ومن جاء بعده لأسباب مختلفة، فهناك مجموعة من الناس قد تمّ تربيتها على أساس الاسلام وقد عرفوا الحق ببركة دماء سيّد الشهداء وأصحابه الميامين فاستوعبوا الثقافة الاسلاميّة وانتشروا في بقاع العالم الاسلامي، ومن جملة هؤلاء ابناء الأئمة الذين جاءوا الى بلاد خراسان ومازندران ومناطق اخرى بهدف هداية الناس وتوعيتهم.

وهناك آخرون نهضوا بنفس المهمة إلا أن الاغلب كانوا من بيت النبي الأكرم عليه السلام. في مثل هذه الظروف كان يتحتمّ الاقتصار على النشاطات الثقافية، لأنّه لم يكن من الميسور القيام بأية نشاطات اخرى، والشيء الوحيد الذي كان من الممكن القيام به هو العمل الثقافي، وهناك اطمنان بان أصل الدين باقي لا يمسه سوء.

ولنتذكّر ماقاله الامام الحسين عليه السلام في منى لتلك الصفوة من المسلمين حيث أكد لهم: «فأني أخاف أن يدرس هذا الحقّ ويذهب» ليس الكلام عن حكم شرعي أو حكمين، افتحوا عيونكم جيّداً فأني أخاف ان يضيع أصل الحقّ فلا يستطيع الناس حينئذ ان يميّزوا بين الحقّ والباطل، فليس هناك أيّ سبيل اخرى للتمييز بين الحقّ والباطل! انّ هذه الظروف تستدعي عملاً خاصاً آخر، فلا يمكن القيام بالنشاط الإعلامي ولا يمكن تأييد الحقّ بواسطة المال ولا يمكن ترتيب حرب منظمة، فجبهة الحقّ ليس لها نصير، والقوة في يد جبهة الباطل والثروة تحت تصرّفها.. وقد شتوا حرباً إعلاميّة بحيث لا يستطيع احد ان يتنفّس. والمعارضون قد تعرّضوا للصلب أو للاغتيال بحيث لا يجرؤ أحد على النهوض، ولم تبق قوّة ولا قدرة لأحد. في مثل هذه الظروف لا بدّ من توجيه هزّة اخرى للمجتمع.

أيّ شيء يستطيع أن يفعله شخص واحد أو مجموعة صغيرة من الناس للمجتمع

الاسلامي الكبير؟ فالإعلام لا تأثير له لان جميع وسائله كانت تحت تصرف الأمويين، ولم يبق إلا عدد محدود جداً يمكنه ان يسمع صرخات الامام الحسين عليه السلام. كم كان سيد الشهداء يستطيع ان يوجه من صرخات؟ وكم كان عدد الأشخاص الذين كان عليه السلام يستطيع أن يوصل اليهم صوته؟ هذا اذا أجزئ له أن يتحدث للناس خلال العشرين عاماً، ولكنهم قد حرموه حتى من هذه الفرصة، فلم يبق أمامه عليه السلام إلا أن يتحدث مع أصحابه بالسّر والخفاء.

ما العمل في مثل هذه الظروف؟

أنه العمل الذي قام به الامام الحسين عليه السلام حيث أوجد هزة في المجتمع الاسلامي سوف يبقى أثرها حتى قيام الساعة. انّ هذا الزلزال سوف يستمر ولن يهدأ، وهي نهضة تستعصي على التحريف وترفض التفسير الخاطيء.

ماذا يمكنهم ان يقولوا؟

انّ آية آية في القرآن الكريم يمكنهم ان يحرفوها وان يفسروها بطريقة خاطئة، أو أنهم يبتدعون لها قراءة جديدة كما يقولون اليوم.

وانّ أيّ حديث شريف يمكنهم ان يقولوا أنه مجعول وكاذب أو هو من الاسرائيليات، أو غاية الأمر ان هذه قراءة تكلم لهذا الحديث! وهناك قراءة اخرى له ايضاً!

ويواجهون المراجع الكرام بقولهم: لا تجعلوا فهمكم مطلقاً، فهناك قراءات اخرى ايضاً!

لكن ماذا يستطيعون ان يفعلوا بنهضة سيد الشهداء عليه السلام؟

ألها تفسير آخر غير انّ مجموعة مطهرة قد وضعت بأنفسها وأحباتها من أجل إحياء الدين؟

لحدّ الآن لم يقدم أيّ مؤرّخ وأيّ انسان منصف تفسيراً غير هذا لنهضة كربلاء.



نعم هناك بعض الأشخاص في هذه الأيام يزعمون أنّ لديهم قراءةً جديدةً لقصة كربلاء!

فهم يقولون ان الحسين عليه السلام - والعياذ بالله - لم يفعل شيئاً مهماً! وما حدث في كربلاء هو ردّ فعل متوقّع للعنف الذي قام به جدّه! فيزيد وأصحابه ما كانوا مقصّرين، لأنّ جدّ الحسين عليه السلام قد قتل آباءهم، فهم جاءوا في كربلاء ليأخذوا الثار فقتلوا أولاد النبي صلى الله عليه وآله!

أنّه التفسير الشيطاني الذي يقدّمه اصحاب القراءات الجديدة في هذا العصر لنهضة كربلاء.

وليس لمثل هذا التعبير سابقة في التاريخ.

انّ العدوّ والصدّيق، المسلم والكافر، المشرك وعابد الأصنام، كل هؤلاء قد وقفوا مندهشين أمام عظمة نهضة كربلاء. وهكذا أصبح الحسين عليه السلام مصباح الهدى ومشعلاً مضيئاً لا يخبو إشعاعه أبداً ولا يمكن إغائه اثره. هذه الهزّة العنيفة هي التي ايقظت المجتمع الاسلامي.

فهذا مصداق آخر للنهي عن المنكر بمعناه العام، حيث قال الامام الحسين عليه السلام: «اريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر»^(١).

فهل حقّق سيّد الشهداء هدفه؟

الجواب: نعم. لقد حقّق الامام عليه السلام ما أراد وقد وصل الى النتيجة التي كان يهدف اليها.

ما هي نتيجة هذه النهضة؟

هي أن يستطيع الناس التمييز بين الحقّ والباطل.

فالهداية هي المهمة الاولى لأنبياء الله وأوليائه. وبعد الهداية اذا كان الناس مستعدين لقبول قيادة هؤلاء العظام فانهم عندئذ يشكّلون حكومة أيضاً. وصحيح ان تشكيل الحكومة هو أحد واجباتهم ولكنّه مشروط بمساعدة الناس ونصرتهم كما صرّح بذلك أمير المؤمنين في خطبته المعروفة بالشقشقية: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر»^(١)

فاذا حضر الناس وأعانوا فأنني أقوم بواجبي. أما اذا لم يحضروا فان واجب تشكيل الحكومة يصبح ساقطاً عني، لكن واجب الهداية باقٍ على حاله.

ان الهداية واجب الأنبياء والأولياء، وفي عصر غيبة وليّ الله الاعظم (عج) يقع عبء الهداية على عاتق العلماء: «العلماء ورثة الأنبياء»^(٢). وهذا الواجب موجود دائماً، ولا يسقط في أي حال من الأحوال عن عاتق أي شخص. واذا انسدت كل الأبواب فلا بد أن يقدم الناس على الشهادة من أجل الهداية حتّى يفهم الجميع ويميزوا. حتّى يتساءل الناس: لماذا استعدّ للشهادة هذا التابع للامام الحسين (عليه السلام)؟ واذا كان عندهم إنصاف فليحلّلوا وليدرسوا الموضوع، وسوف يصلون الى هذه النتيجة وهي أنّه قد قام بهذا الفعل من أجل القيام بواجبه الديني. وسيظهر ان جميع التهم كانت كاذبة.

اذن من الممكن أيضاً ان يكون للنهي عن المنكر مثل هذا المصدق لكنّه: أولاً: موارد ذلك نادرة.

ثانياً: يحتاج الى وعي كبير حتّى يعرف الشخص انّ عليه مثل هذا الواجب. أنّه يحتاج الى توضيح ضخمة بحيث يزهد في كل شيء، وان لا يخترع لأهوائه حيلة شرعيّة، وان لا يبحث عن الذرائع لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومثل

٢. بحار الأنوار، ج ١، ص ١٦٤، الباب ١، الرواية ٢.

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣.



هذه الشخصية نادرة في التاريخ، ولكن الله عزَّ وجلَّ قد أتمَّ الحجَّة عليَّ وعليك.
فان لم يكن هناك أحد فقد كان الحسين بن عليٍّ عليه السلام.
السلام عليك يا أبا عبد الله، فذاك نفسي وأولادي وأبي وامِّي. فلقد أضأت
مصباح الهداية في هذا العالم، فمادام هذا العالم موجوداً فإنَّ ذلك المصباح لن ينطفئ.

واجبات الحكومة والناس في

الظروف الحاضرة

- واجب الحكومة والمجتمع في مجال تعليم الأحكام والمسائل
- واجب الحكومة والمجتمع في مقابل مؤامرات الأعداء
- علل نسيان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ايجاد التنظيمات الاسلامية للقيام بالنشاطات الاجتماعية

ذكرنا فيما مضى أنّ من أهداف نهضة سيّد الشهداء - كما صرّح بها الامام الحسين عليه السلام نفسه - هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد حاولنا أن نبيّن معاني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنّ تحدّد ايّ معنى من هذه المعاني كانت تندرج به هذه النهضة المباركة تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي أيّ ظرف يصبح فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذا المعنى واجباً؟

وخلاصة الجواب هو: اذا حدثت في المجتمع الاسلامي مؤمرات معقّدة تهدف الى محو حقيقة الاسلام وتضليل الناس والقضاء على الحكومة الاسلامية (حكومة الحق)، ولم تفلح الطرق العادية والمتعارفة - سواء أكانت خطوات فردية أم اجتماعية - في حلّ المشاكل، ولم يبق لاثبات أنّنا محقّون ومظلومون سوى طريق واحد وهو النهوض الاستشهاديّ فإنّه يصبح متعيّناً.

وكذا الأمر اذا حدثت ظروف يتوقّف فيها بيان سبيل الحقّ واقامة النظام الاسلامي على مثل هذه النهضة فان هذه الحركة تغدو واجبة.

ومن الواضح انّ نهضة سيّد الشهداء عليه السلام تتميّز ببركة عظيمة بحيث تجعل من المستبعد ان تعود مثل هذه الظروف لتحدث مرّة اخرى في المجتمع الاسلامي فيمسي الجوّ الاجتماعيّ حالكاً ويتعدّر تمييز الحقّ فيه. ونحمدالله تعالى على أنّه قد توفّرت ظروف بعد هذه النهضة المباركة استطاع فيها سائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام ان يبيّنوا حقائق الاسلام في ارجاء العالم الاسلامي، وقد قاموا بتربية تلامذة لهم

أخذوا على عاتقهم تبليغ المعارف الاسلاميّة وترويجها، ودأبوا على ارسال أصحاب لهم الى مختلف البلاد للقيام بحركات الاحياء والارشاد، بحيث لم تكن حاجة للقيام بمثل نهضة الامام الحسين عليه السلام في زمان سائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام. ونسأل الله تعالى ان لا تحدث هذه الحاجة في المستقبل. إلا ان المسائل العامّة ليست تابعة لكثرة مصاديقها ولا حتّى لوجودها، وأنما يظهر حكمها من خلال وجود مصداق واحد. وصحيح أنّه من البعيد ان توجد ضرورة للقيام بمثل هذه النهضة بسعتها وخصوصيّاتها، لكنّه قد تحدث حاجة أحياناً للقيام بنهضة أضيق وأكثر محدوديّة. وقد أشار الى وجود هذا الاحتمال قائد الثورة الاسلاميّة^(١).

وعلى كلّ حال فلا بدّ من الاهتمام بهذا الموضوع لأنّ استعداد المجتمع الاسلامي للتصدّي للأعداء يقلّ من فرص نفوذهم ونجاحهم. أمّا اذا جاء يوم استفرغنا فيه في النوم العميق واستسلمنا فيه لتأثير إعلام العدوّ وفقدنا غيرتنا الدينيّة فحينئذ سوف يطمع العدوّ فينا وقد تحدث ظروف نحتاج فيها الى مثل هذه النهضة الاستشهاديّة. وبهذه المناسبة قدّمْتُ هذا البحث الطويل نسبياً حول الأمر المعروف والنهي عن المنكر وقلت انّ الأمر بالمعروف - بمعناه العام - يشمل عدّة عناوين اخرى، منها عنوان «التعليم»، ومنها عنوان «الموعظة»، وبالتالي نصل الى واحد من أهمّ تلك العناوين وهو عنوان «الجهاد».

واجب الحكومة والمجتمع في مجال تعليم الأحكام والمسائل:

في مجال التعليم قلنا انّ له ثلاث شعب هي: تعليم الجاهل وتنبيه الغافل وارشاد الضال. فالصورة الاولى هي ان يعيش شخص في المجتمع الاسلامي وهو لا يتمتع

١. خطاب قائد الثورة الاسلاميّة آية الله خامنئي في اجتماع الشباب (في مصلى طهران) بتاريخ ١٣٧٩/٢/١ هـ.



بالمعارف الاسلاميّة ولم تتوفر له ظروف يتزوّد فيها بالمعلومات اللازمة في مجال الدين، فهذا الشخص يجب تعليمه. وتعتبر هذه المرحلة من مصاديق الأمر بالمعروف بمعناه العام.

المعنى الثاني هو أن يكون الشخص عالماً بالمسألة ولكنّه قد تعرّض لظروف أدت به إلى الغفلة تماماً عن وجود مثل هذا الحكم والتكليف ومثل هذه المسألة بالنسبة اليه. فالانسان عادة تكون مواقفه واتجاهاته تابعة لوضعه الذهني، وفي كثير من الأحيان يكون وضعنا الذهني تابعا لظروف البيئة، فان كانت البيئة ملوثة ومظلمة وفسادة فقد يؤدي ذلك بالكثير من الناس إلى الغفلة. فاذا سئلوا هل يوجد هذا الواجب في الاسلام فأنهم يجيبون بالايجاب، ولكنهم غافلون عن ان هذا الواجب واقع على عاتقهم أيضاً ولا بدّ لهم من القيام به. ففي هذا المورد يظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة «تذكير الغافل» أو «تنبهه» و«يقاظه».

المعنى الثالث هو «ارشاد الضال»، أي انّ هناك شخصاً لا يتمتع بالمعرفة الصحيحة ولكنّه يتخيّل أنّه يتمتع بها، فهو جاهل من نوع الجهل المركّب. يظنّ أنّه يعرف واجبه ولكنّه مخطئ ومشتبه في ذلك. فهذا الشخص يجب ارشاده ويجب ان نبيّن له أنّه مخطئ اذا كان يتصوّر انّ هذا واجبه أو انّ الواجب لا بدّ ان يتمّ بهذه الصورة، كلاً، فالطريق الصحيح هو كذا والهدف الصحيح هو ذلك. هذا هو ما نقصده من «ارشاد الضال».

هذه واجبات ثلاثة كلّها من قبيل التعليم

ويتمّ التعليم أحياناً بصورة فردية، فكلّ انسان يتحمّل مثل هذه المسؤولية في عائلته بالنسبة إلى أولاده وأهل بيته، فان كان فيهم جاهل أو غافل أو ضالّ فأنّه يجب تعليمه أو تنبيهه أو ارشاده: «قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ

الْجِبَارَةُ»^(١)

فكما انّ الانسان مكلف بالقيام بواجباته الشخصية فهو مكلف أيضاً بتعليم عائلته وأقاربه ومن يؤثّر فيه فكريّاً.

ويقع هذا الواجب - في مستوى أرفع - على عاتق العلماء والمتخصصين في هذه المجالات، فلا بدّ ان ينهضوا بواجباتهم في المجتمع بصورة أوسع وأعمق. وفي العصر الذي يُدار فيه المجتمع بواسطة المؤسسات المتنوّعة لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار مؤسسة معيّنة تتولّى القيام بهذه المسؤوليّة. فالكلّ يعلم انّ المجتمعات السابقة التي كانت تُدار بصورة بسيطة لم تكن فيها مثل هذه الوزارات والتقسيمات التي نلاحظها في الدولة المعاصرة. مثلاً في صدر الاسلام عندما كانوا يبعثون بالمسؤولين الى منطقة معينة فإنهم كانوا يرسلون - على الأقلّ - ثلاثة أشخاص: احدهم الوالي (الحاكم)، والآخر المعلّم والقارئ وهو الذي يعرف القرآن الكريم ويعلمه للآخرين وهو عالم يرجع اليه الناس للاطلاع على المعارف والأحكام، والثالث هو صاحب الخزانة الذي يتولّى جمع الأموال ويقوم بالحسابات اللازمة.

اذن كانت هذه المؤسسات الثلاث فحسب، ثمّ بعد ذلك تعقدت تدريجياً العلاقات في المجتمع وأخذت تظهر مؤسسات جديدة في المجتمع تضاف الى ما سبق حتّى وصلت الوزارات في الحكومات المعاصرة الى عشرين أو ثلاثين وزارة بل فاق عددها الثلاثين في بعض الدول. وفي ظروفنا التي نعيشها حالياً توجد - على الأقلّ - ثلاث وزارات تتولّى الألوان الثلاثة للتعليم، احداها وزارة التربية والتعليم وهي مكلفة بمحو الاميّة وتزويد الأطفال بالعلوم المادية والدينيوية المتعارفة بالاضافة الى التوعية الدينيّة، هذا اذا كان النظام اسلامياً. والحقّ يقال انّ وزارة التربية والتعليم هي من أفضل مؤسساتنا حتّى في زمان النظام السابق وقد قامت بخدمات جلييلة لهذا المجتمع، وكذا اليوم فهي مؤسسة محترمة. ولهذا الأمر أسباب عديدة من جملةها انّ معظم موظفيها من المعلمين والمدرسين ينتمون الى

الطبقة الوسطى العادية وهم أبناء هذا الشعب الذي هو على اتصال دائم بالمحافل الدينية ويتمتع بأفكار دينية قوية ومحكمة، ومن هنا فإنهم يشعرون بالمسؤولية في مدارسهم.

والثانية هي وزارة التعليم العالي وتتولى جانباً من مسؤولية التعليم في المجتمع وتسيير شؤون الجامعات.

والثالثة هي وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي. ويبدو من اسمها ضخامة المسؤولية الواقعة على عاتقها.

ومع الأسف فان نتائج اعمال هاتين الوزارتين لم ترتفع الى الحد المطلوب منهما. وعلى الرغم من تصريحات قائد الثورة الاسلامية التي يخاطب فيها وزارة التعليم العالي قائلاً: لا بد من جعل الجامعات اسلامية. مع ذلك لا نلاحظ أنها قد قامت بعمل جدّي في هذا المجال، ولعلّ السبب في ذلك هو انّ بعض المسؤولين فيها لا يملكون ارادة جادة للقيام بهذه المهمة. ولهذه الظاهرة أسبابها ايضاً، ومن جملة تلك الأسباب انّ كثيراً من أساتذة الجامعات ومديري هذه المؤسسة واقع تحت تأثير الجوّ الخارجي، حيث أمضوا سنوات في اوربا أو امريكا أو انهم تعلّموا على ايدي الذاهبين الى اوربا او امريكا، فأصبحت أخلاقهم وأذواقهم وثقافتهم ومعلوماتهم اقرب الى ثقافة الكفر منها الى ثقافة الاسلام. ومن الطبيعي ان من يتربى على أيدي هؤلاء لن يكون أحسن حالاً منهم. اذن عمل هذه الوزارة ناقص وهو بحاجة ماسة الى عمل كثير.

وأما وزارة الارشاد فالكل يعلم ما هو وضعها الآن وما هو اسلوب عملها. وقد صرّح بعض المسؤولين الكبار في هذه المؤسسة بانهم لا علاقة لهم اصلاً بالدين، وان عنوان الارشاد الاسلامي ليس سوى اسم يطلق على هذه الوزارة. وهذا يعني انّ هذه التسمية مجاملة ليس أكثر وإلا فان عمل هذه الوزارة هو نفس عمل وزارة

الثقافة والفنّ في زمان الشاه! ويصرّحون بأننا لا علاقة لنا بدين الناس! نحن نهدف الى ترويج ثقافتنا الوطنيّة وثقافتنا القديمة والرقص والغناء وما شابه ذلك من امور فنيّة! نحن نريد اشاعة اللغة الفارسيّة والثقافة القوميّة الايرانيّة في سائر الدول! ولا علاقة لنا بالاسلام!

لقد صرّحوا بذلك، واذا كانوا يكذبون هذه الأقوال فلديّ الوثائق عليها وتاريخ التصريح بها ونوعيّة المخاطبين بها.

وعلى كلّ حال فأنّه يجب على هذه المؤسّسات الثلاث في مجتمعنا أن تولي اهتماماً كبيراً بتعليم وتربية شبابنا، وتاريخ عمل احداها جيّد نسبياً، واما الوزارتان الاخريان فعملهما غير مطلوب وقد كانت احدهما سيئة جداً.

وهنا تتساءل: اذا لم تقم هذه المؤسّسات الثلاث بواجبها الاجتماعيّ فماذا يجب على الناس أن يعملوا؟

يقطع النظر عن كوننا مواطنين - حسب الاصطلاح المعاصر - وبهذا العنوان علينا واجبّ إزاء الحكومة ولنا حقّ عليها، لكننا نحن ماذا يجب علينا أن نعمل؟ اذا لم يقم هؤلاء بواجباتهم فهل يمكن أن يشعر الناس بأنّه لا يوجد واجب على عاتقهم؟

لو كان المجال يسمح لي بالتوسّع لبيّنت أنّ هذه الواجبات هي أساساً تقع على عاتق الناس، ولكنّه لوجود الظروف الاجتماعيّة المعقّدة في العصر الحاضر فقد جعلت على عاتق الحكومة. فهناك بحث يدور حول واجبات الحكومة ما هي؟ أهي مجموعة من الواجبات المتعلقة - أصالةً - بالحكومة ولا دور للناس فيها، أم على عكس ذلك هي مجموعة من الواجبات التي يتعيّن على الناس القيام بها، لكن بما أنّ الناس عاجزون عن القيام بها أو أنّه لا يوجد عدد كافٍ من المتبرّعين للقيام بها فإنّ الحكومة تنوب عن الناس في القيام بها. ومن الواضح أنّ التعليم والتربية هما من شؤون الناس. فلا بدّ ان يبذلوا ما في وسعهم لنشر المعارف الاسلاميّة في المجتمع.

ولكن بالنظر الى الظروف الاجتماعية المعاصرة فقد جعلت أبعاد من هذا الواجب على عاتق الحكومة، فهو من شؤونها ولا بد أن تنهض به، ويتعين على الناس ان يطالبوها بذلك. أما اذا قصرت الحكومة - لأي سبب من الأسباب - ولم تقم بواجبها في هذا المجال فإن الواجب لا يسقط عن عاتق الناس.

اذن من جملة واجباتنا - ولاسيما في هذه الظروف التي لا تقوم فيها وزارة التعليم العالي ووزارة الارشاد بما يجب عليهما - ان نتصدى لتعليم الشباب واليا فعيين في مجتمعنا، والمقصود من هذا التعليم الواجب هو تعليم الامور الدينية. وقد توجد ضرورة - أحياناً - لتعليم سائر الامور أيضاً ولكن اهتمامنا الآن منصّب على تعليم الامور الدينية بعنوان كونه من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمعنى ان نسلّحهم بالمعارف الدينية بحيث لا يقعون فريسة للأجواء المعادية فيضعف دينهم ويتزلزل ايمانهم ويحصل لهم الشك في اصول الدين وأسسّه. فهم يُزوّدون بهذه التعليمات حتّى يصبحوا محصّنين ضدّ هذه الظواهر المرصّية.

ويقع القسم الأعظم من هذه المسؤولية على عاتق علماء الدين فلا بد أن يبذلوا قصارى جهدهم لتأليف كتب في هذا المجال في مستويات متنوّعة، وأن يربّوا أساتذة أكفاء، وان يعقدوا صفوفاً مختلفة للتعليم الحضوري وغير الحضوري، الرسمي وغير الرسمي، القصير الأمد والطويل الأمد، حتّى يتمكن الشباب من الانتفاع من هذه الفرص. ومن حسن الحظّ أنّ خطوات قدقّطعت في هذا المضمار، ولاسيما بالنسبة لطلاب الجامعات، وبمساعدة من التعبئة الطلابية ينال التعليم في كلّ عام ما يقرب من ألفي طالب، وقد ألفت كتب بهذا الخصوص، وأصدر قائد الثورة الاسلامية أمره بتدريس هذه الكتب في كلية القوات المسلحة. ويستطيع سائر الطلاب والمعلّمين الحصول على هذه الكتب وإعداد استاذ لتدريسها أو استخدام الأشرطة الموجودة لشرحها وتوضيحها، وذلك بهدف تسليح النفس لحمايتها من

التأثر بالشبهات الشيطانية. وهناك ستّة كتب قد أعدت لهذا الغرض. ومن أحبّ تفصيلاً أكثر في هذا المجال، فإنه يستطيع مراجعة مؤسسة الامام الخميني عليه السلام للتعليم والبحوث في قم، أو مكتب طرح الولاية التابع للتعبيّة الطلابيّة.

هذه هي ألوان التعليم التي يجب علينا القيام بها تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

القسم الثاني هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعنى المواعظ بشكل عام. وهذا القسم أيضاً واجب على الجميع بالنسبة لعائلة الانسان ومن يؤثّر فيهم فكرياً. فالكلّ مكلف بتقديم النصح لأولاده حسب مستواه العلمي، وأن يدلّهم على طريق الخير، وأن يحذّرهم من طريق الشر، وأن يشجّعهم على القيام بواجباتهم الفرديّة والاجتماعيّة.

وتقع هذه المسؤوليّة في مستوى أوسع على عاتق مؤسسات اخرى ومن جملتها الذين يتصدّون بشكل رسمي للوعظ والارشاد. فلا بدّ ان يشعر الواعظون بضخامة مسؤوليتهم وان يكونوا جادّين في إعداد أنفسهم، وان ينظّموا مواعظهم بحيث تلبّي الحاجات الموجودة في المجتمع، وان تحمي الشباب من التورّط في المزالق، وان يولوا الشباب اهتماماً أكبر، وان لا يعتمدوا على القوالب القديمة التي تعود الى مائة أو مائتي عام من قبل، بل يتعيّن عليهم الاهتمام بالحاجات المعاصرة وان يعيشوا مشاكل مجتمعهم الحالي.

وبطبيعة الحال فان للموعظة ظروفها وشروطها، ولما كانت هذه الامور معروفة لدى الجميع، حيث يعرفون شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجال الأعمال الفرديّة البسيطة لهذا لا نريد ان نفصّل هذا الموضوع وانما نتقل الى قسم أهم نريد ان نتعلّم من قصّة عاشوراء ونهضة الامام الحسين عليه السلام.

واجب الحكومة والمجتمع في مقابل مؤامرات الأعداء:

كما أشرنا من قبل فإنّ جانباً مهماً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد غُفل عنه مع الأسف الشديد، ولاسيّما قبل نهضة الامام الخميني (قدّس سرّه)، وهو مايتعلّق بالتّضال ضدّ المؤامرات على الاسلام في المجالات المختلفة من اقتصاديّة وثقافية وسياسيّة وعسكريّة وفي مجال التربية والتعليم. وفي هذا المجال الحساس لا يمكن الاكتفاء بفترة قصيرة من التعليم لإعداد أنفسنا لمثل هذا الأمر بالمعروف، بل لابدّ من تعليم محكم ودقيق محسوب فيه الحساب بحيث يكون متناسباً مع خططهم الشيطانيّة التي أعدت بواسطة متخصصين عكفوا أعواماً عديدة وأنفقوا ميزاتٍ ضخمة عليها. وقد أشار قائد الثورة الاسلاميّة الى جانب منها قائلاً: إنّ الأعداء قد سخّروا بعض مطبوعاتنا لأغراضهم واتّخذوها قاعدة لانطلاقهم^(١) لكي يستغلّوها للهجوم على الاسلام والنظام الاسلامي. فالمطبوعات في داخل ايران واقع بعضها بأيدي أناس قد باعوا انفسهم للأجنبي، ويؤمن بعضها من بيت المال لكنّها قد أصبحت موقعاً للامريكان والصهاينة وسائر الأعداء حيث تنقذ أهدافهم وتعينهم في التسلّل الى عقول الناس وقلوبهم.

فالشئ الذي يتوقّع أن تقوم به اذاعة لندن أو اذاعة امريكا يقوم به هؤلاء متطوعين. وهذا جانب واحد من النشاطات التي يقوم بها العدو ضدّ نظامنا الاسلامي. ولننظر الآن ماذا نستطيع ان نعمل في مقابل هذه المؤامرة، فقط في مجال التّأمر الإعلامي؟

هل يتيسّر لشخص او شخصين أو حتّى عشرة اشخاص ان يتصدّوا لهذه المؤامرة؟ لابدّ ان نفكّر كثيراً وان نستنفر كلّ قوانا لنعرف ما هي الحركات التي يجب علينا القيام بها للتصدّي لهذه الحركة الشيطانيّة المشبوهة وهذا النشاط الواسع المدروس.

١. خطاب قائد الثورة الاسلاميّة آية الله خامنئي في اجتماع الشباب (مصلّى طهران) بتاريخ ١٣٧٩/٢/١ هـ ش.

هذه بعض الموارد التي ينبغي ان تجعلنا حساسين وان تدفعنا للتفكير أكثر في مسؤوليّة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في مثل هذه المواضيع وأن نوليها جدية أكبر.

وفي هذا المجال لا يجري الكلام عن معصية فردية يرتكبها شخص ونحن نقوم بتنبهه، وأما هو امر قد يهدّد كيان الاسلام بالخطر، بحيث نفتح عيوننا في يوم ما واذا بكلّ شيء قد وقع في أيدي الأعداء، ونسأل الله تعالى ان لا يحدث مثل هذا الأمر، وأن بركات سيد الشهداء عليه السلام سوف تحول دون وقوع ذلك ولكن هؤلاء قد وضعوا خطأً دقيقة ووقروا لها مقدماتها وهم يؤملون كثيراً في ذلك. ونحن أيضاً لا ينبغي لنا ان نقلل من شأن العدو، ولكنه يجب التأكيد على أن تكون قلوبنا معلقة بلطف الله تعالى ودعاء الامام صاحب العصر والزمان - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وليس معنى هذا ان نجلس مكتوفي الايدي وان لا نعمل شيئاً، وأما يعني ان نتوكل على الله تعالى وان نقوم بكلّ ما نستطيع معتمدين على دعمه لنا وان نطمئن بوجود النصر الالهي: «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ»^(١) لكنّ هذا مشروط بان نبذل غاية ما في وسعنا وان يكون ذلك باخلاص لله سبحانه، وعندئذ سوف نرى العون الالهي يرفدنا في كل مجال ينقصنا فيه شيء.

وعلى كلّ حال فلا بدّ من التعامل بجدية في هذا المجال وان نبث الوعي به في كل مكان، وقد أعدّ هذا البحث ليكون مقدّمة لاثارة الشعور بالمسؤوليّة بين الإخوة الاعزاء والأخوات الكريمات، ولست أدري ان كنت قد وفّقت لذلك ام لا، وأحاول الآن ان اخرج بنتيجة محدّدة وهي الجواب عن هذا السؤال: ماذا يجب علينا أن نعمل؟ فهناك كثير من الإخوة والأخوات ولاسيّما من الأوساط الجامعية يسألون ما العمل؟ انّ قلوبنا تحترق ونعلم انّ علينا واجباً في هذا المضمار ولكننا لا نعرف ماذا يتعيّن علينا ان نعمل. وأحاول في البداية أن أبين لماذا نحن لا نعلم؟ وكيف تطوّرت

الأوضاع بحيث أصبحنا لا نعلم؟ ثم أحاول بعون الله بيان الخطوط العامة لهذا الأمر.

علل نسيان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

توجد في هذا المجال عدّة نقائص بحيث أدّت الى ان لا نتعرّف - كما ينبغي - على مثل هذه المسألة المهمة. فمع أنّه قد مرّ أكثر من أربعين عاماً على بداية نهضة الامام الخميني عليه السلام - حيث بدأت رسمياً عام ١٣٤١ هـ. ش - وخلال هذه السنين الطويلة سمعنا بيانات الامام عليه السلام وكانت كتبه ووصيته تحت تصرفنا، ومع هذا كلّه نقول أننا لا ندري ماذا يجب علينا أن نعمل؟! وما هي مشكلتنا؟ واذا أردنا القيام بحركة في سبيل القيام بهذه الواجبات فمن أين يجب أن نبدأ؟

المشكلة هي تأثير الإعلام الشيطاني خلال هذه السنين الأخيرة في ترويج ثقافة التساهل والتسامح. فقد روج لهذا الموضوع اشخاص مختلفون وبأنواع مختلفة من البيان - ولعلّ بعض هؤلاء قد قام بذلك عن حسن نية أو أننا على أقل تقدير نحن نظنّ ببعضهم انّ له حسن نية في ذلك - وقد كرّروا الدعوة الى التساهل والتسامح وتحمل أفكار الآخرين وأقوال من هذا القبيل بحيث أثر ذلك فينا جميعاً بشكل أو بآخر. ولعلّي أستثني من قولي «جميعاً» عدداً من الأشخاص بمقدار أصابع اليد كانوا بمنأى عن هذا التأثير. اذن قد صدّق أكثرنا بأنّه في هذا الزمان وفي هذه الظروف لا يمكن التشدّد ولا يصحّ اللجوء الى «العنف» كما يزعمون. أنّهم يطلقون اصطلاح «العنف» على كلّ ما هو غير التساهل والتسامح، من قبيل ان يكون للانسان غيرة دينية أو تعصّب بالنسبة للأحكام الاسلاميّة أو أنّه يقول بضرورة وجود دين واحد هو الأصيل وهو الدين الحقّ وأنّه لا بدّ من تنفيذ الأحكام الاسلاميّة وما شابه ذلك من أقوال. أنّهم يسمّونها بالأفكار المتشدّدة والمتطرّفة والمتعصّبة، ويقولون ان مثل هذه الافكار تعود الى القرون الوسطى! ولا مكان لها في هذا العالم المتحضّر!

ماذا يعني ان يكون «دين واحد» فحسب؟! ليكن ألف دين! أنها التعددية الدينية! وأشياء من هذا القبيل! لقد قالوها وكتبوها كثيراً بحيث أثروا على الجميع بنحو من الأثحاء.

فاذا أردنا أن نستيقظ من هذا النوم العميق وأن نُقلت من هذه المصيدة التي نُصبت لنا فلا بدّ من تمزيق شباك «التساهل والتسامح». ان نسيج هذه الفكرة واهن كخيوط العنكبوت. ففي الدين الاسلامي يوجد اليسر والسهولة يقول الله تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ»^(١)، ولكنه لا يوجد التساهل في الدين الاسلامي. انّ الدين الاسلامي في حدّ ذاته دين سهل يسير ولكنه لا يجوز اطلاقاً التساهل في أحكامه وقوانينه. فالتساهل يعني عدم الاهتمام واللامبالاة، وهو أمر مرفوض، فلا بدّ من الاهتمام بما هو موجود في الدين، أنها مغالطة ضخمة طالما نتبها عليها، ومع ذلك تعود الصحف لتؤكد على ثقافة التساهل والتسامح، ويصدر هذا الأمر من شخصيّة ثقافية مسؤولة في الحكومة، ومع أننا أجبننا على ذلك مرّات عديدة لكننا نعود لنؤكد أنه لا يوجد في الاسلام شيء يسمّى بالتساهل والتسامح، وما ورد من قوله ﷺ: «لكن بعثني بالحنيفيّة السهلة السمحة»^(٢) لا يعني اللامبالاة بالدين، وأنما يعني ان الدين هو بذاته أمر سهل يسير، لكنّ هذا الدين السهل اليسير لا بدّ من الاهتمام به بكامله ولا يصحّ الإخلال بجانب منه حتّى بمقدار رأس الإبرة.

وعلى كلّ حال فقد روجوا لهذه الفكرة وأشاعوا هذه الروح ورغبوا بها شبابنا مستخدمين الآداب من شعر ومسرحيات وقصص وأفلام سينمائية وأشياء اخرى بحيث رشخوا هذا الموضوع في عقول الناس وقلوبهم وخلقوا هذا الجوّ في أرجاء هذا البلد الاسلامي. فلا بد من التعجيل بتمزيق هذه الخيوط العنكبوتية، فكلّ هذا الكلام غير صحيح ولا دليل عليه. فالاسلام يؤكّد على ضرورة الغيرة، والاسلام



يطلب منا الصمود والتقوى والحسم والجدّ، ولا يجيز لنا التساهل واللامبالاة. فان أردنا ان نعرف واجبنا وأن لا تقع في مصيدة الشياطين وأن لا يأتي يوم يهدّد فيه نظامنا الاسلامي بالخطر - والعياذ بالله - فلا بدّ أن نبدأ أولاً بتمزيق هذا الشباك العنكبوتي.

هذه هي الخطوة الاولى، أما الخطوة الثانية فهي تعود الى لون من الضعف الثقافي الذي أصابنا نتيجة لأعمال قد تمتّ خلال فترة طويلة من الزمان ولاسيما خلال نظام الحكم البهلوي السابق - ولعلّ بعضنا قد ساهم في تلك الأعمال - ويتمثل هذا الضعف بحالة عدم الاعتناء التي نشعر بها بالنسبة لأعمال الآخرين، فكلّ انسان منا يهتمّ بعمله فقط ولا علاقة له بأعمال الآخرين، وكل فرد يعمل حسب تشخيصه الذاتي ولا يهتمّ التشاور مع الآخرين والانسجام وتبادل الأفكار معهم. انّ هذا الاسلوب الفردي وعدم الاحساس بالحاجة الى الآخرين في القيام بالنشاطات المختلفة هو نقص ثقافي موجود فينا. فاذا أردنا القيام بالأمر بالمعروف فنحن نقوم به وحدنا، واذا أردنا التعاون مع الآخرين فأقصى ما نطمح اليه هو التعاون مع شخصين أو ثلاثة من أقربنا أو جيراننا في مكان السكن أو في مكان العمل. أما اتنا نحتاج الى ارتباط أوسع وجدّية أكبر في مجال القيام بالواجبات الاجتماعية فهذا ما لم نصدّق به ولم نعمل على أساسه. ولهذا الأمر أسباب متعدّدة لعلّ لنا الحقّ في بعضها، ولكننا نعلم انّ الاسلام قد شجّع على الاتّحاد والتآلف، ويقول الحديث الشريف: «المؤمن ألف مألوف»^(١) فهو يأنس بالآخرين والآخرين يأنسون به. ويقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام: «من استبدّ برأيه هلك»^(٢). ويقول الله سبحانه: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا»^(٣). وكلّنا يعلم انّ الاسلام يحثّ على الوحدة

١. بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٠٩، الباب ١٤، الرواية ٤١.

٣. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٢. نهج البلاغة، الكلمات القصار، ١٦١.

والترابط بحيث يعتبر المؤمنون بحكم الجسد الواحد كما في الحديث الشريف:

«المؤمن أخ المؤمن كالجسد الواحد»^(١)

فنحن المؤمنون الذين نحب القيام بواجباتنا الشرعية ونحب ان لا نرى الاسلام ضعيفاً وان لا توجه طعنة للنظام الاسلامي لا بد أن نبذل غاية جهدنا لإقامة العلاقات فيما بيننا.

وتوجد في هذا المجال مشكلة - وقد قلت لعل لنا الحق فيها - وهي أنه منذ قرن من الزمان ولحد الآن صوروا لنا أنه اذا أردنا القيام بنشاط اجتماعي فلا بد أن يتم ذلك في اطار التنظيم الحزبي.

وقد شككت أحزاب كثيرة لكنّها لم تستقم في مسيرتها، وحتّى بعد انتصار الثورة الاسلامية أسست أحزاب لكنّها لم ينجذب القلب اليها. فمع أن المؤسسين للحزب الجمهوري الاسلامي هم من المقرّبين للامام الخميني (عليه السلام) امثال الدكتور بهشتي والدكتور باهر وسماحة آية الله الخامنئي والشيخ هاشمي رفسنجاني لكن الامام (عليه السلام) لم يؤكد كثيراً على تشكيل هذا الحزب، بل قال: اذا اردتم ان يكون لكم حزب فليكن الحزب الجمهوري الاسلامي. وهذا يختلف كثيراً عن القول بانه لا بد ان تشكّلوا حزباً.

وعلى كلّ حال فقد صوروا لنا الأمر بانه في المجال السياسي الاجتماعي إمّا ان يكون النشاط فردياً وإمّا أن يكون حزبيّاً، ولما كنّا مشتمرين من العمل الحزبي فان الأمر ينحصر في أن نقوم بالعمل الفردي، غافلين عن ان هناك شكلاً ثالثاً للنشاط. فلا العمل الفردي يمثل النموذج الاسلامي ولا العمل الحزبي، وأنما النموذج الاسلامي هو ما توصل اليه الامام (عليه السلام) نفسه ولكنه مع الأسف لم يتمّ بحثه ولا دراسته بشكل كافٍ.

ايجاد التنظيمات الاسلاميّة للقيام بالنشاطات الاجتماعيّة:

في أوائل هذه النهضة الاسلاميّة جاءت الى الامام الخمينيؑ مجموعة من عشاقه وفدائييه وقالوا له: انّ ارواحنا وأموالنا تحت تصرّفك فأمرنا ماذا نفعل، وطلبوا منه تزويدهم بأسلوب العمل. وكان لهؤلاء الأشخاص عدّة هيئات دينيّة وهيئات لإقامة الغزاء. فقال الامامؑ تعالوا قربوا بين هذه الهيئات واوجدوا بينها ائتلافاً. ولتكن الهيئات مستقلّة، فلكلّ هيئة مكانها واعضاءها، وكل مجموعة حرّة في اختيار اسلوب عملها وخطيبها وشاعرها وقارئ الرثاء، لكن على كل هيئة ان تقيم علاقة مع الهيئة المجاورة لها، وليتعاونوا في المشتركات، وليجلسوا لتنظيم الاصول المشتركة بينهم. فهذه الهيئات تأتلف في الامور المشتركة بينها مع حفظ كلّ منها لاستقلالها الداخلي. ومن هنا وجد اسم «الهيئات المؤتلفة» الذي اتخذته مجموعة من الناس عنواناً لها. ولست أقصد الدفاع عن هذه الجماعة ولست بصدد البحث عن ألوان النقد الموجّه اليها، وأنما أردت القول بأنّ هذا النموذج قد اقترحه الامامؑ قائلاً لتأتلف الهيئات الدينيّة. وفي البداية كانت هناك اربع هيئات، احداها تحت اشراف آية الله الخامنتي، والاخرى تحت اشراف الشيخ الرفسنجاني، والثالثة تحت اشراف الدكتور باهنر، وقد قمت بجانب من العمل مع هؤلاء الأعزاء. ثم طلبت هذه الهيئات من الامامؑ ان يعيّن ممثلاً له فيها ينشئ شؤون ائتلافها، وقد استجاب الامامؑ لهذا الطلب فعين المرحوم الدكتور بهشتي ممثلاً لها.

واليوم ايضاً اذا أردنا العمل الجماعي فلا بد ان ننظّم أنفسنا وترابط وتنفاهم، ولا اقصد بذلك ان نقوم بتشكيل حزب، ولست احارب فكرة الحزب، ولكني اقول ان افضل نموذج ينسجم مع القيم الاسلاميّة هو ذلك النموذج الذي اقترحه الامامؑ. فهناك اشكالات ترد على الحزب وهي غير واردة على هذا النموذج المقترح.

فالأحزاب يقوم بتشكيلها عدّة أشخاص، وهؤلاء هم الذين يسيرونها، وفكرهم

هو المسيطر عليها. ويزعمون أنهم يهتمون بآراء الأعضاء ويجرون انتخابات، ولكن هذا هو ظاهر القضية، والحقيقة أن المنهج يعينه هؤلاء الافراد ويسير الحزب على أساسه. فان كانت هناك زعامة فهي لهؤلاء الأشخاص، وهم الذين يقومون بالأدوار الرئيسية. ورؤساء الاحزاب هم الذين يستلمون الحكم عند انتصار احزابهم في الانتخابات، سواء أكانت انتخابات البرلمان أم انتخابات اخرى، وتوجد دوافع قوية تحملهم على ان ينتصر حزبهم بأي ثمن كان. وفي داخل الاطار الحزبي يبذلون غاية جهدهم ليصبحوا اعضاء في القيادة العليا للحزب، وهذا يعني ان الدوافع المادية والدينيّة مؤثرة كثيراً في النشاطات الحزبيّة. ولعلكم سمعتم بان بعض الاحزاب في الجمهورية الاسلاميّة قد استخدمت في الانتخابات الأموال العامّة العائدة للبلدية أو البنوك أو الجامعات أو وزارة التربية والتعليم ومؤسسات اخرى كثيرة، ومع ان هذا ممنوع بنص القانون ولكنهم استخدموا هذه الأموال لتحقيق النصر في الانتخابات!

أمّا النموذج الذي اقترحه الامام عليه السلام فلاتأتي فيه مثل هذه الامور، فالدافع في الهيئة الدينيّة هو الدين، واذا انتخب شخص أو مجموعة أشخاص للقيام بدور أهمّ فان ذلك يعود لتشخيص المنتخبين أن هؤلاء قادرون على القيام بخدمة أكبر، وليس في ذلك أيّ هدف آخر. وفي الحزب يوجد مجال لسوء استخدام الامكانيات الخارجيّة او للتبليغات السيئة وغير ذلك، ولكن هذه الامور قليلة جداً في مجال الهيئات الدينية، ولا يمكن المقارنة بينهما. فالذين يساهمون في الهيئات الدينيّة يتمتّعون بالدافع الديني ويبدلون جهدهم ليتعرّفوا على حقيقة الامور. ولا توجد بينهم المنافسة السيئة التي هي من أقبح سيئات الاحزاب. فالأحزاب تقدّم مرشحيها للانتخابات، واذا سألت اعضاء حزب معين عن مرشّح حزب آخر أليس هو أصلح للأمر من مرشّح حزبكم؟ أحياناً قد يعترفون بأنه أصلح ولكنهم يقولون بانّ حزبنا

قد اتخذ قراراً بهذا الشأن! أنه يشاركنا في الاتجاه السياسي! أو أنه عضو في الجبهة التي ننتمي إليها! وقد وعدنا أن نكون أوفياء لقرارات هذه الجبهة!
إلا أن هذه الامور لا تجري في الهيئات الدينية.

اذن نحن نؤكد على أن تكون لنا تنظيمات دينية قوية، ولكن لا على أساس النموذج الغربي (الحزب)، فلا وجود لنموذج الحزب في الاسلام، وإنما هو مستورد من الغرب. وقد تكون له بعض الجهات الحسنة ولكن فيه عيوب كثيرة، فإذا وجدنا ما هو أفضل منه فلماذا لا نختار الأفضل؟ أنه اسلوبنا الاسلامي وهو الهيئات الدينية. ولنحاول بكل وسعنا ان تكون هناك علاقات بين هذه الهيئات الدينية.

إذن الأمر الأول هو أن نكافح فكرة التساهل والتسامح، وان تقوي في الناس روح الغيرة والشعور الديني. الأمر الثاني هو أن تقاوم الاتجاه الفردي والانطواء على الذات، وان تقوي هذه الثقافة في أنفسنا وهي أننا بواسطة العمل الفردي لا يمكننا مقاومة الشياطين الذين يهددون كيانتنا ونظامنا وديننا، بل لابد لنا من القيام بعمل جماعي منظم، ولا بد لنا من الترابط والانسجام، فان لم يكن هناك سبيل إلا الحزب فلان مناهج منه لان الامام الخميني عليه السلام لم يحاربه ولكن رأيه في الأساس - وقد أكد عليه في بداية النهضة - هو ائتلاف الهيئات الدينية.

اذن ماذا يجب علينا أن نعمل؟

ان اقتراحي هو أن يقوم كل واحد منا في المحلة التي يسكن فيها باختيار مسجد يكون جامعاً الى حد ما ويتميز بامكانيات جيدة ثم تتم الدعوة لأبناء تلك المحلة للحضور في المسجد. وطرق الدعوة متنوعة، والشباب أنفسهم يعرفون كيفية تأثير بعضهم على البعض الآخر بصورة طبيعية، مثلاً اذا كان هناك طالب ممتاز في الصف فانه يستطيع ان يجذب كل أبناء صفه معه. والشباب الطيبون المستقيمون يعرفون كيف يتصرفون. ويجب علينا أن نشجع الشباب على أن يصبحوا محوراً لاجتماع

أبناء محلّتهم. ماذا نفعنا اذا كان الشاب معادياً للثورة؟ من الواضح أنّ أبناءنا ينحرفون في المسيرة المعادية للثورة نتيجةً لقلّة وعيهم. فاذا واجهنا مثل هذا المورد فعلىنا الاتصال بهذا الشاب خارج نطاق الهيئة للتأثير عليه وهدايتة. ولا يصبح عضواً رسمياً في الهيئة إلا بعد الاطمئنان باستقامته. وبعد تشكيل هذه الهيئات نحاول ما استطعنا ان يتولّى الأعمال الأشخاص الذين هم أكثر نشاطاً لتحقيق الأهداف بشكل أفضل. ولتنبعث شورى من أعماق هذه الهيئات وليعقدوا جلسات للتشاور وليضّموا أفكار بعضهم لبعض بصدق وشعور بالمسؤوليّة، وليحاولوا أن يفكروا هم وان يتخذوا القرارات بأنفسهم. إنّ مثل هذا النظام هو الذي سيكون شعبياً، وأما الشعبيّة التي يدّعيها الغربيّون فهي كاذبة. ان تسعين في المائة من الناس لا دور لهم فيها. والشعبيّة الحقيقيّة هي ان يجتمع أبناء المحلّة الواحدة ليتخذوا القرارات بأنفسهم من دون إجبار أو خوف. ومايقومون به ناشئ من الشعور بالواجب والمسؤوليّة. هذه هي الشعبيّة الحقيقيّة وعلى مثل هذا الأساس تقوم الحكومة الشعبيّة، لا ما يروّج له الإعلام الخداع لجذب الأفراد بواسطة التهديد والتطبيع بالمال والمناصب. هل تعتقدون أنّ لائحة الانتخابات التي تحتوي اسماء ثلاثين مرشحاً كان منهم عشرون معروفين عند من انتخبوهم؟ كونوا على ثقة بأنّ تسعين في المائة ممّن اعطوا آراءهم لهذه اللائحة لم يكونوا قد سمعوا من قبل حتّى بأسماء هؤلاء العشرين فضلاً عن ان يكونوا قد عرفوهم من قبل واحرزوا صلاحيتهم للقيام بهذه المهمّة ثمّ اعطوهم آراءهم عن بصيرة واحساس بالمسؤوليّة. هذه هي حقيقة الديمقراطية الغريبيّة. أمّا في الحكومة الشعبيّة الاسلاميّة فالانسان ينتخب شخصاً - شعوراً منه بالواجب الديني - ليتمكّن من تقديم خدمات أفضل للاسلام. وقد يسيّ استغلال الفرص شخص أو شخصان من بين كل مائة منتخب ولكنّ هذه النسبة المئوية الضئيلة يمكن تحملها في مقابل هذا العدد الضخم من

المنتخبين المستقيمين. أما في الديمقراطية الغربية فالأصل والأساس قائم على سوء الاستغلال والخداع والإعلام المضلل لصالح الأغراض الشخصية.

فلنحاول ان نحكم اجتماعاتنا ولنبت فيها روح المحبة والاخوة، ولننظر بصدق واهتمام الى ما اخبرنا به الاسلام حيث يقول المعصوم: «ان المؤمنين اذا التقيا فتصافحا أنزل الله بين ابهاميهما مائة رحمة تسعة وتسعين لأشدهما حباً»^(١)

الى أي حد حاول الاسلام أن يقرب بين المؤمنين الذين يتميزون بهدف واحد لتقوم بينهم علاقات صداقة مبنية على أساس الايمان بالله والتعاون لتحقيق الأهداف الالهية وليس تحقيق ما تقتضيه الأهواء، وفي سبيل ذلك يتعاملون فيما بينهم بمحبة ويغض بعضهم النظر عن عيوب البعض الآخر. فقد نقل عن المعصوم عليه السلام ما مضمونه ان المؤمن اذا ذهب الى باب دار مؤمن آخر ناوياً لقاءه فقط فان الله سبحانه يبعث اليه ملكاً ويكلفه بسؤاله: لماذا جئت الى باب دار هذا المؤمن؟ فيقول: جئت لألقى صديقي. فيسأله: هل تطلب منه أموالاً؟ فيقول: كلاً. فيعود لسؤاله: هل عندك حاجة اخرى اليه؟ يقول: كلاً. فيقول الملك: اذن لماذا تريد ان تراه؟ فيقول: ضاق صدري له وأحببت أن أراه. فيقول الله تعالى لذلك الملك قل لهذا المؤمن: «آيائي زرت وثوابك عليّ، ولست أرضى لك ثواباً دون الجنة».^(٢)

هذه نماذج من تعاليم الاسلام. فلنبذل كل جهدنا لتقوم بيننا علاقات مودة ومحبة، ولنبعد عن أنفسنا ما يعكر الصفو ويكدر خاطر حتى نكون من الممتثلين لقوله تعالى «وَ اغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا». أما اعداء الاسلام فانهم لا يدخرون وسعاً في اساءة استغلال هذه النقطة أيضاً فيصوّرون للناس ان أي وحدة وبأي شكل حصلت فهي مطلوبة، وحتى اذا كان الحكم في أيدي غير المؤهلين

١. بحار الأنوار، ج ٥، ص ٣٢٣، الباب ١٧، الرواية ١١.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٣٤٥، الباب ٢١، الرواية ٤.

فأنهم يدعون إلى اتّباعهم لكي تتحقّق الوحدة.
وهنا نتساءل: إذا كانت الوحدة - كيفما كانت - مطلوبة فإن أكثر الناس على وجه
البيسطة كفّار ومشركون ولكي تتحقّق الوحدة فليصبح المسلمون كفّاراً؟!
ولعلّ تسعين في المائة من المسلمين هم غير شيعة، فهل من الصحيح ان نحثّ
الشيعة ليصبحوا من السنّة حتّى تتحقّق الوحدة؟!
وهل هذه الوحدة مطلوبة؟

كلاً، إنّ الوحدة مطلوبة إذا كانت تدور حول محور الحقّ، يقول تعالى: «أَنْ أَقِيمُوا
الَّذِينَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ»^(١) اتّخذوا الدين معياراً وليكن محور وحدتكم، لا أن تتحدوا
مع من لا دين لهم، فالوحدة مع الأعداء لا تثمر سوى الهلاك والدمار، فلا بدّ من
الوحدة مع الاصدقاء.

أيّ معيار وملاك يجب أن نأخذه بعين الاعتبار لهذه الوحدة؟ هناك معياران
يمكن طرحهما في هذا المجال وهما في الحقيقة يعودان إلى شيء واحد، فملاك
الوحدة في مجال القوانين هو «أحكام الاسلام» وفي مجال التنفيذ هو «الوليّ
الفقيه».

إنّ هذين الملاكين مهمّان بالنسبة للذين يريدون - في الواقع - تطبيق الدين في
المجتمع بيد من هو مأذون من قبل الامام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى
فرجه الشريف. اذن معيار الوحدة هو تطبيق القوانين الاسلاميّة بيد الوليّ الفقيه.

إنّ اختلاف الأذواق كبير ولن يرتفع اطلاقاً، وإنّ الأساليب مختلفة، وإن طرق
التطبيق للأهداف لن تكون موحّدة، إلا أنّ هذين الأمرين يمكن ان يصبحا معياراً
لوحدّة المجتمع: فالكلّ يريد أن يطبق الاسلام، والكلّ يريد تطبيق الاسلام بيد من
هو: أولاً: يعرف الاسلام أفضل من غيره ولاسيّما في الشؤون الاجتماعيّة. ثانياً:

يكون مأذوناً من قبل الله تعالى وأولياء الدين حتى لا يعدّ غاصباً. فان تمسكنا بولاية الفقيه فانّ الاسلام حاصل بطبيعة الحال، لان الولي الفقيه لا يحكم بغير الاسلام. اذن يمكننا القول بانّ الوحدة تتحقّق اذا ما أصبحت ولاية الفقيه هي المحور. أمّا ألوان الوحدة الاخرى مثل الوحدة القائمة على أساس الديمقراطية والقيم الغربية والحرية فانّها غير مطلوبة، لانّ الحرية التي ينادون بها قد لاحظتم نموذجها في مؤتمر برلين!

وقبل ذلك بفترة طويلة كنت قد أشرت في جامعة طهران الى نوع الحرية التي يبحث عنها هؤلاء، ولكنّه قد هاجمتني الصحف عند ذاك بشدّة واعترضت عليّ مجموعة من الشخصيات الكبيرة في البلد.

والآن لاحظوا ماذا يريدون، وأيّ وحدة وأيّ حرية يطالب بها ممثّل تلك الفئة الطلابية وسائر الفئات، وبأية دلّة وحقارة عقدوا ذلك المؤتمر! لقد سحقوا كرامتهم وكرامة بلدهم وكرامة شعبهم بهذه التصرفات! ولكنّ كرامة الاسلام والمسلمين أرفع من أن نستطيع تدنيسها أمثال هؤلاء الساقطين، فاللّهُ سبحانه يؤكّد في كتابه الكريم:

«وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِزُسُوْبِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ»^(١)

الآن هؤلاء قد لوثوا كرامة المجتمع الاسلامي بمقدار ما لفظوه من نجاسة من أفواههم! وقد عرف الجميع نوع الحرية التي يريدونها! فهل الوحدة القائمة على هذا الأساس يمكن أن تكون مطلوبة؟

وحتى لو فرضنا أنّ جميع هذه الفئات قد اتحدت في جبهة واحدة فهل هذا أمر مطلوب بالنسبة للاسلام؟

انّ ما يريده الاسلام هو الوحدة القائمة على أساس الدين، ومثالها ورمزها هو الولي الفقيه.

فاذا أردنا اختيار الأصدقاء ومن نتعاون ونفكر معهم فلنجعل أماننا هذا الأصل وهو أن ننظر هل أنهم يريدون تطبيق أحكام الاسلام أم لا وإنما هم يريدون التحلل من أحكام الاسلام بهذه الذريعة وهي قولهم ان هناك قراءة اخرى للاسلام أيضاً! ولكي يفروا من حكم الاسلام يقولون: ان هذا هو فهمكم للاسلام، فلاتحولوا فهمكم الى شيء مطلق! ان هناك ألواناً اخرى من الفهم له أيضاً!

ان هذا يعني «الانكار للدين». فعندما يترك العمل بالأحكام الجزائية للاسلام وتصبح الأحكام الشرعية اعتباريات لاتتمتع بأساس عقلائي وواقعي! فماذا سوف يبقى من الدين حينئذ؟

أنا نريد حقاً تطبيق أحكام الدين ونعتقد بواقعية ما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي الأكرم ﷺ وما نهض من أجله الامام الخميني رحمه الله، ولا نريد الاسلام الذي يقوم بتفسيره خريجوا جامعات لندن أو سائر الجامعات الغربية! وهم يحاولون ان يفرضوا علينا القراءات المتعددة! أننا نريد قراءة الله وقراءة النبي ﷺ وقراءة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وقراءة جميع العلماء طيلة الف واربعمئة عام. هذا هو الاسلام، وغير ذلك ليس باسلام. ليس هناك اسلامان: اسلام هذا واسلام اذاك! ان هذا مجاز في التعبير، والحقيقة ان الاسلام شيء واحد، وماعناه كفر وإلحاد قد أطلقوا عليه اسم قراءة اخرى للاسلام!

يتعين علينا ان نحبي الجلسات الدينية وان نجعل المسجد هو المحور في الحركة وان نجذب اليه جميع أهل المحلّة من المؤمنين بالاسلام ويريدون تطبيق احكام الاسلام ويعترفون بولاية الفقيه، ولتبادل المحبة والمودة ولنغض الطرف عن أخطاء بعضنا وأن لا نضخم الأخطاء الصغيرة، ولنبذل كل جهدنا في مساعدة الآخرين. واذا كانت اليد خالية من حطام الدنيا ولا نستطيع تقديم المساعدة المادية للمحتاجين فعلى أقل تقدير نعينهم بالكلمة الطيبة، يقول الله تعالى: «وَيُؤَيِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ»^(١) ولنحي الروح التي كانت سائدة في اوائل الثورة وايام الحرب المفروضة حيث كان الناس يتنازلون عن طعام عوائلهم من أجل المصلحة العامة، فان إحياء هذه الروح يؤدي الى ترابط أكبر فيقدو المسلمون بحكم الجسد الواحد. وعندما يتحقق هذا التشكّل فما هو الغذاء الفكري الذي يُقدّم فيه؟ لا شك أنّ المحور الأصلي هو القرآن الكريم والأحاديث الواردة عن النبي الأكرم ﷺ والأئمة الطاهرين ﷺ، ويتم توضيح ذلك بواسطة الأشخاص الذين أيدت الشخصيات الاسلامية المعترف بهم صحّة تفكيرهم واتجاههم. فالامام الخميني رحمه الله قال: ان جميع كتب المرحوم الشهيد مطهري معتبرة، فعلياً ان نهتمّ بها وتداولها، وان لا نذهب الى الكتب المشكوكه أو معلومة الكذب أو معلومة الخطأ، بذريعة أننا نريد شيئاً جديداً! فاذا كان هذا العذر صحيحاً فلنترك القرآن اذن ولنبحث عن شيء آخر بديل له! لأن القرآن يعود الى ما قبل الف واربعمئة عام! فهل هناك قاعدة تقول كل ما هو قديم فهو سيئ وكل ما هو جديد فهو حسن؟ انّ عكس هذا الادعاء هو أقرب إلى الصحّة، فكل ما هو جديد في الدين فهو بدعة وضلالة، يقول الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام: «و ما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنّة، فاتّقوا البدع، والزمو المهيّج (الطريق الواضح)، انّ عوازم الامور (ماتقادم منها) أفضلها، وانّ محدثاتها شراؤها»^(٢).

نعم قديكون هناك تفسير جديد لآية وهو صحيح، ولكنّ التجديد في الدين واختراع اشياء من النفس ونسبتها للدين هو بدعة وضلالة، وكل ضلالة فمصرها الى جهنّم. أمّا استخدام الاسلوب الصحيح للتحقيق واستخراج مواضيع جديدة من الكتاب والسنة فهو أمر يسلم به الجميع وقد سار عليه جميع علمائنا على طول التاريخ، ولكنّ هذا قائم على اساس اسلوب معقول ومعتبر وبطريقة صحيحة واستدلالية، وليس بما يرضي الأهواء! أو يرضي الأمريكان! أو يرضي المعادين للثورة! أو يفرح الصهاينة!

كلّ من يستخدم اسلوباً صحيحاً للتحقيق في الكتاب والسنة ويظفر بنتاج جديدة فان ذلك مقبول ومطلوب.

اذن ينبغي ان يكون هدفنا هو أن نفهم الكتاب والسنة وروح الاسلام بشكل أفضل، وان نقف في وجه الشبهات التي توجه للاسلام ونقدّم أجوبة شافية عليها، والى جانب ذلك نحاول جهدنا أن نتعرف على الامور الحديثة التي تتعلّق بالعالم الاسلامي - سواء مايتعلّق ببلدنا ام ما يتعلّق بالبلاد الاخرى - وان نتمنّع بالتحليل السياسي الواعي والشامل. انّ هذا هو ما يجب علينا ان نقوم به.

مشكلتنا هي اننا نتصوّر انّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو دائماً عمل فرديّ، واذا أردنا ان نقوم بخدمة للدين فالحدّ الأقصى هو أن نساهم في المظاهرات وان نردّد الشعارات. انّ هذا التصوّر خطأ، ورفع الشعارات هو بداية العمل. فاذا انتهت العشرة الاولى من المحرّم فان مجالس العزاء تقلّ تدريجياً وتنتهي، وكذا الحماس والحرارة والشوق الذي اكتسبناه من ذكر سيّد الشهداء عليه السلام. لكنّ هذه البرامج يجب ان تكون بداية للعمل الأصلي وان نستمرّ في هذا الخط وان نحفظ ما اكتسبناه من نور خلال إقامة العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام وان نقوي أسس الوحدة والتفاهم التي ظفرنا بها خلال هذه المناسبة، لا أن نجمد ذلك حتّى تحلّ علينا المناسبة مرّة اخرى في العام القادم.

فلنتخذ قرارنا منذ الآن - ولست اقصد اصدار الاوامر لأحد ولكنّ الأسئلة المتكررة لي حول ماذا نفعل تدفني لأقول هذا، واذا توصلتم لسبيل أفضل فأرجو ان تدلوني عليه حتّى أعمل به - ولنجذب أبناء محلّتنا ليشكّلوا هيئة، ولعلّ الامور تكون متعسّرة في البداية ولكنّه بمرور الزمن وتدرجياً سوف ينسجم أبناء المحلّة في هيئة نظيفة لا غشّ فيها ولا خداع، لكي نفهم الدين بشكل أفضل، ولكي نستفيد من هذا التجمع في المواقع الضرورية. وبمجرد ان تنتظم هذه الهيئة فإن علينا ان نقيم

علاقة التعاون والمحبة مع الهيئة المجاورة لنا. فاذا كان في المدينة عشرون محلّة فليجمع عشرون ممثلاً لها أو أكثر، من كل هيئة شخص أو أكثر، لكي يحققوا الانسجام بين أعمال هذه الهيئات. مثلاً يختارون شورى لهم، يتبادلون بينهم المعلومات والأخبار، وعن طريق هؤلاء تصل تلك المعلومات في فترة قصيرة إلى جميع اعضاء الهيئة. ولتتذكّر أحداث اوائل الثورة عندما كان الامام الخميني عليه السلام يصدر بياناً فإنه كان يتمّ توزيعه خلال ليلة واحدة، وكانت روح التعاون هي السائدة بين الناس، ولكنه مع الأسف قد فقد أكثرنا هذه الروح، ونشكر الله تعالى على ان بعضنا لم يفقدها وانما ضعفت قليلاً، فلنحيها من جديد، فان طريق النصر على أعداء الاسلام هو تقوية العلاقات الانسانية والاسلامية بين المسلمين المعتقدين بأحكام الاسلام وولاية الفقيه. فان قمنا بتسيخ هذه العلاقة وتقويتها، فان امريكا بل وكلّ العالم لا يستطيع أن يلحق بنا ضرراً.

وخلاصة القول ان محور البحث في هذه الجلسات لابد ان يكون في البداية هو اكتساب المعارف الاسلامية والجواب على الشبهات والتعرف على الشؤون السياسية للعالم الاسلامي من خلال التحليلات التي يقدمها أشخاص يُطمئن بهم، وملح هذه الجلسات هو إقامة العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام وفي الواقع انه روح هذه الجلسات، وأما اذا اقتصرنا على إقامة العزاء فانّ ذلك لا يحلّ مشكلتنا. ان ذكر سيّد الشهداء يجمعنا، ولكن لأيّ هدف يجمعنا؟ لكي نفهم الاسلام أكثر ولكي نقاوم أعداء الاسلام بشكل أقوى وأشمل. فالهدف ليس هو أن تقطع الوقت كلّ في العزاء، وأما العزاء لابد ان يكون ملح اجتماعاتنا، ولا يصحّ أن نتخذ الملح بدل الطعام. إن علينا أن نبذل قصارى جهدنا لتعلّم المعارف الدينية بشكل أفضل ولنتمكّن من الجواب على الشبهات، وأن نلّمّ بالمسائل السياسية، وان نتعلّم بشكل أفضل طرق المقاومة لأعداء الاسلام.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في القرآن

- المعنى الاصطلاحيّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- الشعور بالمسؤولية بالنسبة للآخرين
- لماذا استعمل القرآن تعبير المنافقين في مقابل المؤمنين؟

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدّث بأشكال مختلفة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد وقع اختيارنا على آيتين كريمتين من سورة التوبة سوف نتبرك بذكرهما ثم نتحدّث عنهما بشكل مختصر يتناسب مع حجم هذا الكتاب.

يقول الله تعالى:

«الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^(١).

ويقول عزّ وجلّ:

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ سَنَرْحَمُهُمْ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^(٢).

المعنى الاصطلاحيّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ما هو مفهوم «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»؟

ان معنى عبارة «الأمر بالمعروف» واضح جداً بالنسبة الينا حسب الظاهر، فهي تعني الأمر بالأشياء الحسنة. وكذا الأمر بالنسبة الى عبارة «النهي عن المنكر»، فهي تعني النهي عن الأشياء القبيحة.

٢. سورة التوبة، الآية ٧١.

١. سورة التوبة، الآية ٦٧.

ومن الواضح أنه خلال مسيرة التحوّل في الكلمات يحدث أحياناً توسّع في معنى الكلمة، وأحياناً أخرى يحدث تضيق في معناها. ففي بعض الموارد يؤدي استعمال الكلمة التي أن يصبح مفهومها أوسع من مقتضاها الأصلي. وهذا هو ما حدث بالضبط في موضوع بحثنا. فالفهاء عندما يبحثون موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقولون أنّ معنى العلوّ أو الاستعلاء مستتر في مفهوم كلمة الأمر، بمعنى أنّ من يأمر أمّا ان يكون ارفع من المأمور وأمّا ان يضع نفسه في مثل هذه المنزلة ويأمر من موضع أعلى. فالرجاء ليس «امراً»، بمعنى ان من يقول «أرجو ان تفعل كذا» فان هذا القول لا يعتبر امراً. فمقتضى كلمة الأمر هو ان يتمّ بصورة الاستعلاء. ويحتاط بعض الفقهاء فيقول: إنّ تكليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتحقّق إلا اذا كان الأمر قد أمر «عن استعلاء».

درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عندما نتأمّل في حكمة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموارد استعمال ذلك في الآيات الكريمة والروايات الشريفة فأننا نلاحظ لوناً من التوسّع في مفهوم ذلك. وسوف نقوم ببيان بعض مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الروايات حتّى يتبيّن التوسّع الحادث في مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١ - الشعور القلبي: عندما ندرس مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الروايات الشريفة نلاحظ ان أوّل مرتبة لهذا الواجب - ولاسيما النهي عن المنكر - هي الإنكار بالقلب، بمعنى ان الانسان حينما يشاهد حدوث المعصية والانحراف في المجتمع فانه يتعين عليه ان يشعر بالاشمئزاز منه في قلبه وان يتألّم منه. وهذه هي المرتبة الاولى للنهي عن المنكر.

٢ - إظهار الرفض: حسب الروايات الواردة فإنّ على الانسان - في المرتبة



اللاحقة - ان يظهر رفضه واشتمئزازه على ملامح وجهه. فاذا واجه الانسان حدوث العمل القبيح في المجتمع فإنّ عليه - بالاضافة الى انكاره الباطني - ان يظهر رفضه للمعصية بواسطة العبوس والتقطيب. وقد ورد في احدي الروايات ان الانسان اذا واجه المعصية ولم يقطب جبهته اعتراضاً على ذلك فان تلك الجبهة سوف تحرق في نار جهنم . فالمرتبة الثانية التي تأتي بعد الانكار بالقلب هي ان يظهر اثر ذلك الانكار القلبي على الوجه.

٣ - الإظهار باللسان: المرتبة الثالثة هي ان يحتج على حدوث المعصية بلسان. ولهذه المرتبة بالذات درجات ومراحل: ففي المرحلة الاولى يبدأ بالتذكير بالمعروف والمنكر باللسان الطيب اللين اذا كانت الظروف مناسبة والأرضية معدة للتأثير بهذه الطريقة. أما اذا لم ينفع التذكير بالكلمات اللينة فان المرحلة اللاحقة هي الحيلولة دون وقوع المنكر بالكلام الشديد واللغة القاسية.

٤ - الرد بواسطة اليد: اذا لم يؤثّر التذكير باللسان في الفرد العاصي فإنّ المرحلة اللاحقة هي التعامل الفيزيائي والردّ باليد. ويجب القيام بهذه المرحلة اذا كانت الظروف مناسبة. واذا كانت هناك حكومة اسلامية تسيطر على المجتمع الاسلامي فإنّ هذه المرحلة - وهي الردّ باليد - لابدّ ان يقوم بها مسؤول رسمي أو شخص أُجيز له القيام بهذه المهمة من الجهات الرسمية المسؤولة.

٥ - الجهاد: انّ المراحل السابقة الذكر تتعلق جميعاً بالموارد المتعارفة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غير أنّ هناك مرحلة اخرى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مذكورة في الروايات وهي شاملة للجهاد أيضاً. وبشكل عامّ فإن جميع انواع الجهاد تعتبر من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وحتّى الجهاد الابتدائي - الذي هو جهاد للتنوير والهدف منه هو رفع العوانع التي تحول دون هداية الناس - فإنّه في الواقع يعتبر لوناً من ألوان الأمر بالمعروف، لان الجهاد

الابتدائي يدفع المجتمع نحو الحق ويهديه إلى الصراط السويّ. وكذا الجهاد الدفاعي فهو أيضاً لون من النهي عن المنكر، وذلك لان الجهاد الدفاعي هو من أجل بقاء الحق في المجتمع بحيث لا يسيطر عليه الكفر والانحراف والضلال. وهناك قسم آخر من الجهاد وهو الجهاد مع أهل البغي أو جهاد البغاة (و البغاة هم المشيرون للاضطرابات في داخل البلد الاسلامي ويقتلون الناس عشوائياً، وهؤلاء لابد من قتالهم). وهذا هو أيضاً من مصاديق النهي عن المنكر، لأنه يقاوم الفساد الناشئ من التصرفات اللامسؤولة التي يقوم بها المخلون بالأمن الاجتماعي ويحول دون استمراره.

وللجهاد مصاديق اخرى خاصة قد تقع أحياناً ولكنها نادرة الحدوث، مثلاً قد يتعرّض أساس الاسلام للخطر في جهة من جهات العالم أثناء ظروف معينة، وفي هذه الحالة يجب على الحكومة الاسلامية وعلى المسلمين أن يقفوا في وجه هذا الفساد وان يصدّوه.

في أيّ مورد يحقّ للناس الردّ باليد؟

إذا كانت الحكومة الاسلامية غير موجودة في عصر معين وفي بلد خاص أو كانت الحكومة الاسلامية ضعيفة وغير قادرة على التصدي للمنكرات وشعر الناس بانّ الاسلام يتعرّض للخطر في هذا البلد ففي هذه الحالة يجب على الناس النهوض للنهي عن المنكر حتّى تتمّ المحافظة على حقيقة الاسلام وأحكامه ويتمّ احياء القيم الاسلامية في المجتمع.

٦ - الحركة الاستشهادية: أحياناً قد لا تكون في المجتمع حكومة اسلامية قوية بحيث تستطيع أن تحول دون وقوع الفساد، سواء أكان فساداً في العقيدة أم فساداً في العمل، فإمّا أن تكون الحكومة المسيطرة كافرة وإمّا ان يكون الذين يحكمون باسم الاسلام هم في الواقع من أهل النفاق، أو توجد بينهم عناصر منافقة بحيث

يفقد الجهاز الحاكم قدرته على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون الأفراد المتصدّون في المجتمع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهدف إصلاح الامور والحيلولة دون الفساد لا يتمتّعون بتلك القدرة التي تؤهّلهم للأنتصار على الحكّام المتفطرسين من أجل تطبيق الحقّ، ففي هذه الحالة قد ينهض هؤلاء الأفراد بحركة - للقيام بهذه الفريضة - تنتهي باستشهادهم مظلومين، بحيث يؤدّي استشهادهم هذا إلى بقاء الاسلام.

والمصداق الأتمّ لهذا الأمر هو نهضة ابي عبدالله الحسين عليه السلام الذي أعلن الهدف لنهضته المباركة بصورة صريحة قائلاً:

«أني لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله أريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»^(١).

فهو عليه السلام يصرّح بأنّ الهدف من نهضته هو اصلاح المجتمع بواسطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومثل هذه الحركة التي انتهت باستشهاد الامام الحسين عليه السلام تعتبر المصداق الأتمّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إنّ هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقتصر على تعبير الوجه ولا على الاعتراض باللسان ولا على الرد الفيزيائيّ المحدود، وأنما هو حركة ضخمة وعميقة بحيث أدت الى تحوّل تاريخي عظيم، ومادام المجتمع الانسانيّ باقياً فإنّ آثارها سوف تبقى. ومن الواضح أنّ مثل هذا المصداق - ولاسيّما في أرفع مستوياته مما تحقّق على يد سيّد الشهداء عليه السلام - لا يحدث إلا نادراً.

الشعور بالمسؤوليّة بالنسبة للآخرين:

وفي هذا المجال توجد ملاحظة مهمّة وهي ان الناس في المجتمع لا بدّ أن يشعروا

بالمسؤولية بالنسبة للآخرين، ولا بد ان يكون لكلّ منهم لون من الاشراف والرقابة على البعض الآخر. وهذه الظاهرة موجودة - بشكل أو بآخر - في المجتمعات الانسانية المتحضرة مع اختلاف درجاتها في التحضر. ولعلّه لا يمكن العثور على أيّ مجتمع يتمتّع بشيء من الحضارة لكنّه لا يوجد مثل هذا الشعور بين أبنائه والمنتسبين اليه.

فالانسان لا بد ان يكون له شعور بالمسؤولية بالنسبة لسلوك الآخرين، إلا ان درجات مثل هذا الشعور بالمسؤولية تختلف في المجتمعات المتنوعة حسب النظام القيمي السائد فيها. ولما كانت مصاديق الفعل الحسن والفعل القبيح تختلف في المجتمعات المتنوعة حسب أنظمتها القيميّة فإنّ درجة حساسيّة الناس بالنسبة لسلوك الآخرين تتوقّف على نوع رؤيتهم الكونيّة ونظرتهم للانسان والمجتمع الانساني.

وهذا البحث طويل ومفضّل لكننا هنا نشير اليه بشكل مختصر:

النظام القيمي الفردي والنظام القيمي الاجتماعي:

إنّ الرؤية المسيطرة على المجتمعات بالنسبة للناس يمكن تقسيمها بشكل عامّ الى طائفتين: المجتمعات الفرديّة والمجتمعات الاجتماعيّة. ولكلّ واحدة من هاتين الطائفتين توجد مراتب ودرجات مختلفة. فبعض الناس - في حياته - لا يفكر إلاّ بنفسه، فاذا أراد الراحة فانه يطلبها لنفسه، واذا أراد التقدّم فانه يريده لنفسه. ولا يختلف الأمر بالنسبة لهذه الفئة ان تكون الراحة - أو التقدّم - مادّيّة أو معنويّة. انّ محور أفكار هؤلاء ونشاطهم هو نفي الضرر أو كسب المنفعة لأنفسهم.

وفي الطرف المقابل يوجد أشخاص يعتبرون أنفسهم شركاء للآخرين ومرتبطين بهم في الحياة الاجتماعيّة. وتعتقد هذه الفئة ان المجتمع كلّ واحد منسجم ويرتبط

بعض أفرادها بالبعض الآخر. ومن هنا فإن كل عضو في هذا المجتمع لا يفكر بنفسه فقط. فإن طلب الخير والبركة فإنه يطلبهما للجميع، وإن أحبّ التقدّم فإنه يحبّه للجميع. وحتى إذا أراد التقدّم المعنويّ والسعادة الاخرويّة فإنه يتمنّاهما للجميع.

رؤية الاسلام للانسان:

انّ الأنبياء ﷺ عموماً ونبيّ الاسلام الأكرم ﷺ خصوصاً يقوون جانب الرؤية الاجتماعية. فالدين الاسلامي الحنيف يحاول ان يربي الانسان في جميع مراحل حياته بحيث يصبح مهتماً بجميع الناس ولاسيّما أعضاء المجتمع الاسلامي. فنحن نعلم - مثلاً - انّ الصلاة عبادة فرديّة، وكل انسان يظهر عبوديته لله سبحانه بشكل من الأشكال، ونحن المسلمين نظهر عبوديتنا لله عزّ وجلّ بصورة الصلاة، وفي الصلاة يقرأ المصلّي سورة الحمد، ولكنّه عندما يريد اظهار عبوديته لله تعالى فإنه لا يخاطبه بقوله «اياك أعبد» وأنما يقول «اياك نعبد». فحتّى اذا وقف الانسان وحده يصلي في محراب العبادة في منتصف الليل فإنه يجب ان يقول: «اياك نعبد»، وحتّى لو قطع المسلم الصحراء وحده ووقف للصلاة وليس معه أحد فإنه لا يبدّ ان يقول: «اياك نعبد»، ولا يصحّ له اطلاقاً وفي أيّ حال من الأحوال ان يقول: «اياك أعبد»، بل لا يبدّ ان يقول «اياك نعبد واياك نستعين». وهذا يعني انّ المؤمن ينظر الى سائر المؤمنين وهم معه. وكذا الأمر عندما يريد أن ينهي الصلاة فإنه يسلم على النبي ﷺ بقوله: «السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته» وذلك لما تميّز به شخصيّة النبي الأكرم ﷺ من عظمة لا يشاركه فيها أحد، إلا انّ الصلاة لا تنتهي بالسلام على النبي ﷺ وأنما هي تتمّ بالقول: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته». فالمؤمن أثناء الصلاة كلّها يرى المؤمنين دائماً الى جانبه، وعندما ينتهي منها فإنه يسلم على جميع المؤمنين. هذه هي التربية

الاسلامية. ففي جميع الأحكام الاسلامية - سواء أكانت عباداتٍ فرديةً أم عبادات اجتماعية، وفي الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والتربوية وحتى الجهاد والدفاع وغيرها - لا بد أن يعتبر المسلم نفسه شريكاً لسائر المؤمنين ومرتبطاً بهم. هكذا يربي الاسلام أبناءه.

الرؤية الغربية للانسان:

أما التربية الغربية - ولاسيما خلال القرنين الاخيرين - فهي ذات اتجاه فردي. ولهذا يهتم الانسان في الرؤية العلمانية (فصل الدين عن الدولة) بمصلحته فحسب، وتسير العلاقات الانسانية والعاطفية فيها نحو الضعف، وينهار البناء العائلي وينفصل الزوجان عن بعضهما ويهرب الأولاد عن الأبوين ولا يعرف الجار شيئاً عن جاره الملاصق لبيته. ويكون المحور الفكري للانسان - في هذه الرؤية - هو مصلحته ولذاته الشخصية.

ضرورة إشراف المجتمع على أعمال الآخرين:

إن هذا الاتجاه الفردي مع كل ما فيه من نقص وقبح ولكنة في نفس الوقت لا يمكنه التخلي تماماً عن المسؤولية التنفيذية والإشراف على أعمال الآخرين، وذلك لأن مصالح الانسان ولذاته وآلامه ترتبط عملياً - وفي العالم الخارجي - بالأفراد الآخرين. ومهما كان الانسان مهتماً بمصالحه الشخصية فإنه يدرك أن مصالحه الشخصية لا يتيسر تأمينها إلا بواسطة تأمين مصالح الآخرين. فاذا أراد الانسان الظفر بلذة في الحياة فإنه لا يستطيع ان ينالها وحده بل لا بد من وجود شخص آخر معه حتى يتمكن من الظفر بلذته. وكذا اذا حاول الانسان ان يحرز تقدماً في نشاطاته الاجتماعية - التجارية أو الصناعية - فإنه لا يستطيع أن يحقق نجاحاً

وحده وأما هو مرغم على التعاون مع الآخرين. وإذا أحبَّ الانسان ان يتمتع بالخدمات الصحيّة وان تكون له بيئة سليمة فانه لا يمكن ان يتخذ هذا القرار وحده. فالبيئة لا تكون سليمة إلا إذا أعان الآخرون على سلامتها. مثلاً نحن نعلم اليوم أنّ أضرار التدخين في العالم قد اصبحت واضحة للانسان، ولهذا يمنع التدخين في الغرف المغلقة وفي الصالات العامّة. فاذا اراد الانسان ان يدخّن سيجارة فلا بدّ ان يخرج من المبنى ويدخّن في الفضاء المكشوف وبعد الانتهاء من التدخين يعود الى داخل المبنى، وذلك لأنّه اذا سُمح بالتدخين في داخل الغرف والصالات فان الآخرين يُضطّرون لاستنشاق الدخان فيلحق بهم الضرر. ومن هنا فانهم يُرغمون على مراعاة حال الآخرين. ويُطبّق هذا الأمر في ظلّ سيادة الاتّجاه الفرديّ.

وهناك مثال لطيف يُضرب في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو: ان مجموعة من الناس كانت تستقلّ سفينة تمخر مياه البحر، وفي هذه الأثناء لوحظ أحد ركّاب السفينة وهو يثقب جدار السفينة من مكان جلوسه. ولما اعترض الآخرون على فعله هذا أجاب قائلاً: إنّ هذا المكان تحت تصرّفني وأنا أثقب مكاني الجالس فيه ولا علاقة لكم به. وتدخّل ركّاب السفينة الآخرون ومنعوه من ثقب السفينة قائلين له: صحيح انك تثقب المكان الذي تجلس فيه أنت، ولكنّه عندما يدخل ماء البحر الى داخل السفينة فأنّه لا يميّز بيني وبينك وسوف يؤدّي بنا جميعاً الى الفرق.

وكذا الحال في مجال الحياة الاجتماعيّة فالانسان لا يستطيع أن يهتمّ بمصلحته فحسب وأن يقصر التفاته الى فعله وأن لا يتدخّل في أفعال الآخرين، فاذا رأى الانسان شخصاً يلحق الضرر بالمجتمع فأنّه لا بدّ ان يكفّه عن ذلك وان ينهائه عن هذا العمل. وفي هذا المضمار لا يسمح المجتمع لهذا الشخص ان يقول: إنّ المكان يتعلّق بي، فهو بيتي، أو محلّ عملي، أو هي مدينتي، وأما اذا لاحظ المجتمع أنّ الضرر

يلحق الجميع فمهما كان هذا المجتمع ذا اتجاه فرديّ فإنه يتدخل في عمله ويمنعه من القيام به حتّى بعنوان المحافظة على مصالحه الشخصيةً أيضاً.
اذن حتّى في المجتمعات التي يسودها الاتجاه الفرديّ نلاحظ وجود الإشراف العامّ للناس بشكل أو بآخر.

حدود إشراف المجتمع على أعمال الآخرين:

إنّ حدود الإشراف في المجتمعات الغربيّة معروفة للجميع وتتمثّل في أنّ إشرافهم على أعمال الآخرين إذا لم يتحقّق فإنّ ضرر ذلك يعود عليهم أنفسهم، ولهذا فإنّ المجتمع يبسط إشرافه في مثل هذه الحالات. وأمّا إذا لم يتعلّق بهم عمل هذا الفرد ولم يهدّد بالخطر مصالحهم الماديّة فإنّهم لا يعيرونه أهميّة. وهم يعتقدون أنّ الفرد إذا قام بعمل قبيح فإنّ ضرره يعود عليه ويخلّ بصحّته، وأمّا الأفراد الآخرون في المجتمع فإنّهم يقولون: لا علاقة لي بهذا! ولا علاقة لك به! ومثل هذا التعبير يدلّ على الاتجاه الفرديّ. وفي المجال الذي يعود فيه الضرر على سائر الأفراد فإنّهم يبدون فيه ردّة فعلهم. أمّا إذا كان الضرر عائداً على الفرد نفسه فحسب فإنّ المجتمع يقول: «لا علاقة لي بهذا» دعه يلحق الضرر بنفسه. وحتّى إذا قيل له بأنّ هذا الفعل يضرّ جسمك، لا تدخّن - مثلاً - لأنّ هذا الفعل يمرض الإنسان ويضرّ قلبه، فإنه يجيب: ما علاقتك بهذا؟! ولماذا تتدخل في شؤون الآخرين؟! أنها حرّيتي، فأنا أحبّ ذلك!

رؤية الغرب بالنسبة للإشراف على الأمور المعنويّة:

كان الحديث فيما مضى عن الاتجاه الفرديّ والاتجاه الاجتماعيّ فيما يتعلّق بالشؤون الماديّة للإنسان، ويأتي السؤال هنا عن موقف الغربيين بالنسبة للشؤون

المعنوية، فإذا كان سلوك الفرد مؤدياً إلى الحاق ضرر معنوي بالمجتمع فهل لابد من الإشراف عندئذ على أعمال الآخرين أم لا؟

لقد تحدثنا عن الاتجاه الفردي والاتجاه الاجتماعي في الامور المادية، فمقتضى الاتجاه الفردي هو اطلاق سراح الفرد واعتباره حراً في كل مجال لا يعود فيه على المجتمع نفع أو ضرر عمله الفردي. وهذا هو الشيء السائد اليوم في العالم الغربي ويطلق عليه - اصطلاحاً - اسم المذهب الشخصي أو الفردي «Individualism».

أما أصحاب الاتجاه الاجتماعي في الغرب فأنهم يرون من الصحيح الاشراف على أعمال الآخرين في مجال الامور المادية فحسب. وأما في المجال الذي تتعلق فيه أعمال الأفراد بالشؤون المعنوية، كالكفر والايمان والحق والباطل، فإن أصحاب هذا الاتجاه يؤكدون على أنه لا علاقة للآخرين به! ان هذا يعتبر تدخلاً في شؤون الآخرين!

فالغرب ينظر إلى أعمال الأفراد المتعلقة بالدين والأخلاق والمعنويات على أساس أنها حق الفرد بشكل تام ولا يحق لأي أحد أن يتدخل فيها.

رؤية الاسلام بالنسبة إلى الإشراف على الشؤون المعنوية:

انّ الاسلام يعارض الرؤيتين السابقتين ويحاول تربية الناس بشكل يهتمون فيه بالآخرين. وحتى في الصلاة التي هي علاقة بين الفرد ومعبوده يجب ان يقول المسلم «نحن» ولا يقول «أنا». وفي الشؤون الاجتماعية - حيث يرتبط الأفراد بعضهم ببعض - لا يقتصر الاشراف الاجتماعي على الامور المادية، وإنما يمتد ليشمل الامور المعنوية للأفراد أيضاً. فإذا قام شخص بفعل يؤدي إلى فساد معنوي في المجتمع فلا بد من نهيه، بل انّ النهي عن المنكر في مجال الامور المعنوية هو أوجب وأهم، وذلك لانّ الروح الانسانية والمعنويات مفضلة على البدن والماديات،

فالماديات فانية وسوف ينتهي أمدها، بينما الامور المعنوية باقية الى الأبد. فالذي يرتكب المعاصي فسوف يتورط في العذاب الأبدي، ولا يمكن تشبيهه نار جهنم بالنار الدنيوية. ومن الواضح أننا اذا شاهدنا انسانا يحاول ان يقذف نفسه في بئر عميقة أو يلقي بنفسه من جسر شاهق ليغرق في ماء النهر أو يريد القاء نفسه في خضم نار ملتهبة فان ضمائرنا لا تسمح لنا ان نتركه يفعل ما يشاء بذريعة انه قد أراد ذلك والأمر يتعلق به شخصياً. اذن لا يمكننا أن نتركه يفعل ذلك في مجال النار الدنيوية التي لا يطول الاحتراق فيها سوى سويحات من الألم والعذاب ثم يموت ويستريح. أما اذا كانت افعاله تؤدي به الى السقوط في جهنم والنار الأبدية: «كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ»^(١)

فالله تعالى يخبرنا بان الكافرين يُحرقون في جهنم حتى تتحول جلودهم الى رماد فيلبسهم الله سبحانه جلوداً اخرى لتحرق من جديد وهكذا دواليك، ويستمر هذا الأمر بلا انقطاع. ماذا فعل هؤلاء ليستحقوا مثل هذا العذاب؟ يقول الله تعالى انهم أعرضوا عن أوامره وارتكبوا المعاصي. فاذا شاهدنا من يرتكب مثل هذه المعاصي التي تؤدي به الى ان يلقي في نار تفوق النار الدنيوية بمئات المرات - لأن النار الدنيوية قصيرة أمدها بينما العذاب الاخروي ونار جهنم مستمرة مع الانسان ابداً - فان ضمائرنا تقتضي أكثر ان نمنع هذا الفرد من القيام بهذه المعاصي حتى نحياه من ذلك المصير المرعب.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الاسلام لا يتعلق بالأضرار المادية فحسب، وإنما يأمرنا الاسلام بالوقوف في وجه المعاصي حتى لا يتورط المذنب بالعذاب الأبدي في الآخرة.

رؤية القرآن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هناك آيات قرآنية كثيرة تحدّثت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكننا هنا قد اخترنا آيتين منها لأنهما تتميزان بخصائص مهمة.

يقول الله تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^(١).

ويقول سبحانه: «الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^(٢).

فالله تعالى يقول: ان بين المؤمنين ولايةً لبعضهم على البعض الآخر. وفي ظلّ هذه الولاية يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ومهما كان معنى هذه الولاية - سواء أخذناها بمعنى المحبة أو بمعنى لون من السلطة والقدرة القانونيّة أو بأيّ معنى آخر - فإنها تحمل الانسان على أن يمنع الآخرين عن القيام بالفعل القبيح. فالانسان اذا أراد أن يبعد شخصاً عن المعصية في المجتمع فلا بدّ ان يكون له لون من التسلّط والحقّ القانوني على ذلك الفرد حتّى يستطيع القيام بهذا المنع.

انّ هذا الحقّ لا يُعطى لأحد في الثقافة الغربيّة بحيث يستطيع منع أحد آخر من ارتكاب المعصية أو يستطيع التدخّل في الشؤون الدينيّة والمعنويّة لسائر الأفراد في المجتمع. واذا تطوّر أحد بالقيام بهذا العمل فانه يُعدّ متطوّلاً ويقال له: ما علاقتك بهذا! أمّا في الاسلام فإنّ الأمر يختلف تماماً حيث يؤكّد الاسلام على أنّ المجتمع هو بمنزلة الجسد الواحد، فكما انّ المؤمن يُبعد نفسه عن المعصية فهو مكلف أيضاً بأن يبعد الآخرين عنها. فبالإضافة الى ما يقتضيه الشعور الأخلاقيّ والعاطفة الانسانيّة

من إبعاد من نراه مشرفاً على الاحتراق نتيجةً للمعصية فإنّ الاسلام يقول: انّ الله تعالى قد أوجب علينا ان لا نتركه يحترق، ويعتبر هذا من أوجب الواجبات حسب الرواية القائلة: «انّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض»^(١) فإذا أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنّ سائر الواجبات سوف تُترك أيضاً. انّ بقاء سائر الفرائض في المجتمع رهين للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فان جرى العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع فسوف يجري العمل أيضاً بسائر الواجبات، وان تُترك الأمر بالمعروف فسوف تُترك بقيّة الواجبات أيضاً.

إذن لكي يتيسر للأمر بالمعروف ان يأمر الآخر بالكلام أولاً واذالم ينفع معه ذلك فإنه يقوم بمنعه عملياً - لكي يتيسر له ذلك لا بدّ ان يتمتّع بلون من الولاية عليه، ولعلّ المقصود من قوله تعالى: «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» هو إعطاء مثل هذه الولاية للمسلمين حتّى يتمكنوا - فيما بينهم - من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمعنى الآخر للولاية هو «المحبّة». ومعنى ذلك انّ المؤمنين والمؤمنات لَمّا كانوا يشعرون بالمحبّة فيما بينهم فإنهم لا يريدون لمن يشترك معهم في هذه العلاقة ان يعمل عملاً وان يسلك طريقاً يؤدّي به الى العذاب الأبديّ. فالمحبّة السائدة بين المؤمنين والمؤمنات تقتضي وجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساطهم. ولعلّ كلاً من هذين المعنيين يمكن استفادته من الآية الكريمة.

إلاّ ان الله سبحانه عندما يتحدّث عن المنافقين في مقابل المؤمنين فهو يقول: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض» ولا يقول «بعضهم أولياء بعض». وبدل «يأمرون بالمعروف» يقول: «يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف».

وتطرح في هذا المجال أسئلة عديدة نحاول الإجابة على بعضها بمقدار وسعنا وبمقدار ما يتناسب مع هذا الكتاب:

لماذا استعمل القرآن تعبير المنافقين في مقابل المؤمنين؟

نحن نواجه هذا السؤال وهو انَّ الله تعالى عندما ذكر المؤمنين والمؤمنات قائلاً: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» لماذا لم يستعمل في مقابلهم تعبير «الكافرون والكافرات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف»؟

يمكننا القول في الجواب على هذا السؤال: لانَّ المنافقين أفراد يعيشون في المجتمع الاسلامي ويتظاهرون بالايان وهم يعترفون - بحسب الظاهر - بجميع القيم الاسلاميّة، بينما هم في الواقع ليس لهم عقيدة قلبية بجميع المسلّمات الدينيّة. أنّهم مع المسلمين في الظاهر ولكنهم اعداء لهم في الخفاء والباطن، وفي أيّ وقت تسنح لهم الفرصة المناسبة فإنهم يوجّهون طعناتهم للمسلمين.

وهذا يختلف تماماً عن وضع الكافرين حيث أنّهم لا يعيشون في داخل المجتمع الاسلامي، وحتىّ اذا كانوا يعيشون معهم فإنهم يتجاهرون في إعلان موقفهم ضدّ القيم الاسلاميّة. ولهذا فإنّ المسلمين يعرفونهم ويضعون الحدود الفاصلة بينهم وبين الكافرين. أمّا في مجتمع الكفر فان جميع الناس كفّار وهم ينكرون القيم الاسلاميّة بصورة علنيّة وليسوا بحاجة للتظاهر بالايان.

وبناءً على هذا فالمنافقون يتغلغلون في أعماق المجتمع الاسلامي ويعترفون - باللسان - بالقيم الاسلاميّة ويتظاهرون بالايان، إلا أنّهم يوجّهون سهامهم الى دين الناس ويلجأون الى كل حيلة وخداع لكي يبعدوا الناس عن دينهم، ولهذا يحذّر الله تعالى منهم في القرآن الكريم فيقول: «المنافقون والمنافقات...» فهو سبحانه يلفت

أنظار المؤمنين ليأخذوا حذرهم من وجود المنافقين في اعماق المجتمع الاسلامي
لأنهم يأخذون على عاتقهم مهمة الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

ولاية بعض المؤمنين على بعض:

تحدّث الله تعالى عن المؤمنين بقوله:

«المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض»

ولكنه سبحانه يقول عن المنافقين:

«المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض»

لماذا يعتبر الله تعالى الولاية لبعض المؤمنين على بعض بينما يعتبر المنافقين شيئاً واحداً؟

يمكننا دراسة هذا الموضوع من جهتين:

الأولى: إذا أخذنا الآية الكريمة «بعضهم أولياء بعض» بمعنى الولاية فمعنى ذلك أن كل مؤمن يتمتع بالولاية على المؤمن الآخر. فلكي يتمكن المؤمنون من الأمر والنهي فيما بينهم لا بد أن يتمتعوا بمبرر قانوني وسلطة قانونية، والله تعالى هو وليّ الجميع ويجعل ولاية وقدرة قانونية للمؤمنين بعضهم على بعض ليتيسر لهم الإشراف والتدخل في أعمال بعضهم البعض، فيقومون بالأمر والنهي كما ينبغي.

أما بالنسبة للمنافقين فهم يريدون الهجوم على الدين وتجريد الناس من دينهم بواسطة «الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف»، وهذا لا يحتاج إلى ولاية، لأن الولاية حقّ قانوني، والقانون - في أيّ مجتمع - لا يجيز الأمر بالمنكر.

الثانية: إذا أخذنا «بعضهم أولياء بعض» بمعنى المحبّة والموادّة فمعنى ذلك أن كل مؤمن يحبّ المؤمن الآخر ويشعر بالموادّة له، فإذا لاحظ المؤمن أن ضرراً يلحق بأخيه المؤمن فهو يتألم ويضطرب ويبدل قصارى جهده لكي يلفت انتباهه لذلك

الضرر. فلأنّ المؤمنين يحب بعضهم بعضاً فهم يقومون بالأمر والنهي فيما بينهم. إنّ المؤمنين لا يريدون أن يحترق أخوهم وأختهم في الدين في نار جهنّم. أمّا المنافقون فهم ليسوا كالمؤمنين - يحترق قلب بعضهم لبعض - وأنما كل واحد منهم يفكر في مصلحته فحسب، يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

«تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى»

فالإنسان قد يلاحظ المنافقين مجتمعين في جبهة مشتركة ويعملون معاً وهناك فيما بينهم - حسب الظاهر - تعاون وانسجام، إلا أن قلوبهم - في الواقع - متفرقة، فهم لا يحبّ بعضهم بعضاً، وإذا لم تؤمن مصلحة فرد منهم فقد يقوم باغتيال من يعتقد انه حجر عثرة بالنسبة اليه، لأن كل فرد منهم لا يفكر إلا في مصلحته، وحتى إذا شكّلوا تجمّعاً أو قاموا بعمل مشترك فإنّ ذلك من أجل ان يؤمنوا مصالحهم الذاتية. وإذا حصل تراحم في هذا التجمّع وتعرضت مصالحهم الشخصية للخطر فإنّ كل شيء ينتهي ويفترس كل منهم الآخر.

وبناءً على ما ذكرناه يمكننا ان نستنتج ان المنافقين لا يتمتعون بالمحبّة فيما بينهم، ولا يملكون أيضاً القدرة القانونيّة على الأمر والنهي.

بينما المؤمنون يحب بعضهم بعضاً ولهذا يهتم بعضهم ببعض ويأمره وينهاه، لأنّه لا يريد لأخيه وأخته في الايمان أن يحترقا في جهنّم. وقد منحهم الله سبحانه هذه القدرة القانونيّة لكي يتيسر لهم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبعضهم اولياء بعض.

الملاحظة الاخرى في هذا المجال هي ان الله تعالى يقول في المؤمنين: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف» فالمؤمنون يحبّ بعضهم بعضاً وقد منحوا الولاية فيما بينهم، أمّا بالنسبة للمنافقين فان الله تعالى لا يستعمل تعبير الأولياء بل يقول «بعضهم من بعض»، وهذا يعني ان بينهم ارتباطاً

وتعاوناً في مجال «الأمر بالمنكر» ولكن اجتماعهم واشتراكهم يكون على الباطل.

كيف يمكن القيام بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف في المجتمع الاسلامي؟
انه سؤال غامض عن كيفية قيام في المجتمع الاسلامي بالأمر بالمنكر والأعمال
القبیحة؟ لان المنكر - في كل مجتمع - يعني الأعمال السيئة والقبیحة، فكيف يتيسر
لأناس في المجتمع أن يقوموا بالأمر بالقبائح والامور السيئة؟ في المجتمع الاسلامي
الكلّ معترف بالقيم الاسلامية والكلّ يتظاهر بالايمان، فكيف يمكن ان يظهر أفراد
يأمرون بالمنكر؟ كيف يجروء أفراد على أن يأمرؤا الناس - في داخل المجتمع
الاسلامي - بالأعمال القبيحة، ولا بدّ أنهم يهدفون الى غاية وأنهم مطمئنون الى أنهم
عندما يأمرؤن بهذه الأوامر فإنّ هناك من يستمع اليهم، وإلاّ اذا كان من المقرّر أن
يأمر هؤلاء بالأعمال القبيحة ويحثّوا الناس - مثلاً - على القيام بالسرقة والفسق
والفجور ثمّ لا يستمع اليهم أحد فما الداعي لان يقوموا بـ «الأمر بالمنكر»؟ لا بدّ أنّ
أمرهم ونهيمهم يؤثّران في المجتمع ولهذا يبذلون كل هذه الجهود ويريدون للمنكر أن
يتحقق في المجتمع. اذن فالسؤال الغامض هو: كيف يمكن ان يظهر أشخاص من وسط
المجتمع الاسلامي يأمرون بالأعمال القبيحة بحيث تؤثّر أوامرهم فيه؟

لماذا يفعل هؤلاء هذا الفعل؟

ولماذا يقبل الناس منهم هذا الأمر؟

في هذا المجال لا بدّ أن ندرس ماذا يمكن ان يكون المقصود من المعروف
والمنكر؟ اذا كان المقصود من المنكر هو المنكر بالحمل الأوّلي - حسب الاصطلاح
المنطقي - بمعنى ان يقوم فرد في المجتمع بمخاطبة الناس قائلاً: تعالوا اعملوا
الأعمال القبيحة ولا تقوموا بالأعمال الحسنة، فأنه من المستبعد جداً أن يقوم عاقل
بمثل هذا العمل وأن يأمر الناس بالمنكر بهذه الصورة، وحتىّ اذا قام بمثل هذا العمل

فإن احتمال تأثيره فيهم يقرب من الصفر، لأنّ الناس يعترفون بالقيم ولا يسمحون لشخص أن يدعوهم صراحةً للقيام بالأعمال القبيحة بمفهوم الحمل الأولي الذاتي. إذن يعرف من هذا ان مقصود القرآن من قوله ان المنافقين يأمرون بالمنكر ليس هو المنكر بالحمل الأولي الذاتي، وأما مقصوده هو ان المنافقين يأمرون بمصاديق المنكر وينهون عن مصاديق المعروف، فهم يأمرون بمصاديق المنكر وليس بمفهوم المنكر، اذ يدعون الناس الى القيام بأعمال هي في الواقع من المنكرات، غاية الأمر أنهم يقدّمون هذه المصاديق من المنكر للناس بعنوان كونها من المعروف ومن الأعمال الحسنة.

فالمنافقون يأمرون بالمنكر عن طريق سوء استخدام المفاهيم وبالاعتماد على أساليب المغالطة والإعلام الشيطاني المضلل. فهم في البداية يوفّرون الأرضية لتصوير مجموعة من الأعمال على أساس انها «حسنة»، فيتقبّلها الناس بهذا العنوان، ثمّ يحثّون الناس على القيام بهذه الأعمال الحسنة والتي هي في الواقع مصاديق للأعمال السيئة والقبيحة. ومن ناحية اخرى ينشط إعلامهم في مجال بعض الأعمال الحسنة ليصوّرها للناس على أساس أنّها أعمال قبيحة، ثمّ ينهون الناس عن القيام بهذه الأعمال القبيحة والتي هي في الواقع مصاديق للأعمال الحسنة. وإلّا فمن الواضح أنّ أيّ عاقل لا يأمر بالشيء القبيح بعنوان كونه قبيحاً، وأنّ أيّ عاقل لا يستمع الى مثل هذا الأمر.

إذن هم يتناولون بعض مصاديق الأفعال المنكرة ويقدمونها للناس بعنوان أنّها حسنة ثمّ يأمرونهم بفعالها.

وعندئذ نواجه هذا السؤال: كيف يمكن تصوير المعروف بعنوان أنّه منكر وتصوير المنكر بعنوان أنّه معروف؟

الجواب: لا ينبغي أن يصيبنا العجب من ذلك فنحن نلاحظ - في مجتمعنا الذي نعيش فيه اليوم - وجود مصاديق كثيرة لهذا الأمر، لأنّ جذور النفاق في هذا البلد

تمتدّ هنا وهناك فيظهر أشخاص يقومون بهذه الأعمال. ولكي يتّضح البحث جيّداً أذكر بعض الأمثلة: في السابق كنّا نلاحظ النساء في مجتمعنا يتمتّعن بمفهوم قيميّ يُسمّى «الحياء»، فنحن نعلم جيّداً أن من الصفات الحسنة للنساء هو «الحياء». ويعتبر الحياء حسناً حتى للرجال ولكنه بالنسبة للنساء يعتبر من أبرز ميزاتهنّ. والقرآن الكريم أيضاً يستخدم هذا المفهوم ويشثي عليه. وقد ورد ذلك في قصّة ابنتي شعيب عليها السلام حيث أرسلتا من قبل ابيهنّ لدعوة موسى عليه السلام الى بيتهم فيقول تعالى:

«فَجَاءَتْهُ إِخْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ...»^(١)

فالله سبحانه يمدح هذه الصفة في المرأة وهي ان تتعامل مع الرجل الأجنبي عنها وهي تشعر بالحياء. فالحياء إذن يحتلّ مكانته الرفيعة في ثقافتنا وقيمنا. ولكنّ المنافقين اليوم يزعمون أنّ الحياء هو نفسه الشعور بالخجل، والانسان الخجول لا يستطيع أن يقوم بأيّ عمل في هذا العالم الحديث. فالانسان الخجول يبقى منطوياً على نفسه، ويؤكد علم النفس على أنّ الشعور بالخجل أمر سيّئ، فاذا شعرت فتاة بالخجل من شابّ فهذا أمر سيّئ، لأنّها تعجز عندئذ عن أن تبين له رغبتها وبالتالي تعجز عن أن تأخذ منه حقّها، اذن فالفتاة لا ينبغي لها أن تشعر بالخجل من الشاب. وما يقوله الناس من أنّ الانسان لا بدّ ان يتّصف بالحياء وان الفتاة لا ينبغي لها ان تنزع الحياء في مقابل الرجل الاجنبي عنها أمّا هو قول لا أساس له من الصحّة ويعدّ من الأخطاء الخطيرة النتائج. فالفتاة لا بدّ ان تكون جريئة حتى تستطيع ان تقول ما تشاء في مقابل الآخرين وأن تفعل ما تريد وأن تدافع عن نفسها كما يحلوها. وفي بعض الأحيان يلجأ هؤلاء الى ذكر بعض النماذج التاريخيّة من حياة أهل البيت عليهم السلام مثل حركة زينب عليها السلام. أجل، إنّ الفتاة لا بدّ أن تدافع عن نفسها وأن

تتمكّن من القيام بواجبها الشرعي وأن تتمكّن من الخطابة كما فعلت السيدة زينب عليها السلام وتعتبر هذه الامور نقاطا ايجابية في حياتها في الجوّ الاجتماعي بشكل عام. ولكنّ الفتاة التي لم تتزوّج بعد لا بدّ ان تشعر بالحياء في مقابل الرجل الاجنبي عنها، ويعتبر هذا من جملة القيم الانسانية.

ويقوم المنافقون بالخلط بين هذين الأمرين فيقولون إن الحياء هو نفسه الشعور بالخبجل، والشعور بالخبجل يعني انعدام الشخصية. فلكي يخرج الانسان من حالة الخجل لا بدّ ان ينزع الحياء ويتركه جانبا. ولكي تصبح الشجاعة ملكة للأولاد لا بد ان يختلط الشباب والفتيات في المعاشرة وان تُلغى الحدود في هذا الاختلاط، فيذهب الشباب والفتيات للرقص معاً في المناسبات الوطنية حتّى لا ينشأوا على الشعور بالخبجل.

فالمنافقون اذن يبدأون بتصوير الاختلاط بين الشباب والفتيات بصورة أمر ثقافي تقتضيه الحضارة، ويبتئون هذه الأفكار بين الناس ويؤكّدون ان الحياء والخبجل يعني انعدام الشخصية ولا بدّ من إزالته، والطريق الى ذلك هو الاختلاط بين الشباب والفتيات، ثمّ يدعون الى ترك الرجال والنساء أحراراً ليفعلوا ما يحبون. في هذه الحالة يتحقق مصداق لقوله تعالى: «يأمرون بالمنكر». ويبدل المنافقون قسارى جهدهم ليتسلّلوا الى داخل الأجهزة الحكومية وان يأمروا بالمنكر مستغلين تلك الاجهزة فيحثون الناس على إحياء الحفلات الراقصة ويدعمونها بأموال مأخوذة من الميزانية العامة لبيت مال المسلمين.

ولا ينبغي ان يتصوّر أحد انّ المنافقين يقولون للناس افعلوا الأعمال القبيحة، وأنما هم يوفّرون الارضية أولاً ويصوّرون للناس ان هذا الفعل حسن ثم «يأمرون بالمنكر»، أو أنّهم يوفّرون الارضية الثقافية ويصوّرون للناس ان المعروف الكذائي قبيح ثم «ينهون عن المعروف». وهذا الأمر يحتاج الى النفاق وليس الى الكفر، لان

الكافر يقول صراحةً ما يريد ان يفعله. فالله تعالى قال «المنافقون والمنافقات» ولم يقل «الكافرون والكافرات» لانّ هذا الأمر يتمّ بواسطة النفاق، فلا بدّ ان يظهرُوا أنّنا نحبّ الاسلام أيضاً ونعتقد به ولا بدّ من القيام بالأعمال الحسنة، إلاّ أنّ الحياء ليس فعلاً حسناً لانه يجعل الانسان خجولاً، وهذا أمر قبيح ولا بدّ من مقاومة الأفعال القبيحة. وبناءً على هذا لا يكون الحياء من الاسلام، أو على أقلّ تقدير فان قراءة القرآن للاسلام لا تتضمّن ان الحياء قيمة. بينما القراءة القديمة للدين كانت تقول ان الاسلام يحبّ الحياء ويحثّ عليه. والقراءة الحديثة للاسلام تصرّح بانّ الحياء امر سيّئ للغاية. إذن ما لم تُمهّد الأرضية الثقافية فإنّ الأمر بالمنكر لا يصبح ذا معنى. ومن ناحية اخرى فإنّهم يقومون بنشر المفاهيم والقيم التي لا تترك مجالاً للأمر بالمعروف. بمعنى أنّهم يكتبون المقالات في الصحف والمجلات ويخطبون في المناسبات المختلفة ويستغلّون سائر وسائل الإعلام ليلقّنوا الناس أنّ التدخّل في شؤون الآخرين العقائديّة والقيميّة والأخلاقيّة هو تطفّل واضح، والتطفّل أمر قبيح وسيّئ. ونتيجةً لهذا التلقين اذا قيل لأحد لماذا لا تصلّي؟ فإنّه يجيب: هذا الأمر لا يتعلّق بك! ليس من حقّك ان تتطفّل وتتدخّل في شؤون الآخرين!

أو أنّهم يذهبون إلى الحدائق العامة ويتناولون الخمره فيغلبهم السكر ويتشاجرون وقد يضرب بعضهم بعضاً بالقناني الفارغة، واذا اعترض عليهم احد قالوا له: أنّك متطفّل! إذن هم في البداية يمهّدون الارضية الثقافية بان هذا العمل تطفّل، والتطفّل أمر قبيح ثم «ينهون عن المعروف»، ويصل الأمر إلى الحدّ الذي تترك فيه القيم مكانها لتحلّ محلّها المضادات للقيم.

لعن الله الذين يسعون لإيجاد هذا الجوّ الملوّث في مجتمعنا وهم يحاولون باستمرار ان يوسّعوا مجاله وان يمحووا القيم الاسلاميّة الأصيلة من هذا المجتمع الاسلامي الوفيّ.

